**جـامـعة سـعد دحـلب بالبلــيدة**
**كلية الآداب و العلوم الاجتماعية**
قسم اللغة العربية و آدابها

# مذكرة ماجستير

التخصص :أدبي

محمد الصالح ومضان كاتبا

**من طرف**

## رزيقة قرين

أمام اللجنة المشكلة من :

| | | |
|---|---|---|
| محمد السعيد عبدلي | أستاذ محاضر،جامعة البليدة | رئيسا |
| مولود بغورة | أستاذ محاضر،جامعة الجزائر | مشرفا ومقررا |
| حفيظ ملواني | أستاذ محاضر،جامعة البليدة | عضوا مناقشا |
| إبراهيم فضالة | أستاذ مكلف بالدروس، جامعة البليدة | عضوا مناقشا |

البليدة، سبتمبر، 2011

# ملخص


يعتبر هذا البحث بشكل أو بآخرمحاولة جديدة لقراءة جهود الأدباء الجزائريين خلال حقبة من التاريخ لم تكن بالأمر الهين ، ذلك أن أمة من الأمم قد عانت ما عانته الجزائر ما كان لها إلا أن تكون مصابة بعقم فكري وأدبي ، غير أن القدر قد قيض لها في الغيب ما لم يكن في الحسبان ، فقد جاء جيل من الأدباء والمفكرين والعلماء ما كان للجزائر أن يكون لها مثلما كان ؛ وهذه معجزة الإنسان الجزائري فكلما ادلهمت عليه الظلم وأحس بانتكاسة إلا وجاءه الفجر القريب. وهذه الدراسة محاولة لكشف مختلف العناصر التي انبثقت عنها تلك الأدبيات الجزائرية في العصر الحديث .

ومحمد الصالح رمضان واحد ممن جاد بهم القدر فقد كان أمة من الناس قدم خدمات جليلة للأدب العربي والجزائري خاصة ، ويمكن تلخيص ما توصلنا إليه من نتائج البحث والمتمثلة فيما يلي:

أولا: إن ما ميز شخصية الأديب محمد الصالح رمضان من معالم و ما اتسمت ثقافته من ملامح ، و ما ساهم به خلال حياته من جهاد في مختلف جوانب الحياة الوطنية ، فقد كان لذلك انعكاساته الواضحة في كتاباته والتي شملت فنونا أدبية: قديمة وحديثة ، ما ميّز صنعته في هذه الفنون بجملة من الخصائص شملت معظم عناصر العملية الأدبية: أفكارا وعواطف وطرقا، وأساليب.

إذ أبدع في رحلته الأدبية إلى بولونيا وهذه الرحلة تعدّ فعلا في مقدمة نماذجه النثرية فقد تألق فيها فكرًا وأسلوبًا في فقرات عديدة ، في صلته بالناس و بالطبيعة و في رد الفعل تجاه موقف أو حركة أو منظر في حلل رومانسية زاهية على الأراضي التي مر بها أو في صورة من صور الحياة الزاخرة المشعة بشرا و أملاً، تنهض من خراب و دمار تركته مدافع و قنابل الحرب العالمية الثانية في فارصوفيا. مرورا بالتوق الوطني الحالم باستقلال الجزائر المأمول.

ثانيا: يتجلى لنا منهج الرحالة" محمد الصالح رمضان " في كتابته لهذا الفن الأدبي ، فقد بدا ساعيا بين منهج القدامى في حرصهم على الجانب التعليمي و تاريخا و جغرافيا و اقتصادًا و سواها، و بين أسلوب الرحالة الحديث خصوصا حرصه على تسجيل مشاعره و انطباعاته المختلفة سلبا و إيجابا دون تقيد بما يمكن أن يثبت أو ينفي صورة سلبية أو إيجابية، و يرجع هذا إلى تجربة الكاتب و علاقته بالمحيط.

ثالثا: كما تتجلى النزعة التعليمية فقد بقي" رمضان " المعلم- أكثر من أربعين سنة، و المؤلف الجغرافي حاضرا في هذا التقسيم لهذه الرحلة.

رابعاً: كما تظهر في رحلته سمات المدرسة القديمة في أدب الرحلة التي لا تقنع بالانطباع العام في احتكاكها المباشر بوجوده في الحياة السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية بل نحت نحوا جعل الرحلة عملا تاريخيا لا مجرد وثيقة كنوع أدبي مساعد ، مثل الأنواع الأدبية الأخرى ، فبقي الأستاذ رمضان ، أديبا وفنانا متواجدا عبر ذلك كله في الأسلوب الأدبي ، في نقل الصورة الفنية الدقيقة.

خامساً: عبرت الرحلة عن تجربة إنسانية بعمق مختلف الأبعاد ، ورغم حرص الكاتب على إفادة قارئه بمعلومات علمية تاريخية و جغرافية و سياسية و اقتصادية و ثقافية ، و اجتماعية ؛ وهذا لم يجعلها نصًا تاريخيًا جافًا ، كما لم يحل بينها و بين الظلال الإنسانية التي حفلت بها كرحلة معاصرة ، مثلما لم يحل بينها وبين الطلاوة المرغوبة في كل رحلة أدبية معاصرة. و نكتشف في الرحلة شغف الرحالة وعقل المؤلف و نزوع الجغرافي و تفكير العالم و أسلوبه و روح الأديب و أدواته مما يجعل هذه الرحلة إضافة نوعية في مسار أدب الرحلة الجزائرية في هذا القرن.

سابعاً: أعمال رمضان المسرحية لم تبلغ نضجا فنيا كما في أي عمل مسرحي لأنها لم تخرج في عمومها عن فكرها المجرد الجدلي الغالب عليه طابع الأسلوب السردي الوصفي المصبوغ في قالب حواري.

ثامناً: النوع المسرحي الديني الذي كتب فيه" رمضان " تكمن أهميته في روايته للأحداث التاريخية المستمدة من سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم فكان المؤلف ينقل الأحداث كما وقعت ؛ ويقتبس الكلمات و العبارات كما رويت؛ و حافظ على أسماء الشخصيات الدينية كما وردت بلا رمزية بغية معالجة ظواهر معيشة داخل المجتمع الجزائري.

تاسعاً: بالرغم من ضعف هذه الأعمال المسرحية فنيا ودراميا إلاّ أنه كان لها أثر واضح في توعية الناشئة و تثبيتهم على أصول دينهم زمن تعرض البلاد لهجمة استعمارية صليبية حاقدة.

و هذه الأعمال أثرها كبير في حركة مسرحية جديدة أعقبتها. و يكفي الكاتب أنه استطاع في تلك الفترة الحالكة من عمر أمتنا كتابة عمل صالح يتناوله المسرحي وذلك من أصعب و أمتع الأعمال.

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث، و بعد:

أسجل عظيم شكري و امتناني لأستاذي المشرفين المرحوم الدكتور محمد بن سمينة و الدكتور مولود بغورة على ما أولانيه من رعاية صادقة و توجيه سديد كان لها الأثر البالغ في وصول البحث إلى ما هو عليه الآن.

كما أشكر الأستاذ خالد تومي على مساعدته لي في تصحيح البحث.

و الشكر موصول كذلك إلى كل أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم عناء قراءة المذكرة، لتقييم هذا العمل و تخليصه مما علق به من خطأ أو سهو أو نسيان.

كما لا يفوتني في هذه العجالة أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث و لو بكلمة صادقة تشحذ الهمم.

رزيقة قرين

## قائمة الجداول


| الرقم | العنـوان | الصفحة |
|---|---|---|
| 01 | المربعين العلاميين01 و02 لتمثيل الحالات الوجدانية المتباينة | 87 |
| 02 | المربعين العلاميين 03 و 04 الدلالة المحورية | 88 |
| 03 | حركة الزمان، و تحول المكان و الأحداث اللاحقة | 92 |
| 04 | التنافرات الزمنية و علاقة المكان بالزمان | 93 |
| 05 | الشعر المستشهد به في الرحلة | 103 |

# الفهرس

ملخص
شكر
قائمة الاشكال
الفهرس
مقدمة ..... 10
1. محمد الصالح رمضان، عصره وحياته ..... 15
1.1. عصر محمد الصالح رمضان .....15
1. 1. 1. السياسة الاستعمارية في الجزائر. .....15
1. 1. 2. الحركات السياسية في الجزائر. .....17
1. 1. 2. 1. حركة الأمير خالد. .....17
1. 1. 2. 2. حزب نجم شمال إفريقيا. .....18
1. 1. 2. 3. حزب الشعب الجزائري. .....19
1. 1. 2. 4. دعاة الإدماج. .....19
1. 1. 2. 5- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. .....20
1. 1. 2. 6- المؤتمر الإسلامي. .....21.
1. 1. 3. العوامل الاجتماعية والاقتصادية. .....23
1. 1. 3. 1. العامل الاجتماعي. .....23
1. 1. 3. 2. العامل الاقتصادي. .....24
1. 1. 4. العوامل الثقافية والفكرية .....26
1. 2. حياة محمد الصالح رمضان.....28
1. 2. 1. محمد الصالح رمضان الميلاد والنشأة. .....28
1. 2. 2. حياته التعليمية .....28
1. 2. 2. 1. في المدرسة الابتدائية. .....29
1. 2. 2. 2. متابعة دروس الشيخ" الأمين سلطاني ".....30
1. 2. 2. 3. الالتحاق بدروس الشيخ ابن باديس.....30
1. 2. 3. نشاطه التعليمي والتربوي. .....31
1. 2. 3. 1. " محمد الصالح رمضان " معلما بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية. .....31
1. 2. 3. 2. محمد الصالح رمضان مديراً ومعلماً لمدرسة" غليزان ".....32
1. 2. 3. 3. مدرسة دار الحديث. .....32
1. 2. 3. 4. استقبال الفرقة المصرية للتمثيل 1950. ..... 33
1. 2. 3. 5. محمد الصالح رمضان مفتشا عاما لمدارس الجمعية. ..... 34
1. 2. 3. 6. صائفة 1955 الرحلة إلى بولونيا. ..... 34
1. 2. 3. 7. الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني سنة 1956..... 34
1. 2. 3. 8. إسهامات " محمد الصالح رمضان " في الكشافة الإسلامية. ..... 35
1. 2. 3. 9. الالتحاق بالكشافة الإسلامية. ..... 36
1. 2. 3. 10. نماذج من مشاركته في الأنشودة الوطنية التربوية الكشفية.....36
1. 2. 3. 10. 1- نشيد فوج الرجاء ..... 36
1. 2. 3. 10. 2. نشيد لتحية العلم الكشفي ..... 38

1. 2. 3. 10. 3. نشيد الرياضة البدنية.....39
1. 2. 3. 10. 4. نشيد شبل ابن باديس.....39
1. 2. 3. 11.دور وعمل" محمد الصالح رمضان " في إظهار النشيد الباديسي.....40
1. 2. 3. 12. إسهام الشيخ محمد الصالح رمضان في الاحتفال بذكرى يوم العلم 16أفريل...41
1. 2. 3. 13. محمد الصالح رمضان بعد الاستقلال. .....41
1. 2. 4. آثار الشيخ" محمد الصالح رمضان ":.....42
1. 2. 4. 1. التأليف: .....43
1. 2. 4. 2. في ميدان التحقيق وإحياء التراث: .....44
1. 2. 4. 3. أعمال لم تنشر: .....44
1. 2. 5. وفاته: .....45

2. الرحلة الأدبية عند محمد الصالح رمضان .....46
2. 1. دراسة في مضمون الرحلة.....46
2. 1. 1. الإطار الزماني للرحلة .....47
2. 1. 2. الإطار العام للرحلة .....48
2. 1. 3. عنوان الرحلة..... 48
2. 1. 4. أسباب النشر ودواعي التأليف..... 49
2. 1. 5. أقسام الرحلة..... 50
2. 1. 6. مضمـون الرحلـة.....51
2. 1. 1. 1- الجانب الجغرافي .....51
2. 1. 1. 1. 1. تعيين مسار الرحلة .....52
2. 1. 1. 1. 2. العودة من فرصوفيا إلى الجزائر ..... 54
2. 1. 1. 1. 3- وصف المدن وخصائص البيئة الطبيعية .....54
2. 1. 1. 1. 3. 1. مرسيليـا.....55
2. 1. 1. 1. 3. 2. ترياستـا .....57
2. 1. 1. 1. 3. 3. بولونيـا .....59
2. 1. 1. 1. 4. طريق العودة إلى الجزائر .....60
2. 1. 1. 2. الجانب الاجتماعي .....61
2. 1. 1. 2. 1. الحوادث الاجتماعية.....61
2. 1. 1. 2. 2. المرأة عديلة الرجل .....62
2. 1. 1. 2. 3. الخدمات الاجتماعية .....63
2. 1. 1. 2. 4. العادات السيئة والسلبيات .....64
2. 1. 1. 2. 5. حسن العادات والأخلاق .....65
2. 1. 1. 3. الجانب الديني والثقافي .....66
2. 1. 1. 3. 1. الديانة.....66
2. 1. 1. 3. 2. التعليم .....67
2. 1. 1. 3. 3. الغناء والموسيقى .....67
2. 1. 1. 3. 4. المعالم الحضارية .....68
2. 1. 1. 3. 4. 1. قصر الثقافة والعلوم .....69
2. 1. 1. 3. 4. 2. حي الغيتـوGhetto .....69
2. 1. 1. 4. الجانب السياسي والاقتصادي..... 70
2. 1. 1. 4. 1. السياسية.....71
2. 1. 1. 4. 2. الاقتصاد.....72
2. 2. السرد أنواعه ووظائفه.....73
2. 2. 1. مفهوم السرد .....73

2. 2. 2. مستويات السرد .....74
2. 2. 2. 1. السرد الابتدائي .....74
2. 2. 2. 2. السرد الثانوي.....76
2. 2. 3. زمن السرد.....76
2. 2. 3. 1. الافتتاحية السرد التابع بصيغة الماضي.....77
2. 2. 3. 1. 1. الشكل الأول من زمن السرد التابع .....77
2. 2. 3. 1. 2. الشكل الثاني من زمن السرد التابع .....77
2. 2. 3. 2. السرد الآني بصيغة الحاضر .....78
2. 2. 4. تقنيات السرد.....78
2. 2. 4. 1. السرد بضمير المتكلم .....78
2. 2. 4. 2. الافتتاحية التنبيهية واصطناع الغائب .....81
2. 2. 4. 3. المدد السردي .....82
2. 2. 5. وظائف السرد .....83
2. 2. 5. 1. الوظيفة التعبيرية .....83
2. 2. 5. 2. الوظيفة الإقناعية والتأثيرية .....84
2. 2. 5. 3. الوظيفة الإبلاغية .....85
2. 2. 5. 4. الوظيفة التنسيقية .....85
2. 2. 5. 5. الوظيفة التنبيهية .....86
2. 2. 5. 6. الوظيفة الاستشهادية .....86
2. 2. 5. 7. الوظيفة التعليقية .....87
2. 3. الزمان والمكان والشخصيات واللغة في الرحلة.....89
2. 3. 1. مفهوم الزمان والمكان.....89
2. 3. 2. الترتيب الزماني والمكاني .....90
2. 3. 2. 1. اللواحق السردية .....90
2. 3. 2. 1. 1. اللواحق الموضوعية .....90
2. 3. 2. 1. 2. اللواحق الذاتيـة.....93
2. 3. 2. 1. 3. اللواحق المتممة.....94
2. 3. 2. 1. 4. اللواحق المكررة.....94
2. 3. 2. 2. السوابق السردية .....95
2. 3. 2. 2. 1. السوابق الموضوعية .....95
2. 3. 2. 2. 2. السوابق الذاتية والسوابق المكررة .....96
2. 3. 3. الشخصيات .....96
2. 3. 3. 1. الشخصيات الفاعلة .....97
2. 3. 3. 2. الشخصيات الرئيسية .....97
2. 3. 3. 3. الشخصيات المساعدة .....99
2. 3. 3. 4. الشخصيات المعارضة .....100
2. 3. 3. 5. الشخصيات الثانوية.....101
2. 3. 4. اللغة؛ مستوياتها وخصائصها .....101
2. 3. 4. 1. لغة السرد في الرحلة .....102
2. 3. 4. 2. الاستشهاد بالشعر .....102
2. 3. 4. 3. طول التراكيب والتقديم والتأخير فيها .....103
2. 3. 4. 4. العناية بالبيان والبديع .....104
2. 3. 4. 5. لغة الحوار ونجوى النفس .....105
2. 3. 4. 5. 1. الحوار الخارجـي .....105
2. 3. 4. 5. 2. نجوى النفس( الحوار الداخلي ) .....106

3. الأعمال المسرحية لرمضان( دراسة تحليلة نقدية وفنية ) ..... 107
3. 1. دراسة تحليلية نقدية..... 107
3. 1. 1. الموضوعات الاجتماعية. .....109
3. 1. 1. 1. الخنساء .....110
3. 1. 1. 2. أحداث المسرحية.....111
3. 1. 2. الموضوعات الدينية .....114
3. 1. 2. 1. الناشئة المهاجرة .....115
3. 1. 2. 2. المولد النبوي الشريف .....118
3. 2. دراسة فنية.....121
3. 2. 1. الشخصية .....122
3. 2. 2. البناء الفني للشخصية .....123
3. 2. 3. الحبكــة.....127
3. 2. 3. 1. البناء الدرامي .....127
3. 2. 3. 2. الصراع الدرامي..... 130
3. 2. 3. 3. الحوار الدرامي.....132
خاتمة.....136
قائمة المراجع و المصادر.....138

## مقدمـة

إنّ تراثنا الفكري و الأدبي ما زال مادة خام بحاجة إلى المزيد من التنقيب و التمحيص، بالرغم من محاولات التزهيد فيه و العزوف عنه.

و يمكن القول إن معظم الدراسات التي تناولت بالبحث تراث أعلام الحركة الإصلاحية بالجزائر قد ركزت على أعلام معروفين تداولت أسماؤهم مرات عدة، أكثر عناية أصحابها بأعلام معروفين تداولت أسماؤهم مرات عدة، أكثر من العناية بغيرهم.

و الحق أن ذلك لم يكن اعتباطيا و لا إجحافا في حقهم؛ و إنما كان ذلك لما ملكوه من ناصية اللغة العربية مما أهلهم باستحقاق لأن يأخذوا مكانتهم المميزة في حقل الكتابة الأدبية. فنالوا حظا وافراً من اهتمام الدارسين بإنتاجهم، و في المقابل أغفلت هذه الدراسات و لم تعن بإنتاج و أعمال أعلام آخرين كان لهم الفضل في إثراء الساحة الفكرية و الأدبية حيث أسهموا بجهود رائدة في خدمة اللغة العربية و تطويها للتعبير عن قضايا الواقع و حاجات العصر.

و من بين هؤلاء الأعلام الذين لم ينالوا حظهم من الدراسة و التنقيب في آثارهم الأديب" محمد الصالح رمضان " أحد تلامذة الإمام ابن باديس، و واحد من الذين أسهموا في بناء النهضة الأدبية، إذ لم يعرف الناس في الجزائر قبل أعمال هؤلاء ما يمكن أن يسمى أدباً حديثاً، و يرى البشير الإبراهيمي الرأي نفسه إذ يقول:« و تلك الكتائب الأولى من تلاميذ ابن باديس هم طلائع العصر الجديد الزاهر، و قد سمع الناس لأول مرة في الجزائر من بعض تلك البلابل شعراً يؤدي معنى الشعر كاملاً و قرأوا كتابة تؤدي معنى الكتاب »[ 1 ] مج 5 فيفري 1930، ص78.

فكان الأديب" محمد الصالح رمضان " واحدا من أعلام الأدب الجزائري الحديث و من أبرز الكتَّاب الذين أسهموا بأعمالهم الرائدة في تطوير أساليب الكتابة و تحريرها مما كانت ترسف فيه، من تصنع و تكلف. و يتجلى من خلال إسهاماته في كتابة الرحلة الأدبية التي ظهر من خلالها كاتباً و شاعراً مبدعاً فتناغمت اللوحة النثرية مع الصورة الشعرية تناغماً عذباً لذيذاً. كذلك أعماله المسرحية ومقالاته و دراساته المتنوعة في مختلف الصحف و المجالات الوطنية و العربية و كذلك إسهاماته في جمع التراث و تحقيقه.

و اعتمادا على هذه المعطيات ارتأيت أن أنجز بحثا منهجيا يتناول أدب" محمد الصالح رمضان " و لأنه يتعذر دراسة أعماله كلها شعراً و نثراً فقد حصرت الموضوع في الجانب النثري فقط المتمثل في الرحلة الأدبية التي قام بها الكاتب إلى فارصوفيا، و أعماله المسرحية و لم نتطرق إلى المقالة لأن المقام لا يسمح بذلك.

## أولا- الدوافع:

من الصعب على الباحث تحديد أسباب معينة أثرت في اختيار موضوع ما ميدانا لدراسته ذلك أن هذا الاختيار يخضع لعوامل متعددة. قد تكون الرغبة في إماطة اللثام عن جانب معين من الموضوع هي الهاجس الأساسي و قد تكون عوامل أخرى.

و قد كان هذا البحث صدى للإحساس بالحاجة إلى طرق باب هذا الموضوع و لم يكن وليد المصادفة و إنما اختياراً متعمدا أملته علي جملة من الأسباب منها:

1- إنَّ أدبنا العربي في شمال إفريقيا عامة و في الجزائر خاصة، قد لقي كثيرا من إهمال الدارسين في عالمنا العربي مع وفرة من كتبوا عن أدب المشرق منذ جاهليته إلى عصره الحديث في العراق و مصر و الشام، و لم يقيّض له أن يهب بقوة نحو المشرق كما هبّ أريج الأدب المشرق نحوه.

2- من أهم القضايا التي استرعت انتباهي في دراستي للأدب الجزائري الحديث سواء في المرحلة الجامعية، أو ما بعدها أن هذا الأدب لم يأخذ بعد ما يستحقه من الدراسة الجادة المتأنية- باستثناء بعض الدراسات الأكاديمية- كذلك مما شدّ انتباهي هو تغييب النصوص النثرية و الشعرية لأدباء وشعراء الجزائر من الكتب المدرسية الموجهة للناشئة سواء في المرحلة الثانوية أو مرحلة التعليم المتوسط مما سينجم عنه أخطار وخيمة على عقول الأجيال لما فيه من بتر للصلة بين الماضي و الحاضر.

3- و من جملة الدوافع التي حدت بي إلى اختيار هذا الموضوع أنّه لم يتناول بالدراسة من قبل لا في الجزائر و لا في غيرها، و لعلَّ من أبرز الأسباب التي صرفت الباحثين عن دراسة هذا الموضوع، أنّ مادته المصدرية لم تكن مطبوعة كلها.

كما أنّ أدبنا و تراثنا الفكري ما زال مادة خاماً و إحياء التراث ليس عملية سهلة و لكنه جهد نزيه لا يقوم به إلاّ من آمن بأهميته و دوره في الحياة الفكرية و الثقافية و الروحية للفرد و المجتمع و يقدّر جهود الآخرين أولئك الذين أنتجوه في ظروف قاسية يوم كان الأديب محرّماً عليه أن ينطق بلغته القومية فضلا على أن يكتب أدبًا أو فنًّا.

## ثانيا- إشكالية البحث:

قد كانت تساورني تساؤلات عديدة تخص موضوع البحث؛ و التي تعد إشكالية البحث و قد صغتها على النحو الآتي: من هو الأديب محمد الصالح رمضان؟ و ما هي ظروف العصر الذي نشأ فيه؟ كيف تعلّم و علّم و أسهم و أبدع ؟ ما هي رحلته الأدبية التي قام بها؟ و ما هو تكوينه الفكري و الوجداني؟ و أبرز السمات النقدية التي طبعت عمله هذا؟ و ما مقدار عنايته بالفنون النثرية الأخرى كالمسرح على سبيل المثال؟

## ثالثاً- هيكل البحث و خطته:

و للإجابة على إشكالية البحث جاء البحث مقسما على النحو الآتي: مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة و فهارس مختلفة.

- تناول الفصل الأول عصر الكاتب و حياته و اتبعت في رصد ملامح عصر الكاتب جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الفكرية إبان الاحتلال الفرنسي الغاشم.

- أما الفصل الثاني فقد عني بدراسة الرحلة الأدبية عند محمد الصالح رمضان و استهليته بتمهيد عرفت فيه بأدب الرحلة و مراحل تطور هذا الأدب في الجزائر و أشهر الرحالة و اتجاهاتهم ثم أردفت ذلك بالتعريف برحلة الأديب و الرحالة" محمد الصالح رمضان " و إطارها العام ثم تلا ذلك دراسة مضمون الرحلة و رصد جوانبها جوانبها الجغرافية كمسار الرحلة و وصف المدن و المسالك و الجانب الاجتماعي المتمثل في عادات أهل البلد الذي شدّ إليه الكاتب الرحال و كذلك الجوانب السياسية و الاقتصادية و الدينية و الثقافية و حتى المعالم الحضرية.

ثم خصصت المبحث الثاني لدراسة خاصيات السرد و بيان أنواعه و وظائفه. و تلا ذلك مبحث ثالث عني بعنصري الزمان و المكان في الرحلة من مثل: الترتيب الزماني و المكاني للأحداث من خلال اللواحق و السوابق السردية الموضوعية و الذاتية ... و كذلك ما يخص الشخصيات و اللغة في الرحلة محل الدراسة.

أما الفصل الثالث: فقد خصصته لدراسة الأعمال المسرحية لـــ" محمد الصالح رمضان ". و بعد تمهيد أشرت فيه إلى وضع المسرح في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية و اتجاهاته تطرقت إلى أعماله المسرحية في مبحث تناول الدراسة التحليلية و النقدية لكل من مسرحية" الخنساء "، "الناشئة المهاجرة "، " المولد النبوي الشريف " ثم مبحث ثان خصصته للدراسة الفنية تناولت فيه العناصر الآتية: الحبكة و البناء الدرامي و الصراع الدرامي و الحوار الدرامي.

أما خاتمة البحث فقد أوجزت فيها مجمل النتائج المتوصل إليها في البحث. و ألحقت البحث بفهارس مختلفة و هي فهرس الأعلام و فهرس المصادر و المراجع و فهرس المحتويات.

## ثانيا- منهج البحث:

و للإجابة عن هذه التساؤلات بدا لي أن المنهج البنوي الذي يعتمد على الوصف و الاستقصاء الدقيق لبنيات السرد هو الأنسب دون إغفال جانب التعليل و التفسير. كما استفدت من النظريات الحديثة في تحليل القصة لأن أدب الرحلة يعد مزيجاً من فن القصة و فن المقال و كتابة الخاطرة و السيرة الذاتية كما اعتمدت على المنهج التاريخي الذي ساعدني في رسم صورة عن حياة المؤلف و المراحل التي عاشها.

## رابعاً- المصادر و المراجع:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مصادر متنوعة تمثلت في كتب الكاتب محمد الصالح رمضان و جرائد و مجلات لها علاقة وطيدة بموضوع البحث و مراجع مختلفة.

## خامساً- صعوبات البحث:

و إن كان لا بُدَّ من الإشارة إلى العراقيل التي واجهتني في بحث فهي في الحقيقة لم تزدني إلاّ إصراراً على المضي في طريقي و عزماً على إتمام العمل فتلاشت كل العراقيل أمام ما جنيته من فائدة و متعة علمية أثناء المقابلات التي جمعتني و الأديب" محمد الصالح رمضان " في بيته – رحمه الله – و التي لم يبخل علي بما عنده من علم و معلومة و مصادر و مراجع فعرفت فيه الإنسان الأديب المتواضع الذي يغمر الباحث و طالب العلم بمعارفه الواسعة و وده البريء من الرياء.

و لكن هناك ثمة صعوبة حزت في نفسي هي رحيل الأستاذ المشرف الأول" محمد بن سمينة " و التحاقه بالرفيق الأعلى رحمه الله. و البحث لم يصل إلى نهايته لولا قبول الأستاذ د/ مولود بغورة مواصلة الإشراف.

و في الختام أتقدم بالشكل لأستاذتي الأجلاء لما قدموه لي من إرشادات علمية و توجيهات سديدة و أخص بالذكر.

أستاذي الفاضل الذي أخذ بيدي أثناء دراستي في قسم الليسانس و الماجستير و ساندني بروح المعلم و الموجه و الأب الناصح الأستاذ الدكتور: محمد بن سمينة رحمه الله و طيّب ثراه.

أدين بالفضل و العرفان للأستاذ: د." مولود بغورة " الذي قبل مواصلة الإشراف ورعى هذا البحث أحسن رعاية و أفادني بتوجيهات قيِّمة كان لها أثرها في بروز هذا البحث على هذه الصورة.

فهذه لبنة صغيرة أتقدم بها بكل تواضع لضمها إلى صرح العلم راجبة أن تناول من أساتذتي و إخواني لمحة رضاء تدفعني للسير على الدرب و لا أدعي بلوغ المقصد فيما وصلت إليه و لكن يداعبني الأمل في أن تنال تقديرهم راجبة أن يكون لي فيما قدمت من مجهود شفيع لما أكون قد سهوت عنه.

و الله من وراء القصد و هو ولي التوفيق.

# الفصل 1
# محمد الصالح رمضان، عصره وحياته

## 1.1 عصر محمد الصالح رمضان

### 1. 1. 1. السياسة الاستعمارية في الجزائر.

من الثابت تاريخياً أن احتلال فرنسا للجزائر ما هو إلا امتداد لفضائح الحروب الصليبية، دشنه الملك" شارل العاشر " يوم تهيأت أول حملة عسكرية لاحتلال الجزائر بخطاب قال فيه:« إن العمل الذي ستقوم به الحملة ترضية للشرف الفرنسي سيكون بعناية العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء »[02] ص83.

وقد أكد أحد المرشدين العسكريين هذه النظرة الصليبية حيث قال:« إن مرشدي الجيش جاءوا ليفتحوا هم أيضا إفريقيا هذه باسم الإنجيل »[03] ع 83- 84، السنة 1980، ص83.

ولم يتورع زبانية الاحتلال الغاشم عن بذل كل ما في وسعهم من أجل تحويل الجزائر إلى مستعمرة لاتينية، وجاء الكردينال" لافيجري " وبارك هذا الاحتلال الصليبي بأعماله التنصيرية وأوصى بالقضاء التام على الإسلام و العروبة، و توالت القرارات الجائرة من الإدارة الاستعمارية( مثل قرار 1830/12/27 الذي أصبحت بمقتضاه كل الأوقاف ملكا للدولة ) مصادرة للأملاك الدينية وتحويل الأوقاف إلى ملكية الدولة والتصرف في المساجد وتحويل عدد منها إلى كنائس، وقد ذكر أحد النواب أن الإدارة الاستعمارية جعلت من المساجد كنائس، تنشر المسيحية وتبشر بها في قطر إسلامي واستعملت في سبيل ذلك أموال المسلمين[04] ص105.

كما أبدى أسقف الجزائر" دبوش " موقفا أعرب فيه أن أوربا ستستعمل مشرعها الذي بدأت تنفيذه أثناء الحروب الصليبية[05] ص262.

وأسست طائفة الآباء البيض التي استغلت الكوارث التي حلت بالشعب الجزائري واتخذتها ثغرات تنفذ منها لتحقيق أهدافها في تنصير أبناء الشعب مستغلة الظروف المعيشة السيئة( مثل المجاعات التي أعقبت زلزال البليدة 1867 وانتشار مرض الكوليرا وظهور القحط )[03]ع 33 ماي 1976، ص7- 29. و[06]ص61.

وراحت هذه الطائفة تجوب البلاد لإغراء الضحايا من المرضى والعجزة والأيتام وحملهم على الدخول في المسيحية كشرط لإنقاذهم من الموت.

ناهيك عن انتشار الأمية والبؤس فأوشكت الثقافة العربية على الاندثار ونستدل في هذا المقام بما قاله وصوره" محمد فريد " خلال زيارته للجزائر في أوائل القرن العشرين« هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء »[07]ص134.

ونتيجة لذلك كان رد الفعل الشعبي هو النفور من الهيئات الرسمية إلى هيئات شعبية فكان الارتماء في أحضان الطرفية التي تنج هي الأخرى من الاحتواء الاستعماري.

ومن الطبيعي– في ظل هذا الوضع- أن تنشر الأمية ويسود الجهل ويحاصر العلماء ويطاردون وتغلق أبواب العلم والثقافة ويفسح المجال واسعا للنشاط التبشيري الذي كان وسيلة استعمارية قاسية. فأصبحت الجزائر غارقة في كبت فكري واضطهاد ديني وميز عنصري يفوق في أنواعه ومداه كل تصور فلا دوله ولا علم ولا جيش ولا أي وجود وطني آخر إلى جانب الوجود الفرنسي.

ورغم هذه المحاولات الرامية لتنصير الجزائر عن طريق نشر المسيحية بواسطة أموال الأوقاف الإسلامية والإكثار من المعابد اليهودية والكنائس المسيحية وهدم المساجد، إلا أن الجزائريين لم يرتدوا عن دينهم الإسلامي ولم يفرطوا في لغتهم العربية وهذه شهادة الدكتور" غوستاف لوبون " عالم الاجتماع الفرنسي معلقا على مسألة تنصير أبناء الجزائر: « فأما ما يختص بالعرب فقد استشهدت بقصة أربعة آلاف يتيم الذين تولى أمرهم الكردينال" لافيجري " فعلى رغم تربية هؤلاء تربية مسيحية بعيدة عن كل تأثير عربي رجع أكثرهم إلى الإسلام بعد أن بلغوا سن الرشد »[08]ص169.

وعمد هؤلاء الغزاة إلى تشويه الإسلام في نظر أبنائه ورموه بالتخلف وهذا ما كتبه بعض الفرنسيين من أمثال المستشرقين" ماسينيون " و" روبير آشيل " ويعد هذا الأخير من أبرز ما سخره الغزاة في العشرينيات لهذا الغرض بكتابته سلسلة من المقالات في الجريدة الفرنسية " La depeche de constantine " زور فيها حقائق الإسلام وطعن في كتابه المعجز( القرآن العظيم )[09]ص12.

باءت محاولات الاحتلال بالفشل أمام بسالة الشعب الجزائري وتمسكه بعقيدته فكانت المساجد وبعض الزوايا مراكز للإشعاع الروحي الذي ربى النفوس على حفظ الدين ورفض الاحتلال والذوبان في بوتقته الذي كان في نظر المواطن الجزائري دخيلا كافرا بالدرجة الأولى دنس بدناءته وكفره أرضا عربية إسلامية والانتصار عليه هو أولا انتصار على الكفر.

والاستعمار أدرك كل الإدراك أن المعرفة توقظ الوعي والوعي يقود إلى الثورة والثورة تكتسح وجوده، فخشي من انتشار الوعي الديني الذي سيقود حتما إلى الوعي السياسي.

وبسبب سياسة الاحتلال المقيتة وقمعه المسلط وإرهابه البوليسي ومحاربته لرجال الدين، والدعاية للشعوذة والطرقية خدمة لركابه وتمكينا له في أراضي غيره تشتت جهود الأمة وأصبح الشعب يتخبط في فساد اجتماعي وتدهور أخلاقي يئن تحت وطأة القوانين الاستثنائية فاختلت نظم وقيم المجتمع.

لكن رغم سياسة الحديد والنار التي دامت مائة واثنين وثلاثين عاما لم تستطع فرنسا أن تطفئ جذوة الإسلام في نفوس الجزائريين، هذا الدين الذي كان سر قوتها وعدم ذوبانها وتلاشيها المعنوي في بوتقة الإدماج والفرنسية والتنصير.

وكان إلى جانب ذلك أثر الحرب العالمية الأولى 1914 في بروز نوع من الوعي السياسي لدى فئة من الأهالي خاصة أولئك الذين أسهموا إلى جانب القوات الفرنسية في حروبها، فسرى في نفوسهم وعي بمشكلات الجزائر السياسية.

كما يعتبر الإصلاح الديني والاجتماعي الذي عرفته الجزائر فيما بعد والذي تحملت أعباؤه الحركة الإصلاحية لم يكن غاية في حد ذاته وإنما كان وسيلة لإحياء ذاتية الشعب الجزائري وتوسيخ الإيمان باستقلال الوطن الجزائري عن فرنسا.

بعد 1914 شهدت الجزائر أحداثاً كثيرة كان لها الأثر الفعال في توجيه معظم أدباء الجزائر في مختلف المراحل الأدبية فأصاب شيء من ذلك الأديب" محمد الصالح رمضان ".

## 1. 1. 2. الحركات السياسية في الجزائر.

### 1. 1. 2. 1. حركة الأمير خالد.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظهر عند الجزائريين جو من التطلع والتغيير خاصة بعد الإعلان عن مبادئ الرئيس الأمريكي" ولسن " الذي أعطى أملا للشعوب المستعمرة في تحقيق استقلالها خلال هذه الفترة تعتبر حركة الأمير خالد رائدة في جمع شتات الشباب الناهض مطالبة بالحقوق السياسية فكان صوت الأمير خالد( خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري ولد بدمشق 1875 وتوفي بها سنة 1936 ) يجهر بالحق ويدعو الشعب لجمع الشمل فأيقظ الشعور الوطني وأحيا الأمل في النفوس فكانت حريته النواة الأولى للحركة الوطنية الحديثة.

اتخذت حركة الأمير خالد من صحيفة" الأقدام "( وهي جريدة الاتجاه الوطني الواضح كانت مزدزجة اللغة سياسية تربوية اقتصادية صدر منها حوالي 180 عدد )[10]ص151 وسيلة إعلامية ومنبرا لإيصال صوتها التحرري إلى الضمائر الحية، وكانت حادة اللهجة، جريئة في الدفاع عن الجزائريين، ومهاجمة الإدارة الاستعمارية.

ومن أهداف حركة الأمير خالد: المطالبة بالمساواة التامة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتتجلى أهداف هذه الحركة في المطالب المعروفة باسم" مطالب الأمير خالد العشرة " والتي قدمها باسم حركة النواب المسلمين إلى رئيس وزراء فرنسا عام 1925[01]ص621-627 و[04]ص138- 139.

وركز نشاط منظمته السياسي على الدعاية وسط الجزائريين بهدف بعث الشعور الوطني، ورفع مستوى وعيهم السياسي، أما الفرنسيون فكان يهدف إلى إقناعهم بعدالة مطالب شعبه.

أما المحتل الغاشم– فكان كدأبه تفزعه المواقف الحازمة وترهبه الأعمال الجادة- فرأى في حركة الأمير خالد ما يهدد وجوده فسارع إلى وأدها وتوقيف صاحبها وإخراجه من بلاده فمات منفيا بالشام سنة 1936(كما قامت رابطة شيوخ البلديات الأوربيون في الجزائر بحملات عنيفة ضد الأمير خالد حتى حملوا الوالي العام الفرنسي في الجزائر على نفيه منها عام 1925 )[11]ص80-81.

إلا أن جهاد الشعب لم يتوقف ولم تخمد ثورته بل ازدادت دائرة نشاطه السياسي توسعا وفاعلية فكان من ذلك ظهور تيار وطني آخر ممثلا في حزب نجم شمال إفريقيا.

## 1. 1. 2. 2. حزب نجم شمال إفريقيا.

تكونت جمعية نجم شمال إفريقيا في باريس سنة 1925 بزعامة " أحمد مصالي الحاج ".

في بداية مشوارها كانت عبارة عن هيئة لإغاثة أبناء شمال إفريقيا ثم أصبحت عام 1926 جمعية سياسة تعمل للدفاع عن كيان المغرب العربي وتطالب بحقوقه السياسية والاجتماعية.

ويعد هذا التيار الوطني هو الأكثر فاعلية لأن أهدافه تتمثل في تحقيق الاستقلال التام لأقطار المغرب العربي الثلاثة.

وكان هذا الحزب أول منظمة سياسية تنادي بالاستقلال التام للجزائر.

قامت فرنسا بحل الجمعية عام 1929 ثم ظهرت للوجود تحت اسم" الاتحاد الوطني للمسلمين المغاربة " واتخذت عدة قرارات جريئة منها:

- إلغاء القوانين الاستثنائية وفي مقدمتها قانون الأندجينا( قانون الأهالي ظهر عام 1874 وظل معمولا به حتى 1944 وهو عبارة عن استثناءات ظالمة تطبق على الجزائريين )[12]ص106، وركزت جمعية نجم شمال نشاطها على التحرير السياسي والإصلاح الاجتماعي ولذلك حاربتها فرنسا وتمكنت من القضاء عليها في 1937[13]ص36.

إلا أن محاربة فرنسا لها لم يحد من نشاطها فظهرت باسم جديد" حزب الشعب الجزائري ".

## 1. 1. 2. 3. حزب الشعب الجزائري.

أسسه" مصالي الحاج " في 11 مارس 1937 بعد أن حلت حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا " جمعية نجم شمال إفريقيا " ويعتبر الحزب امتداد لمبادئ وعقيدة وأهداف" نجم شمال إفريقيا " ولا يفترق عنها سوى في الاسم.

وقد تميز حزب الشعب بطابعه الاستقلالي الثوري الذي لا يؤمن بأنصاف الحلول، ولهذا السبب تعرض قادة الحزب وأعضائه إلى السجن والاضطهاد إذ كانوا لا يكادون يغادرون السجون الاستعمارية بسبب نشاطهم الوطني الكبير حتى قيام الثورة الجزائرية 1954[14]ج3ص15 وما بعدها.

## 1. 1. 2. 4. دعاة الإدماج.

نشأت هذه الحركة في 1930 عن طريق تجمع بين النواب الجزائريين في المجالس العمالية الثلاث وكان زعمائها الدكتور" بن جلول " والصيدلي" فرحات عباس".

وكانت جل مطالب هؤلاء النواب الذين تجمع بينهم ثقافتهم الفرنسية تتمحور حول المطالبة بمساواة الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية.

وترى هذه الحركة أن الإدماج هو الخطوة الأولى للوصول إلى مرحلة تقرير المصير وهناك من نادى بالتجنيس الكامل للجزائريين بما في ذلك التنازل عن الشخصية الجزائرية.

وكانت هذه الحركة تنادي لفكرتها عن طريق الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية.

ولقيت دعوى الإدماج معارضة قوية من أفراد الشعب الجزائري مما جعلها تفشل فشلاً ذريعاً[14]ج2ص328.

## 1. 1. 2. 5- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أقامت فرنسا احتفالا صاخبا بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها للجزائر، وقدرت لها أن تدوم ستة أشهر كاملة، وقد أنفق الفرنسيون أموالا طائلة على هذه الاحتفالات التي اتخذت صورة استفزازية بالنسبة لمشاعر الجزائريين[15]ع21ص143، « ففكأت بذلك جرحاً في الأعماق طالماً تنزى دماً، وأججت في النفوس لهيب النخوة الوطنية والغيرة الإسلامية »[16]مج1ص295.

وطغت على هذه الاحتفالات الروح الصليبية المعادية للإسلام فراحت فرنسا من خلالها تتبجح بدفن جنازة الإسلام، إلا أنها كانت تمثل للجزائريين عهد بعث وطني من أجل استرداد الحقوق والاستعداد للجولة السياسية الفاصلة مع فرنسا[14]ج2ص328.

إذا وفي ظل هذه الظروف برزت فكرة تكوين جمعية العلماء الجزائريين للذود عن عروبة الجزائر وإسلامها وتم تكوين الجمعية من صفوة علماء الجزائر ومن هؤلاء الأعلام الشيوخ: عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، العربي التبسي، مبارك الميلي وغيرهم.

وتأسست الجمعية رسميا في الخامس من شهر مايو 1931 واتخذت مقرا لها –في بداية تكوينها- " نادى الترقي " الذي أسس بالعاصمة في 1926 وكان العلامة" ابن باديس " رئيسا لها حتى وفاته في 16 أفريل 1940.

وعين بعد ذلك نائبه" الشيخ البشير الإبراهيمي " واستمر يشغل هذا المنصب حتى حُلّت الجمعية بعد قيام الثورة 1954 وذلك سنة 1956.

وتتمثل مبادئ الجمعية في: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا( ينسب أحمد توفيق المدني صيغة هذا الشعار إلى نفسه وأنه أعلنه في سنة 1926 في إحدى خطبه في نادي الترقي وأن الشعار ليس لابن باديس كما هو مشهور ولما استفسرت عن ذلك لدى الشيخ محمد الصالح رمضان أكد لي جازما أن الشعار لابن باديس )[17]بتاريخ 10 مارس 2006.

وأهم أهدافها: إصلاح العقيدة والمطالبة بحرية التعليم العربي، والدفاع عن الشخصية الجزائرية، العمل على إحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها، المطالبة باستقلال القضاء...[18] ع3 السنة1947ص1.

كان للجمعية فضل بارز في مقاومة نشاط رجال التبشير المسيحي وإحباط سياسة الاندماج والتجنس« والواقع أن جمعية العلماء لعبت دورا بالغ الأهمية في التاريخ الجزائري الحديث ويمكن القول أنها هي المنظمة الوطنية التي يعود إليها الفضل في بقاء الإسلام والعروبة في الجزائر حتى اليوم وإنقاذ الجزائر من مخاطر سياسة الإدماج والفرنسة »[19]ص70.

لقد كانت الجمعية تناضل في سبيل تربية الشعب وتنظيمه لمقاومة الاحتلال.

« فبفضل مجهودات رجال هذه الجمعية عرفت الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية نشاطا عظيما وحيوية بالغة في الميدانين الثقافي والسياسي ورغم مختلف العراقيل التي كانت تعترض سبيلهم لم يعرفوا تهاونا في العمل ولا حفودا في الهمة ولا فتورا في العزيمة، الأمر الذي أكسبهم ثقة الشعب وتأييده »[20]ع1السنة1- 1964ص46.

ولهذا يعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أكبر مؤسسة تربوية دعوية إصلاحية حضارية عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث وتعد رائدة النهضة التعليمية الحرة التي كان لجهودها التعليمية والتربوية والإصلاحية أثرها البارز في النهضة الوطنية العامة واستطاعت أن تنجح في أهدافها[21]ص38 وما بعدها.

وهذه شهادة أحد أقطابها الشيخ البشير الإبراهيمي حين قال:« رأيت بعيني النتائج التي حصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم" ابن باديس " واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها" ابن باديس " هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر وأن هذه المجموعة من التلاميذ التي تناهز الألف هي الكتيبة الأولى من جند الجزائر »[22] ع 87/ مايو- يونيو 1985ص25.

وقد كان الكاتب" محمد الصالح رمضان " أحد جنود هذه الكتيبة الذين تكونوا في صفوف الجمعية ونهلوا من معارف أقطابها.

## 1. 1. 2. 6- المؤتمر الإسلامي.

عين" موريس فيولت " حاكماً عاماً على الجزائر في أواسط العشرينات، وقد أبدى استعداده للنظر في الحالة الأهلية وإجراء بعض الإصلاحات فكان نموذجاً مميزاً عمن سبقه على رأس الولاية العامة.

وقد عبر هذا الحاكم العام عن إصلاحه عن طريق مشروع سياسي عرف باسمه " مشروع فيولت " وينص على منح الجزائريين حق التمثيل والانتخاب وإصلاح التعليم وإلغاء المحاكم الخاصة[14] ج3ص17.

وقد وقف المستوطنون ضد هذا المشروع ثم عدل فصرح فيه بلزوم المحافظة على الشخصية الإسلامية وتقبلته الأمة أو الأغلبية( هناك أقلية رفضته ).

وقدم المشروع أمام البرلمان الفرنسي 1935 وكانت النتيجة أن رفضه البرلمان « وبدأت بعض الدوائر في أعقاب ذلك تناور في الميدان تحيك المكائد والدسائس مستهدفة الأمة في شخصيتها وحقوقها وذلك عن طريق استمالة بعض السياسيين الجزائريين للتنازل عن مقومات شخصيتهم .. » [21] ص29.

فوجه ابن باديس دعوة إلى كل القوى الوطنية لعقد مؤتمر لبحث ما يهدد حاضر الأمة ومستقبلها فاستجابت الأمة لهذه الدعوة فاعتبر هذا المؤتمر شكلا من أشكال التلاحم للذود عن حياض اللغة العربية والتمسك بالشخصية العربية الإسلامية.

انعقد المؤتمر الإسلامي في 07 جوان 1936 فشكل جوابا سياسيا صريحا لمبدأ الجمعية وغايتها.

وجه الإمام ابن باديس دعوته لعقد المؤتمر في جريدة الدفاع الصادرة باللغة الفرنسية لصاحبها الأستاذ محمد الأمين العمودي في عددها الصادر بتاريخ 03 يناير 1936[19]ص70.

« فهبت الأمة الإسلامية الجزائرية بجميع طبقاتها على تلك الدعوة الجامعة التي أذاعها الأستاذ (عبد الحميد بن باديس ) رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدكتور بن جلول رئيس جمعية النواب بعمالة قسنطينة إلى عقد مؤتمر إسلامي عام تعرض فيه مطالب الأمة وحقوقها ... فأعلنت الأمة يقظتها وتضامنها ... »[18] ع23ص18.

وقد تساءل البعض كيف لحركة إصلاحية دينية أن تتحالف مع أطراف شيوعية اندماجية ؟

« إن الشيخ ابن باديس لم يتردد في التحالف مع الاتجاهات السياسية الأخرى شريطة أن يكون ضد الاستعمار؛ ومبدأ الجمعية هو الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء »[23] ع40-17 أفريل 1976 ص12.

رأى أعضاء الحركة الوطنية« أن يقفوا موقفا وسطا فلم يجاروا السلطة في مزاعمها ولم يرفضوا التعامل معها لأن التزام الغياب التام عن الساحة السياسية في هذا الوقت يترك المجال فارغا أمام المحتلين فيصلون إلى أهدافهم »[21] ص30.

سافر الوفد إلى باريس حاملا مطالب الأمة في الثامن عشر من يوليو 1936 ثم رجع إلى أرض الوطن وليس معهم إلا الوعود.

فخاطب ابن باديس الشعب قائلا:« اعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة ووراءه خطوات ووثبات، وبعدها إما الحياة وإما الممات »[24] ج5ص317.

## 1. 1. 3. العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

### 1. 1. 3. 1. العامل الاجتماعي.

للاحتلال الفرنسي عدة صفات من جهنم منها أن من ابتلي به لا يموت ولا يحيا كما أن من دخل جهنم لا يموت فيها ولا يحيا والاحتلال الفرنسي في الجزائر كله دائر على هذه الصفة، فبعد تشريد الأهالي وتدمير المنشآت ومصادرة الأراضي والممتلكات، راح يقود حرباً أخرى روحية تمثلت في محاولة القضاء على روح الأمة وكسر شوكتها وتشتيت وحدتها، فقام الاستعمار ينشر الفساد ويفتح الحانات وقاعات العرض في فنون الغواية وتشجيع الشباب على الرذيلة و« السرقة والإجرام من أجل قتل الروح المعنوية لدى الشباب المسلم .. حتى تضمحل القيم الفاضلة وينصرفوا عن قضاياهم الأساسية إلى أمورهم التافهة »[19] ص71.

فأضحى المجتمع الجزائري مجتمعاً مريضاً يعاني قهر وظلم المستعمر وضعف العقيدة والخنوع، فضاعت القيم الفاضلة وساد الفساد وعم الجهل وانغمس الشباب في أوحال الرذيلة وقنعوا بذل العيش الاستسلام وانصرفوا عن نور التبصرة القرآنية الصحيحة« ففاتهم من أخلاق دينهم وتعاليمه الصحيحة ما يأخذ بيدهم وينير سبيل سعادتهم فدخل عليهم من الأخلاق ما غير وجهتهم السديدة وبدل سيرتهم الرشيدة... فانحلت عراهم ووهنت قواهم »[18] ع4، 1936/01/24 ص15.

لقد ساءت التربية فنشأ الطفل محروماً من كل شيء حتى من مقعد الدراسة بل حتى من براءة الأطفال فأحنى الظهر ماسحاً للأحذية وعتالا في الأسواق فمن أين له أن يكون إنساناً قويماً ؟

« وهكذا فتح الطفل الجزائري عينيه في ظلمات البيوت القصديرية وشحت عليه " الأم الحنون " ببصيص من نور المعرفة، فعرف آلام الجوع رضيعاً وسعت به قدمه طفلاً في تسكع وضياع بحثاً عن

قطعة خبز يسدّ بها جوعته »[16] مج1ص267 والأخلاق تتكون-حسب علماء الاجتماع- من عوامل أربعة:

التربية والاقتباس والإرث والبيئة، وإذا فقدت هذه السلسلة حلقة من حلقاتها جاء صرح الأخلاق غير ثابت الدعائم[18] ع4، 1936/01/24 ص15، والطفل عرضة لتلقي الاستقامة والسلوك الحميد كما هو عرضة إلى الاعوجاج، حسب نوعية التربية التي يتلقاها في بيئته، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في هذا المعنى:« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »[25]ج10، كتاب القدر، ص88.(جمعاء: مجتمعة سليمة من كل نقص لا توجد فيها جدعاء وهي مقطوعة الأذن ومعناه أن البهيمة تلد بهيمة ويد الإنسان هي المي تجدعها ).

وفي الحقيقة أن الاستعمار لم يعزز قوته ولم يبسط نفوذه على الجزائر إلا بعد أن أوجد السبل التي مهدت له السيطرة كضعف النفوس وفساد الأخلاق وانصراف الشباب إلى الموبقات فتكونت لدى هذه النفوس قابلية للاستعمار[26] ص156، فكان الشباب تمثل رجل وقع في أرض فلاة يجهلها وقد غشيه ظلام شديد فنظر وراء فلم يتبين شيئا ونظر أمام فلم يتبين شيئا وخاف إن تقدم أن يهلك ولو كان بيده مصباح لتعرف به ما وراءه وما قدامه[18] ع4، 1936/01/24 ص15.

وأشار ابن باديس في بعض كتاباته إلى حالة الشباب الجزائري قبل الحركة الإصلاحية وكيف كانت على درجة كبيرة من السوء والانحطاط فقال:« .. ولم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه ... وحقره في نفسه تحقيراً ... وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع »[01]، ج1 مج14 ع مارس 1938 ص1- 7.

ثم كانت حاجة الجزائر لهذا المصباح لتنظر تاريخها المجيد وتبصر أمامها فتتبين واقعها المر وتتطلع إلى مستقبلها إلى أن بعث الله للجزائر من أبنائها الصالحين رجالا كانوا لها منارات أعادوا لها عزها وحفظوا أصالتها وإسلامها وعروبتها وحملوا على عاتقهم مهمة الإصلاح الاجتماعي والديني والثقافي الذي أتت ثماره يانعة فمن طالب علم إلى داعي ثورة ومن قابع أمام معلم إلى قابع خلف رشاش يدك قلاع الاستعمار.

## 1. 1. 3. 2. العامل الاقتصادي.

لقد ابتلى الشعب الجزائري بالاحتلال الفرنسي الذي مارس ضده كل ألوان الظلم والقهر والاستبداد فلم يعدم وسيلة من وسائله الجهنمية في تفقير الشعب والاستيلاء على موارد رزقه والاستحواذ

على أراضيه الخصبة، وتمليكها إلى المعمرين الوافدين( ينظر في مساحة الأرض التي استولى عليها المعمرون )[06]، ص70.

والطابع العام للاقتصاد الجزائري أنه اقتصاد استعماري تابع لاقتصاد دولة الاحتلال يعتمد في الأساس على ما تنتجه الأرض من محاصيل زراعية أو ما يستخرج من باطن الأرض من مناجم مختلفة وهو بالدرجة الأولى اقتصاد في خدمة الاحتلال والمستوطنين الأوروبيين الذين استحوذوا على الهياكل الاقتصادية فسياسة نزع الملكية من أصحابها لاستيطان المعمرين أسلوبا لطرد الجزائريين وإبعاد الوحوش من الأماكن الآهلة على حد تعبير السفاح" روفيغو "[04] ص77.

كانت أراضي الأوقاف الإسلامية في الجزائر قبل 1830 تمثل جزءاً كبيراً من الأراضي الزراعية أوقفها أصحابها على مختلف أوجه البرد والإحسان كالمساجد والزوايا وبعض الأماكن المقدسة كالحرمين في مكة والمدينة.

وقد قدر بعض الباحثين جملة أراضي الأوقاف التي استولت عليها الإدارة بعد الاحتلال بمليونين هكتار من أجود الأراضي وأخصبها.

وأعلن الجنرال" بيجو " في 14 مايو 1940 في مجلس النواب الفرنسي أنه« حيث وجدت مياه غزيرة وأراضي خصبة يجب أن يقيم المعمرون دون الاهتمام بالسؤال عن أصحاب الأرض »[06] ص108 وطبقاً لهذه السياسة تم الاستيلاء على الأراضي خاصة مناطق التل الخصبة فخرجت مصادر الثروة الرئيسية من أيدي الجزائريين[04] ص115.

واضطر الجزائري الذي سلبت منه أرضه أن يعمل أجيرا عند المعمرين« مهضوم الحقوق، ذليل الجانب، تقهره الحاجة وتذله المسغبة، وأصبحت حاله أشبه شيء بحالة عبيد الأرض في القرون الوسطى »[16]،مج2 ص83، فتخبط في الفاقة والحرمان وأثقلت الديون كاهله وأذلته سوق الربا الذي روجه الاستعمار، وتحكم فيه اليهود.

وفي الميدان التجاري لم يجد التاجر الجزائري مكانه وسط سيطرة يهودية مرابية.

أما ميدان العمل فتميز بالبطالة الحقيقية بسبب تقلص ملاك الأرض ونقص الهياكل الصناعية وخاصة اجتياح الأزمات الاقتصادية الجزائر وتحمل الأهالي آثارها السلبية( سنوات 1920- 1926 بلغت المجاعة حدا لا يوصف فمات الناس جوعا )[25] ع4، 1951/5/21ص6.

وفي ظل هذه الأوضاع فكل الجزائريون في الهجرة إلى فرنسا بحثا عن موارد الرزق، لكن فرنسا اصطنعت المبررات للحد من هذه الهجرة بدعوى أن الجزائريين يقومون بأعمال معادية لفرنسا ويثيرون الشغب فأصدر" شوطان " وزير الداخلية الفرنسي قرارا في 08 أوت 1924 قيد فيه هجرة الجزائريين إلى فرنسا.

وألغت السلطات الاستعمارية هذا القرار بعد الحادث المأساوي الذي ذهب ضحيته اثني عشر عاملاً جزائرياً في باخرة" سيدي فرج "[28] ص 285.

## 1. 1. 4. العوامل الثقافية والفكرية:

قد تنصب الأقلام وتضيق الصحف عن جمع الشواهد والبراهين عما بذله الاحتلال لإبادة الجزائري والقضاء على عقيدته وتراثه وطمس معالم شخصيته.

فطبيعة الحياة التي كان يحياها الشعب الجزائري تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، إن لها انعكاس سلبي على الحياة الثقافية، قام المحتل بإغلاق مراكز التعليم العربي وحول المساجد إلى كنائس ومنع الأهالي من مزاولة التعليم العربي.

فانتشر الجهل وحرم الشعب من مقومات العلم وضاقت مجالات المعرفة وتفشى الجمود الفكري والديني وحوربت اللغة العربية وأصبحت دراستها فعلا إجراميا يوقع صاحبه تحت طائلة القانون[29] ص127- 131.

فاقتصر التعليم على بعض الزوايا التي كانت لا تتعدى في تعليمها القرآن الكريم دون التطرق إلى تفسيره ومن العدل والإنصاف أن نقر بفضل هذه الزوايا في المحافظة على القرآن الكريم ولغته رغم بساطة الطرق المتبعة في التعليم.

فلم تكن الحياة الفكرية والأدبية بأحسن حال من مجالات الحياة الأخرى كالدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكان من نتيجة هذه الممارسات القمعية أن« تشتت كل الجهود العقلية المنتجة وتشرد الأدباء والشعراء .. »[30] ص19.

« فاعتقد الناس في الخارج أن الوجود الجزائري قد امحى بصفة نهائية فصدق إخواننا الشرقيون بأن لا عربية في الجزائر ولا عروبة »[31] ص188 وقد بلغ الأمر بالغاصب المحتل أنه كان يعتبر حصول الجزائري على جزء أو مستوى من الإدراك العقلي خطرا يهدد كيانه وحضوره الاستعماري ونستدل هنا بما ذكره الأستاذ" مالك بن نبي " في كتابه" في مهب المعركة " قصة جزائري دعى أمام

حاكم فرنسي في منطقة" تبسة " ليختبر مستواه الثقافي حتى يسند إليه عملاً يومياً بسيطاً فعندما خرج الجزائري من مكتبه سجل الحاكم هذه الملاحظة« فكل خطير إنه يعرف الحساب إلى العشرة »! [32] ص25.

وتدل هذه القصة على فزع الاستعمار من انتشار المعرفة بين أفراد الشعب الجزائري حتى ولو كانت على هذا المستوى المحدود جداً.

ومن جهة أخرى عمل الاستعمار على نشر التعليم الأجنبي في بعض الأوساط « وهذا التعليم الأجنبي مرسومة أهدافه لخدمة أغراضهم »[21] ص40.

فظاهرة الاحتلال زادت الحياة سوء على سوء وتراجعت درجة التعليم تراجعا مذهلاً.

لقد عانى الجزائريون من الحرمان فكانوا فريسة هشة للجهل والفقر والمرض إلا أنه لم يستسلم للتيار التغريبي وظل متشبثا بلغته التي هي أداة لفهم دينه وليس غريباً أن يقترن الدفاع عن اللغة بالدفاع عن الأرض فكلاهما رمز الوجود والدفاع عنهما هو وقوف في وجه طوفان الفرنسة والإدماج فكان إصراراً قويا وتحدياً عظيماً رغم أساليب المستعمر في القضاء على اللغة العربية وسد المنافذ أمامها واغتنام كل فرصة لقطع سبل الحياة أمام الناطقين بها( تم اصدار قرارات جائرة لمنع تعليمها، و اعتبارها لغة أجنبية و أهم هذه القرارات قرار 1892/10/18 الذي صعب عملية الحصول على رخصة فتح مدرسة عربية و قرار 1904 الذي يمنع التعليم بدون رخصة و قرار 1938/03/08 ضد التعليم العربي الحر و غيرها )[13] ص140وكذلك[33]ج1ص26، إلى أن قيض الله لهذه الأمة رجالاً قادوا حركة إصلاحية متميزة بذورها الإيمان ورائدها العلم ومنهجها الإصلاح وعدتها المدرسة والمسجد والنادي والصحيفة والكتاب، وتيقن رجال الإصلاح أن أية نهضة في التاريخ لا تقوم إلا على دعامة العلم فهو سلاحها الأساسي في تهيئة النفوس وتربيتها وتوجيهها، وقد رصدت الحركة الإصلاحية مدارس وصحفا وجهودا معتبرة للعناية بالناشئة إدراكا منها بأن هذه الطائفة هي أمل المستقبل وقد شرح الإبراهيمي مهام الحركة في هذا المجال قائلا أنها كانت تعمل على« صرف القوة كلها وتوجيه الجهود متضافرة إلى التعليم المثمر وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة بالطابع الإصلاحي... حتى إذا كثر سواد هذه الطائفة وكان منها الخطيب ومنها الكاتب ومنها الشاعر ومنها الواعظ ومنها الداعي المتجول استخدمت في الحملة على الباطل والبدع على ثقة بالفوز »[34] ص50.

وهكذا نرى أن الحركة الإصلاحية التي ظهرت بعد الحرب الكونية الأولى وقد وجهت اهتمامها نحو التعليم« تخلق بواسطته جيلا متفتحا مؤمنا برسالته في بعث الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية»[16] مج2 ص11.

وكان الشيخ" محمد الصالح رمضان " من خيرة هذا الجيل الذي تتلمذ على يد رائد النهضة الوطنية الحديثة والزعيم الروحي للثورة الجزائرية المباركة الإمام" عبد الحميد بن باديس " والذي أسهم هو الآخر في إعداد خيره من أبناء الجزائر من الذين كانت لهم« إسهاماتهم المشرفة في ثورة نوفمبر المجيدة وفي عملية بناء صرح الدولة الجزائرية المستقلة من بعد »[21]، ص43.

## 1. 2. حياة محمد الصالح رمضان.

### 1. 2. 1. محمد الصالح رمضان الميلاد والنشأة.

ولد" محمد الصالح رمضان " بالجهة الغربية لجبال الأوراس تحديداً بالقنطرة( سماه العرب كذلك لوجود قنطرة أثرية رومانية على واديها وبقيت تحتفظ باسمها طيلة العهد الاستعماري وتدعى كذلك بوابة الصحراء لوجود فج طبيعي رائع بها في سلسلة جبال الأطلس الصحراوي وهو المنفذ الوحيد بين التل والصحراء ) الواقعة في منتصف الطريق الوطني بين باتنة وبسكرة التابعة إدارياً لولاية بسكرة حالياً في 24 أكتوبر سنة 1914، وقد كان لمحمد الصالح رمضان أخ سابق يحمل الاسم نفسه ولد ومات في 1914 أعطي له تاريخ ميلاد أخيه وقد وردت أخطاء في تاريخ ميلاده فمنهم من ذكر 1916 ومنهم من ذكر ما أثبتناه[17] لقاء بتاريخ 10فيفري 2006.

ينحدر من عائلة كبيرة محافظة أبوه هو:" مسعود بن محمد المبارك " وأمه" فطوم بن ليل " تنتمي إلى أكبر أعراش القنطرة.

نشأ في أحضان عائلة تقدس الدين الإسلامي وتمجد اللغة العربية وتعد من العائلات الإصلاحية الماجدة في البلدة وكان جده لأبيه رئيس جمعية الهدى ومدرستها.

### 1. 2. 2. حياته التعليمية:

لما اشتد عود" محمد الصالح رمضان " التحق بمصلى العائلة لحفظ القرآن الكريم رفقة اثنين من أعمامه كانا في سنه تقريبا وهما: عبد القادر وعبد الرحمن وذلك نزولا عند رغبة جده الذي حرص على معلم العائلة أن يسير الثلاثة في الحفظ على وتيرة واحدة.

فحفظ القرآن الكريم ونمت فيه الروح الدينية الخالصة التي استمدها من بيت الشيخ" علي سلطاني " ونجله العالم المجاهد الورع الشيخ" الأمين بن علي سلطاني " رحمهما الله وهو شقيق" عبد اللطيف سلطاني " مدير مدرسة الهدى[35]ج2 ص167. وعنهما ورث" محمد الصالح رمضان " العزيمة القوية.

عزم جده في منتصف العشرينات أن يلحقه بالمدرسة الابتدائية الفرنسية أو مدرسة" الأندجين " لتعلم اللغة الفرنسية.

وأثار هذا القرار مخاوف والدته ولم تقتنع به خوفاً على ولدها من الكفر رغم محاولات الجدّ لإقناعها بأن حفيده ضعيف البنية ومن الأفضل له أن يوجه نحو الوظائف الإدارية والتي تعتبر الفرنسية لغتها الرسمية.

## 1. 2. 2. 1. في المدرسة الابتدائية.

في عام 1929 عين على مدرسة البلدة مدير معلم وهو شاب فرنسي( م. ايميل غومو )( .....) كان تخرج حديثا من مدرسة المعلمين ببوزريعة ولم يسبق له أن مارس التعليم في جهة أخرى، ومع ذلك كلف بالإدارة والتعليم في هذه المدرسة لأن قوانين" الأنديجينا " لا تسمح لغير الأوروبيين بإدارة المؤسسات.

قرأ " محمد الصالح رمضان " على هذا المعلم الذي كان استعمارياً عنصرياً يعرض بالجزائريين وبدين الإسلام ويحط من قدرهم إذ كان يذكر لهم أن« محمد أذكى وأعقل رجل في العرب رأى لليهود كتاباً وديناً وللنصارى كذلك فأراد أن يجعل للعرب دينا سماه الإسلام وكتاباً دعاه القرآن وتم له ما أراد»[36]، ص16.

كما كان هذا المعلم ينشر التفرقة ويبث روح العنصرية بين أهل القنطرة وجيرانهم سكان الأوراس فيمدح هؤلاء تارة ويذم أولئك تارة أخرى.

أنهى التلميذ" محمد الصالح رمضان " المرحلة الابتدائية ولم يسمح له باجتياز امتحان" الشهادة الابتدائية "، لأنه من تلاميذ المدرسة القرآنية وقد أنذره المدير المعلم وخيره بين مواصلة تعلمه في المدرسة القرآنية وبين أن يترشح لامتحان الشهادة الإبتدائية الفرنسية رفض" محمد الصالح رمضان " الشرط رفضا صريحا واختار القرآن الكريم وحرم من الترشح لامتحان الشهادة الابتدائية.

ترك" محمد الصالح رمضان " المدرسة الأهلية غير آسف ولكنه كره المعلم ولغة المعلم وقومه وثقافته.

## 1. 2. 2. 2. متابعة دروس الشيخ" الأمين سلطاني ".

تفرغ التلميذ" محمد الصالح رمضان " بعد انقطاعه عن التعليم بالمدرسة الأهلية لمتابعة دروس الشيخ" الأمين سلطاني " ، وقد كان رجلا فاضلا وعالما جليلا تخرج من نفطة بالجنوب التونسي ، في مبادئ العربية نهارا و الفقه و التفسير ليلا.

كما انضم إلى معمل حر للنجارة لأحد الأعيان المصلحين في البلدة و مكث فيه ثلاث أو أربع سنوات تعلم خلالها النقش على الخشب خاصة و أنه كانت له هواية في الرسم و النحت، فصار يعتمد عليه صاحب المعمل في نحت الأطر و العلب و الصناديق و غيرها فكانت له سببا في تحسين مستواه المادي.

وفي مطلع الثلاثينات كان بعض أبناء القنطرة من أنداد" محمد الصالح رمضان " قد التحقوا بقسنطينة لمتابعة دروس" الشيخ ابن باديس " بالجامع الأخضر ويأتون في الصيف أيام العطل فيثيرون أشواقه بالحديث عن" ابن باديس " ودروسه فتاقت نفسه إلى ذلك ورغب في الالتحاق بهم.

## 1. 2. 2. 3. الالتحاق بدروس الشيخ ابن باديس.

انضم" محمد الصالح رمضان " إلى دروس" ابن باديس " خلال الموسم 1934 بمبادرة شخصية وكان التحاق الوافد الجديد بدروس العلامة بعد أسابيع قليلة من انتفاضة المسلمين على اليهود ، وقام اليهود بانتهاك حرمة الجامع الأخضر فثار المسلمون وأحرقوا محلات اليهود التجارية ورميت بضائعهم فكان درساً بليغا لليهود وعبرة للنصارى واضطرت سلطات الاحتلال الاستعانة ببعض الشخصيات من المسلمين واليهود لوضع حد للاضطرابات التي دامت ثلاثة أيام .

وفي هذا الوقت كان" ابن باديس " يعتني بتكوين الشباب عناية كبيرة لأنه كان يعلق عليهم آماله الكبرى في تحرير الجزائر، فكان يشرك الشباب في أعماله ودروسه ويعمل دمجهم في حركته، يدرس طوال اليوم تقريبا يبدأ بعد صلاة الصبح ليستريح قليلا أثناء القيلولة ثم ما بين العصر والمغرب ويختم يومه بدروس التفسير بعد العشاء.

كما كان يخص تلاميذه النجباء بدروس خاصة مثل مقدمة ابن خلدون...

درس" محمد الصالح رمضان " ثلاث سنوات على الإمام" ابن باديس " وكان لا يفارقه إلا في أوقات الاستراحة أو في بعض أسفاره.

فاصطبغ بفكرته وتوسم فيه ابن باديس الذكاء والفطنة وسرعة البديهة فكلفة بالتدريس في مدرسة التربية والتعليم رفقه زميله" محمد الغسيري " وهو محمد المنصوري الغسيري زميل " محمد الصالح رمضان " في التعليم ورفيق دربه في التربية والتعليم وفي الحركة الكشفية وكذلك في التفتيش .

ويعد" محمد الصالح رمضان " من بين تلامذة الإمام" عبد الحميد بن باديس " الذين ورثوا عنه الفكر النير والسلوك القويم والوفاء للوطن والأمة.

## 1. 2. 3. نشاطه التعليمي والتربوي.

### 1. 2. 3. 1. " محمد الصالح رمضان " معلما بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية.

كلف الإمام" ابن باديس " في العام الدراسي 1937/ 1938 تلميذه" محمد الصالح رمضان " بالتعليم في مدرسة التربية والتعليم وحاول الطالب أن يعتذر عن هذا التكليف بحجة أنه لم يستكمل دراسته بعد.

و لكن الإمام ابن باديس امتدح له التعليم قائلا:« إنه مهنة الأنبياء و المرسلين » و نصحه بالتفكير في هذه المهنة و الرسالة السامية، وما لبث أن أصبح معلماً ناجحاً، فقد ساهم في إدخال مواد جديدة في برنامج المدرسة مثل الحساب والمحادثة وكان وراء مبادرة الاستعانة بالجزائريين من خريجي معهد بوزريعة خاصة قصد تحسين أداء معلمي مدارس الجمعية.

هذا النجاح الذي حققه المعلم الشاب جعل شيخه يكلفه بمساعدته في تدريس تلامذته في السنة الأولى في" سيدي بومعزة " أحد فروع الجامع الأخضر.

وإلى جانب ذلك لم ينقطع" محمد الصالح " عن دروس التفسير التي كان يلقبها الشيخ" ابن باديس " في الجامع الأخضر بعد صلاة العشاء للطلبة ولعامة الناس إلى أن ختم التفسير سنة 1938 ثم ختم الحديث من كتاب الموطأ للإمام" مالك " سنة 1939.

كما كلفه الإمام" ابن باديس " بإعطاء دروساً إضافية لمجموعة من الطالبات اللواتي أنهين دراستهن بمدرسة التربية والتعليم وطالبن بالمزيد بعد أن ذهب زملاؤهن إلى الزيتونة.

وشهدت سنة 1940 وفاة العلامة" عبد الحميد بن باديس " فتغيرت الآفاق تماماً أمام المعلم وحرص على إحياء الذكرى الأولى لرحيل شيخه بما يليق بمقامه باسم كشافة" فوج الرجاء " الذي كان الشيخ رئيسه الشرفي و" محمد الصالح رمضان " مرشده العام.

## 1. 2. 3. 2. محمد الصالح رمضان مديراً ومعلماً لمدرسة" غليزان ".

بعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس خلفه نائبه الإمام محمد البشير الإبراهيمي الذي كان منفيا بآفلو ولاية الأغواط وأصبح رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ سنة 1943.

بقي الأستاذ" رمضان " في قسمه الدراسي حتى ربيع سنة 1944 لما عقد مؤتمر قادة( الكشافة الإسلامية ) في مدينة تلمسان وبإشراف الأستاذ البشير الإبراهيمي؛ ومن أبرز الحضور والمشاركين الأساتذة المرشدون" محمد الصالح رمضان "، " محمد الغسيري "، " علي مرحوم "، " محمد بوزوزو" وكلهم من المرشدين الأكفاء.

واقتضت المصلحة الوطنية استعمال هؤلاء الرجال في آفاق أوسع فنقل " محمد الصالح رمضان " إلى مدرسة غليزان" الغسيري " رحمه الله إلى مدرسة مستغانم، وقد أحدثت هذه الحركة هذه بقسنطينة فعز على تلامذته نقله إلى" غليزان ".

واصل" محمد الصالح رمضان " نشاطه التربوي في مدرسة" غليزان " التي كانت في ذلك الوقت قوية للمستوطنين.

بقي فيها إلى غاية 1946 وفي هذا العام تم إنشاء" لجنة التعليم العليا فعين الأستاذ" رمضان " بهذه اللجنة وكان من أبرز أعضائها وتعد هذه اللجنة لجنة تنفيذية تقوم مقام الأكاديميات.

ثم رشح الشيخ البشير الإبراهيمي الأستاذ" محمد الصالح رمضان " ليخلفه على رأس إدارة مدرسة" دار الحديث " تلمسان.

## 1. 2. 3. 3. مدرسة دار الحديث.

تعد مدرسة" دار الحديث " مَعْلَماً ثقافياً حضارياً سميت على دار الحديث الأشرفية التي تأسست منذ قرون في دمشق الشام وتخرج منها الأئمة الأعلام الذين خدموا الإسلام مثل: الإمام الحافظ محي الدين النووي، والإمام النظار تقي الدين السبكي.

أسس" دار الحديث " الإمام" البشير الإبراهيمي " سنة 1937 وأصبحت أثرا من آثاره العظيمة في تلمسان ودشنها الإمام ابن باديس في 22 رجب 1356هـ الموافق ليوم 27 سبتمبر 1937.

والتحق بها الأستاذ " محمد الصالح رمضان " سنة 1946 مديرا لها إلى غاية خريف 1953 ونهض بها نهضة علمية عظيمة وأصبحت تمد معهد عبد الحميد بن باديس بالطلبة ومن طلابها وطالباتها

عشرات ممن استشهدوا في ثورة التحرير، ومنذ سنة 1952 أسست بجانب مدرسة دار الحديث مدرسة" عائشة أم المؤمنين " وكانت خاصة بالبنات تحت إدارة الأستاذ " محمد الصالح رمضان ".

ومن أهم الأحداث التي عايشها" محمد الصالح رمضان " بالمدرسة " استقبال الفرقة المصرية للتمثيل.

## 1. 2. 3. 4. استقبال الفرقة المصرية للتمثيل 1950.

لأول مرة في التاريخ توفد حكومة مصر سفراء للفن إلى الشمال الإفريقي بصفة رسمية لربط العلاقات الثقافية وتمتين الصلات الأدبية بينها وبين المغرب العربي فكانت الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى التابعة لوزارة المعارف بإدارة نابغة التمثيل العربي وبطل المسرح في الشرق الأستاذ" يوسف وهبي " ومساعده الأستاذ" زكي طليمات " مع نخبة من الممثلين والممثلات وكان مشرفا عليها وعلى إدارتها الشاعر الكبير" خليل مطران ".

وصلت الفرقة يوم الجمعة 23 من فبراير 1950 فكان في استقبالهم شخصيات تمثل جل الطبقات يتقدمهم أشبال الكشافة الإسلامية الجزائرية( المنصورة ) فاحتفلت كل الهيئات الإسلامية التلمسانية برسول الشرق وسفير أرض الكنانة خاصة هيأة مدرسة دار الحديث حيث ألقى الأستاذ" محمد الصالح رمضان " تحية تليق بمقام الضيوف فقصيدة رائعة.

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ" يوسف وهبي " الذي أشاد بعمل وجهد الجمعية واعتبر مهنة التدريس والمسرح كلاهما يسعى لنشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة ووصف الشعب الجزائري بالنبل والكرم قائلا: «... إني اعتبر زيارتي إلى ربوعكم الجميلة الغالية حجاً مفروضاً مقدساً لأنكم شعب كريم نبيل من جهة ولأن العروبة لا زالت جارية في عروقكم وعلى ألسنتكم من جهة أخرى وإن هذه القرون التي مضت عليكم لم تزد عروبتكم إلا قوة وصفاء، حقا لقد صحت نظرية العلماء القائلين بخلود الأصوات، فهي لا تخفى فهذه العروبة لبثت زمنا اختفى فيه صوتها حتى ظن الناس أنه اختفى إلى غير رجعة لكن سرعان ما رددت قسنطينة الصدى في الجزائر معلنة بلسان ابنها البارّ المرحوم ابن باديس: إني عربية وسأبقى عربية إلى يوم الدين ... سنعود إلى مصر قريباً فنخبر المصريين أن الأمة الجزائرية أمة متمسكة بتقاليدها وإن شعبها راق عظيم الإيمان بنفسه شديد التمسك بدينه وعروبته ... لو استطاع النيل أن يشق طريقه في الصحاري إليكم لفعل، ولو أمكن للأهرام أن تنتقل لانتقلت وانحنت أمامكم ومن ورائها( أبو الهول ) ولكنه بعث بهذا العبد الضعيف لينحني أمامكم ... »[37]، ص25 وما بعدها.

## 1. 2. 3. 5. محمد الصالح رمضان مفتشا عاما لمدارس الجمعية.

في سنة 1953 بلغت لجنة التعليم ذروتها حيث كانت في أول أمرها بسيطة وذلك سنة 1946، ثم تزايد عدد المدارس الحرة وفي سنة 1953 استدعي الأستاذ" محمد الصالح رمضان " إلى مركز لجنة التعليم بالعاصمة ليكون بجانب المرحوم" الحفناوي هالي " الكاتب الإداري للجنة التعليم ويعين مفتشاً عاماً للتعليم رفقة الأستاذ إبراهيم مزهودي الذي قام بدور عظيم في الكفاح التحريري ثم التحق بصفوف الثورة مجاهداً.

اصطدم الأستاذ" محمد الصالح رمضان " في عالم التفتيش بكثير من النقائص التي عمل على إصلاحها و من المدارس التي ترك بصماته عليها مدرسة حي بولوغين التي كان مديرا عليها الشيخ " أحمد سحنون " و من ثمة التحقت بركب المدارس الأخرى. و آخر عمل قامت به هذه اللجنة تنظيم الشهادة الابتدائية في جويلية 1957 إلى جانب الأعمال الثقافية العلنية.

فتر نشاط الجمعية ولجنة التعليم والمدارس لانشغال الناس بأمر اندلاع الثورة التحريرية وانصرف الجميع إلى الثورة وعمل الأستاذ" رمضان " في مدرسة التهذيب العربية بالأبيار فانقطع عنها وتولى إدارة( مدرسة الصادقية ) بالمدنية من سنة 1959 إلى .1962

## 1. 2. 3. 6. صائفة 1955 الرحلة إلى بولونيا.

في صائفة 1955 شارك الشيخ" رمضان " رفقة الشيخ" الحفناوي هالي " من إدارة الجمعية ضمن وفد للكشافة الإسلامية الجزائرية الذي كان" محمد الصالح رمضـــان " مرشدها ضمن عدد من منظمات الشباب الجزائري الثقافية والفنية والرياضية إلى مهرجان الشباب والطلاب الخامس في فرصوفيا وارسو الذي جمع المئات من منظمات شبيبة العالم وطلابه المتطلعين إلى الإخوة والسلام والصداقة والوئام بين الشعوب.

## 1. 2. 3. 7. الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني سنة 1956.

في أواخر سنة 1955 التحق الدكتور" محمد الأمين دباغين " بالوفد الخارجي، لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة فترك منزله بالقبة أمانة بين أيدي الجمعية التي أسكنت فيه المفتش العام" محمد الصالح رمضان " رفقة زميله" مزهودي " ومن موقعه هذا عايش أهم أحداث الثورة المباركة بالعاصمة.

التحق الأستاذ" محمد الصالح رمضان " بصفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني والخلايا المدنية السرية كما كان عضوا في المحكمة المدنية للجبهة بالعاصمة وأدى ما عليه بحزم ونشاط واعتدال وكلف بأعمال من الولاية الثانية ثم من الولاية السادسة.

وفي مطلع 1956 اقتربت جمعية العلماء أكثر فأكثر من مواقف جبهة التحرير الوطني وتأكد ذلك بالتحاق كل من الشيخين" توفيق المدني " بوفد الجبهة في القاهرة وأدى هذا الموقف إلى وقف صحيفة البصائر لسان حال الجمعية وإغلاق العديد من مدارسها ابتداء من موسم 57/56.

غير أن هذه الإجراءات القمعية لم تمنع شيوخ الجمعية داخل البلاد من مواصلة المقاومة على الصعيد التربوي.

ويذكر الشيخ" محمد الصالح رمضان " أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أوقفت نشاطها رسميا بعد تفرق شمل مسؤوليها بين الاعتقال والاغتيال.

أما المدارس التي كانت تنشط برخص خاصة لم يتم حلها ظلت تواصل رسالتها التربوية ومنها مدرسة" بلكور " التي استعانت جمعيتها بالشيخ" رمضان " لإدارتها إلى جانب مدرسة ثانية للبنات بنفس الحي، وبقي الأستاذ" محمد الصالح رمضان " يؤدي رسالته التربوية حتى الاستقلال ولم يرهبه القمع ومداهمات البوليس الفرنسي لمنزله.

## 1. 2. 3. 8. إسهامات " محمد الصالح رمضان " في الكشافة الإسلامية.

بعد التحاق الكاتب" محمد الصالح رمضان " بدروس العلامة ابن باديس بالجامع الأخضر وفروعه بقسنطينة في أكتوبر 1934، كانت فرقا للكشافة الفرنسية بلباسها المميز تجوب الشوارع ومع كل فرقة قائدها تنشد الأناشيد العذبة فتلفت الأنظار إليها، فتساءل" رمضان " عن هذه الهيئات وعن إمكانية الانضمام إليها أو العمل مثلها أو مستقلين عنها، لكن ساورته الشكوك في هذه الحركة التي كان يشرف عليها الرهبان إذ كانت فخاخ ومصائد مسيحية تسعى لاصطياد الفتيان بتلك الحركات والأعمال المشوقة.

ورغم أن هذه الجمعيات والهيئات التنصيرية حرة مستقلة في ظاهرها ولكنها تحظى بالدعم المادي والأدبي من الحكومة.

في 27 ماي 1935 أسس جماعة من الشبان الجزائريين المصلحين جمعية للكشافة الجزائرية من أبناء العائلات المحترمة أمثال: بلعطار- بلعموشي- بلوصيف- بلجودي- ابن شعبان- ابن تليس، وكونوا فوجا كشفيا أطلقوا عليه اسم( فوج الرجاء ) واتخذوا الشيخ ابن باديس رئيساً شرفياً لهم وكتب لهم

الشاعر الغريد" محمد العيد " نشيدا بعنوان " نشيد كشافة فوج الرجاء " ثم نشر في مجلة الشهاب، وعرف الأستاذ" رمضان " أن الإمام" ابن باديس " راض على هذه الحركة وأن العبرة بالمسيرين وليست العبرة في الحركة نفسها.

## 1. 2. 3. 9. الالتحاق بالكشافة الإسلامية.

عرض قائد فوج الرجاء وهو من قدماء تلاميذ مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة على الأستاذ" محمد صالح رمضان " الالتحاق بالكشافة والتعاون معهم في تربية أبنائها وتكوينهم تكويناً عربياً إسلامياً وطنياً، فقبل والتحق بهم وشاركهم أعمالهم واطلع بذلك على حقائق الحركة الكشفية ونظمها وقواعدها وأحكامها، وما ترمي إليه من مبادئ سامية فكان الشيخ" محمد الصالح رمضان " واعظاً مرشداً لأقدم وأول فوج كشفي ظهر في قسنطينة سنة 1936.

تنامى أفراد الفوج أشبالا وفتيانا كشافين بفضل تأييد ابن باديس له ومباركته لهذه الحركة وبدأت أعمال الفوج تظهر وتبهر الناس عندما يجوب الأشبال الشوارع وهم يرددون الأناشيد فيدغذغون العواطف ويبعثون الحماس في الجماهير وكان مما سمح للتظاهر بهذه الأعمال تغيير نظام الحكم في فرنسا بعد أن تكونت حكومة اشتراكية يسارية( الجبهة الشعبية ) فتنفس الشعب الصعداء، وهكذا انتعشت الحركة الكشفية الجزائرية بالخصوص، وأصبح للعمال والمواطن كيان يذكر وكانت الظروف مناسبة لظهور الحركات الكشفية وغيرها من المنظمات والأحزاب والجمعيات وتكون فوج آخر كشفي بقسنطينة فتعززت به الحركة الكشفية الجزائرية الإسلامية وهو:

باسم( فوج الصباح ) ووضع له" محمد العيد " نشيدا مثلما فعل مع فوج الرجاء ونشر في البصائر.

## 1. 2. 3. 10. نماذج من مشاركته في الأنشودة الوطنية التربوية الكشفية.

### 1. 2. 3. 10. 1- نشيد فوج الرجاء:

اقترح قائد فوج الرجاء على الأستاذ" محمد الصالح رمضان " أن يضع نشيدا يعرف( فوج الرجاء ) ويشيد به فقبل ووضع نشيدا للتعريف بالفوج ولازمه على اللحن الذي طلبه قائد الفوج ومطلعه:

نحن(الرجا طول الزمن) ۞۞ كشافة في كل فن.

والمرتجى في ذا الوطن ۞۞ كشافنا من غير من.

(نحن الرجـــا)

وهذه بعض أدواره:

لفوجنا سرب نفيس ۞۞ ( عبد الحميد بن باديس )

كأن فيه ماسنيس ۞۞ يزجي الصفوف ويسوس

فرقتنا( صلاح الدين ) ۞۞ حاضرة فـي كـل حين

فتيانها قـرة عيـن ۞۞ لفوجـنا والمسلميـن

( نحن الرجا )

وكثر أتباع( فوج الرجاء ) خصوصا بعدما انضم إليها( فوج الصباح ) توحيداً للصف وتحديداً للهدف فتضخم الفوج وكثر أتباعه وكان فيهم من شبّ على الطوق وصار مراهقا فزادوا( فصيلة الجوالة) للذين مروا على فصيلتي" الأشبال " و" الكاشفين " سرب ابن باديس وفرقة صلاح الدين وأطلقوا عليها اسم" فريق عقبة بن نافع " وتعين لقيادته الشاب النشيط( عمار رواق ) وكان من الشباب الذين يتعاطون دروساً مسائية في مدرسة" التربية والتعليم الإسلامية ".

وانضم إلى فريق جوالته جوالون آخرون كانوا في الكشافة الفرنسية.

ووضع لهم الأستاذ" محمد الصالح رمضان " نشيداً جاء فيه:

نحن جوالوا الأمير ۞۞ عقبـة بـن نافع.

قائد العرب الشهير ۞۞ في الشمـال الأمنع.

نحن من نسل الأولى ۞۞ غيروا مجرى الزمان.

يعـرب رهط العلا ۞۞ من أشادوا القيروان.

للعـلا لا ننثنمـي ۞۞ لا ولا نشكو الملـل.

في سبيل الموطـن ۞۞ كل مـر كالعسـل.

كل غـال سيهـون ۞۞ عندنـا في الزمـن.

وليكن ما قد يكـون ۞۞ في سبيـل الموطـن.

ومن اسهاماته تعريب قانون الأشبال الذي وضعه" السربادن باول " مؤسس الكشافة العالمي باسم وشريعة الغابة وضعه لصغار الكشافين وترجم لكثير من اللغات إلا العربية فترجمه عن النص الفرنسي الأستاذ" محمد الصالح رمضان " بعنوان:

*La loi de la jengle*

*prete l'oreille louveteau*

*A cette loi de la foret*

*Tous les louveteaux*

*Ecoutent les vieux loups*

*Mais un louveteau*

*Ne s'ecoute jamais*

*S'il veut rester digne*

*Du clan des loups*

أيها الشبل الصغير ۞۞ أرهف السمع الطهور.
(شرعة الغابات) هذي ۞۞ لك فيها ما ينير.
كل شبل في العرينه ۞۞ يسمع الليث الكبير.
ليس يصغى لهواه ۞۞ أبدا شبل صغير.
فإذا شئت بقاءً ۞۞ في فريق الناشئين.
فبذا القانون فاعمل ۞۞ يا ابن لبوة العرين.

## 1. 2. 3. 10. 2. نشيد لتحية العلم الكشفي:

لأنه لم يكن للجزائر علم وطني في ذلك الوقت ورفضوا الاحتفال برفع العلم الفرنسي فوضع الأستاذ" رمضان " نشيدا لتحية العلم الكشفي يقول فيه:

اللوا رمز معظم۞ دونه كل النفوس۞ دونه كل النفوس

خافقا في الجو يعلو۞ لا تدانيه النحوس۞ لا تدانيه النحوس

أيها الكشاف فارفع۞ بندنا فوق الرؤوس۞ بندنا فوق الرؤوس

الأماني فيه دوما۞ لامعات كالشموس ۞ لامعات كالشموس

## 1. 2. 3. 10. 3. نشيد الرياضة البدنية:

كان هذا بطلب من جمعية( النادي الرياضي القسنطيني ) التي تولت تلحينه ثم لحنه الأستاذ" الأمين بشيشي " للكشافة:

هلـم للرياضة ۞۞ يا معشر الشباب.

فإن الاستراضه ۞۞ تذلـل الصعـاب.

نروض البـدن ۞۞ لتذكـو الفطـن.

فتخدم الوطـن ۞۞ بالـروح والبدن.

( فنادينا الرياضي ) ۞۞ ينظـم الدروس.

لتصحيح المراض ۞۞ وتهذيب النفوس.

هلـم يا فتــى ۞۞ هلــم للعمـل.

إلام ؟ ومـت ؟ ۞۞ وأنت في كسل ؟

تعلم السباحـة ۞۞ واضرب اللعب.

تنل بها استراحة ۞۞ تقي من الوصب.

إلى آخر النشيد.

## 1. 2. 3. 10. 4. نشيد شبل ابن باديس:

احتفل بذكرى وفاة" ابن باديس " الثانية 1942 في مدرسة التربية والتعليم مع أفواج الكشافة وتزامنت هذه الذكرى مع احتلال فرنسا من قبل الألمان وجاء حلفاؤها الإنكليز والأمريكان إلى الجزائر والشمال الإفريقي لمحاولة تحريرها وانقاذها من الحكم النازي الفاشيستي.

فوضع الأستاذ" رمضان " هذه القطعة الشعرية لأحد أشبال" ابن باديس " يدعى:" بوربون مصطفى " عمره آنذاك ست أو سبع سنوات فأداها بفصاحة وحماس نادرين ومما جاء فيها:

أنا ابن ليث العرين ۞۞ أنا ابن خير قرين.
شبل( ابـن باديس ۞۞ عبد الحميد ) لا تجهلوني.
اليوم شبـل صغير ۞۞ كمـا علمتم شؤوني.
شبل وديع كما قد ۞۞ عودتمـوني للينـى.
وفي غد سوف أحمي ۞۞ حمى الأسود عريني.
أقسو وما الظلم دأبي ۞۞ لحـادثـات المنـون.
أنا الكبيـر بعقلـي ۞۞ أنـا القـوى بدينـي.
فمن يريـد ودادي ۞۞ فـلا يسمنـي بـدون.
أو يأملن في ربوعي ۞۞ أو يعبثـن بعصــون.
فمن يسمني بسـوء ۞۞ أذقـه كـل هــون.

وكان في( فريق عقبة بن نافع ) مدرسة لتكوين وترشيح القادة لمختلف المهمات الكشفية وضع لها" رمضان " نشيدا هذا بعض ما جاء فيه:

( معهد القواد ) كون ۞۞ نشأنـا هـذا الجديد.
أيقـظ الأفكار نـبه ۞۞ ذلك الـروح المجيد.
روض الفتيان دوماً ۞۞ في الصبـاح الباكـر.
تحضر الأبطال يوماً ۞۞ للعـدو المــاكـر.
ازرع الأخلاق فيهم ۞۞ واغرس الدين الحنيف.
في صميم القلب وانبذ ۞۞ كـل تفكيـر سخيـف.
أشـد بالآثـار وانشد ۞۞ ذلـك المجـد العتيـد.

كما وضع أناشيد في وحدة المغرب العربي وأخرى للجوالة الإسلامية وللجوالين في المغرب العربي، وكلها أناشيد معروفة لدى الكشافين ذاعت في الجزائر وعمت السهل والجبل والصحراء والتل لروعة ألفاظها وسمو معانيها.

## 1. 2. 3. 11.دور وعمل" محمد الصالح رمضان " في إظهار النشيد الباديسي:

ألقى الشيخ" عبد الحميد بن باديس " قصيدة تقع في نحو خمسين بيتا بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف سنة 1937 في كلية الشعب.

فقام الأستاذ" محمد الصالح رمضان " تلميذ ابن باديس والمعلم بمدارس الجمعية والمرشد للكشافة الإسلامية الجزائرية بانتقاء أبياتا قدمها للتلحين لدى جمعية( الشباب الفني للموسيقى العربية ) بقسنطينة ثم روجها في المدارس العربية الحرة في الوطن وفي الفرق الكشفية الإسلامية الجزائرية.

انتشر النشيد وعم في الوطن كله كدستور للشعب الجزائري يسير عليه وقد قام " رمضان " بهذا العمل الصالح رفقه زميله الأستاذ" محمد الغسيري " وهذا من الأعمال التي يؤجر عليها ناظم النشيد وناشره والدال على الخير كفاعله ومازال النشيد إلى يومنا هذا نردده في كل المناسبات والمعروف بـ" شعب الجزائر ".

## 1. 2. 3. 12. إسهام الشيخ" محمد الصالح رمضان " في الاحتفال بذكرى يوم العلم 16 أفريل.

يعود الفضل للأستاذ" محمد الصالح رمضان " في إحياء ذكرى وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس في نهاية السنة الأولى لوفاته باسم كشافة فوج الرجاء الذي كان الشيخ رئيسه الشرفي والأستاذ" رمضان " مرشده العام، فأحيا ذكرى الوفاة بطلب رسمي من السلطات المحلية بعنوان ذكرى عائلية في مدرسته التربية والتعليم الإسلامية رفقة معلموا المدرسة والتلاميذ وأولياؤهم وحضر كذلك من عائلة العلامة ابن باديس أبوه وإخوته وكشافة الرجاء.

وتكررت الذكرى في السنوات التالية بما فيها سنوات الحرب وتعود الناس إحياء هذه الذكرى في قسنطينة، ثم قلدها الناس في نهاية الحرب في أمهات المدن الجزائرية، وأصبحت ذكرى سنوية يحييها الشعب لقائده وزعيمه الروحي ثم تبنتها الدولة والحكومة باسم( عيد العلم ) واستمرت تقام رسميا باسم عيد العلم وذكرى ابن باديس إلى اليوم ومن أحيا سنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين[36] ص45و[17] لقاء مع الشيخ محمد الصالح رمضان بتاريخ 10مارس 2006.

ويرى الأستاذ" رمضان " التلميذ المخلص لابن باديس أن فكر ابن باديس بقى راسخاً في أذهان الشعب بسبب إخلاص أستاذه وتفانيه في خدمة دينه وشعبه وبلاده متطوعاً دون مقابل طيلة حياته فأكرمه الله بالذكر الحسن ولجزاء الآخرة أوفى وأجل إن شاء الله.

## 1. 2. 3. 13. محمد الصالح رمضان بعد الاسقلال.

بعد الاستقلال عين محمد الصالح رمضان مديرا للتعليم الديني بوزارة الأوقاف وفي عهده وضعت اللبنة الأولى للمعاهد الإسلامية.

وكان على رأس وزارة الأوقاف الشيخ" أحمد توفيق المدني " وكانت هذه الوزارة في طور الإنشاء لأنها لم ترث شيئا عن إدارة الاحتلال خلافا للوزارات والهيئات التي وجدت في متناولها القوانين والتنظيمات الفرنسية، ورفض" محمد الصالح رمضان " المرتب الضخم الذي كان يتقاضاه من الوزارة دون أن يقدم عملاً واعتبر ذلك سحتاً، ولمواجهة مشكل ندرة المعلمين جلب لها الأساتذة من مصر إذ توجه الشيخ" محمد الصالح رمضان " رفقة وزير الأوقاف إلى القاهرة واستقبلوا من قبل الرئيس" جمال عبد الناصر " ورحب بهم وأحالهم على الدكتور" البهي " وزير الأوقاف فقبل طلبهم وكان ذلك على نفقة مصر.

وبدأت المعاهد الإسلامية متواضعة ثم قفزت ووصلت قمة المجد والعطاء في عهد الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم إذ بلغ عدد طلابها وطالباتها ما يقارب 50 ألف واعترف بجميع شهاداتها في الإدارات والجامعات ثم قضي عليها في استفتاء 1976م بحجة توحيد التعليم.

والأستاذ" رمضان " لم يعمر كثيرا في وزارة الأوقاف وانتقل إلى وزارة التربية الوطنية لما أدمج المعلمون الأحرار في الإطار العام للتعليم فعرضت عليه مناصب عليا بها منها: مستشارا بالوزارة بطلب من أحمد طالب الإبراهيمي أو مدير أكادمية الجزائر أو مفتشا عاما للتعليم الثانوي فاعتذر الأستاذ رمضان وآثر أن يكون أستاذا بثانوية" حسيبة بن بوعلي " بالقبة ليجد بعض الوقت لخدمة عائلته وأولاده فكان له ما أراد وعمل أستاذا بذات الثانوية حتى سنة 1979 وقد تجاوز سن التقاعد.

- عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى في الثمانينات وعضوا في المجلس الوطني للثقافة سنة 1990.

- مستشاراً لوزير الثقافة والاتصال سنة 1992.

- عضوا في اللجنة الوطنية لليونسكو بالجزائر.

- عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.

- حظي بتكريم من رئيس الجمهورية يوم 1987/07/05 في الذكرى 25 للاستقلال ضمن نخبة من المبدعين بقصر الثقافة بالقبة.

## 1. 2. 4. آثار الشيخ" محمد الصالح رمضان ":

الأستاذ الفاضل" محمد الصالح رمضان " أحد العلماء الميامين الذين لعبوا دورا بارزا في الحركة الإصلاحية والعليم العربي وله فيهما جميل الذكر وجليل الأثر.

وقطب من أقطاب الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر فهو الكاتب والشاعر الأديب المتواضع الذي يغمرك بمعارفه ووده البرئ من الرياء والفنان المبدع والمحقق المتمكن لأحياء التراث ونشره.

## 1. 2. 4. 1. التأليف:

له إسهامات في النشر والتأليف ومنها:

1- " الناشئة المهاجرة " مسرحية للأطفال، طبعت بمطبعة ابن خلدون بتلمسان سنة 1949 ثم في المؤسسة الوطنية للكتاب .1989

2- " ألحان الفتوة "( ديوان شعر صغير للكشافين ) الطبعة الأولى بمطبعة ابن خلدون بتلمسان سنة 1953 وط( 2 ) بمصر 1964 ثم طبعات أخرى في لبنان والجزائر.

3- " جغرافية الجزائر والعالم العربي "، ط1، بمصر 1964 وط2 ببيروت سنة 1965، وضع هذا الكتاب للمعاهد الإسلامية الجزائرية، التي كان الأستاذ" محمد الصالح رمضان " مشرفا عليها.

4- " المبادئ العامة للجغرافية "( وضع أساسا لمدارس جمعية العلماء قسم الشهادة الابتدائية ) ط1 بمصر سنة .1965

5- " النصوص الأدبية " أربعة أجزاء( وضع أساسا للمعاهد الإسلامية ) بالاشتراك مع أحد الأزهريين وهو توفيق شاهين، طبع مرتين مرة في مصر ومرة في لبنان.

6- " شهيد الكلمة( أحمد رضا حوحو )" منشورات وزارة الثقافة بالجزائر .1984

7- " الخنساء "( مسرحية )، طبع المؤسسة الوطنية للكتاب .1986

8- " المولد النبوي الشريف "( رواية تمثيلية ) طبع دار الأمة لابن نعمان .1996

9- " الإمام الشيخ ابن باديس " بالإشتراك مع عبد القادر فضيل، دار الأمة .1998

10- " سوانح وارتسامات عابر سبيل " رحلة إلى مهرجان الشباب والطلاب العالمي في فرصوفيا 1955، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2004.

## 1. 2. 4. 2. في ميدان التحقيق وإحياء التراث:

أما في مجال التحقيق؛ فلا مراء في أن الشيخ رمضان كانت له اليد الطولى في هذا الميدان؛ إذ جاز قصب السبق في تناول وجمع وترتيب وتحقيق آثار رائد الحركة التنويرية في الجزائر دون منازع شيخه عبد الحميد بن باديس رحمه الله، وهذه الآثار التي اهتم بها ونشرها تباعاً على النحو الآتي:

1- " العقائد الإسلامية لابن باديس "، تحقيق وشرح وتعليق عدة طبعات في مصر ولبنان والجزائر وأخير الإمارات وهو في الأصل من إملاءات ابن باديس لطلابه.

2- " تفسير ابن باديس " طبعتان، مصرية 1964 ولبنانية 1971. بالإشتراك مع توفيق شاهين ثم تعددت طبعاته في لبنان، مصر، الجزائر.

3- " من هدي النبوة "( تفسير أحاديث ) 1966 بالاشتراك مع توفيق شاهين.

4- " رجال السلف ونساؤه "( تراجم صحابة وصحابيات ) ط1، مصر، 1966، وط2، بباتنة.

5- " ديوان الأمير عبد القادر"، تحقيق وتعليق وشرح بالاشتراك مع السائحى بن عبد القادر، طبع بمؤسسة الأمير عبد القادر، .1998

## 1. 2. 4. 3. أعمال لم تنشر:

وهناك أعمال لم تطبع بعد منها:

- " من عيون بلادي ".

- " من فصيح العربية والعامية الجزائرية "( مشروع معجم لغوي ).

- " ديوانه الشعري ونقد ".

بالإضافة إلى أعماله المتفرقة في الصحف من مقالات أدبية ومسرحيات( منها مسرحية تضحية صبي )[18] ع16 الصادر بتاريخ 22 ديسمبر 1947ص 18 ومسرحية حليمة السعدية مرضعية النبي صلى الله عليه وسلم[18] ع24 الصادر بتاريخ 23 فيفري 1947، ونقده لكتاب" حياة كفاح " " لتوفيق المدني " بعنوان" من غربل الناس نخلوه ".

## 1. 2. 5. وفاته:

فقدت الجزائر صباح يوم الأربعاء 20 رجب 1429 الموافق 23 جويلية 2008 علما من علماء الإصلاح وتلميذا من تلاميذ إمام نهضة الجزائر عبد الحميد ابن باديس رحمه الله. قدم للإسلام والعربية والجزائر كثيرا من العلم والعمل إنه الشيخ العالم العامل" محمد الصالح رمضان " رحمه الله ورفع درجته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

# الفصل 2
# الرحلة الأدبية عند محمد الصالح رمضان

## 2. 1. دراسة في مضمون الرحلة:

أدب الرحلات هو فن نثري يستمد موضوعاته من الرحلات.

ويعد هذا الفن، من الأنواع السردية العريقة في أدبنا العربي إذ يرجع التأليف فيه إلى فترة متقدمة تعود إلى القرن الثالث الهجري، و ما يزال مستمرا و يشهد تطورا في موضوعه و الهدف منه واللغة التي يكتب بها.

ويعرف أدب الرحلة مرحلة جديدة مع الرحالة المشهور" محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي " ( ت 614هـ - 1257م ) صاحب كتاب" تذكار الأخبار واتفاقات الأسفار " حيث يعتبره بعض الدراسين[38]ص109 أحسن ما ألف في فن الرحلات ويمثل دروته عند العرب فقد جدد ابن جبير في شكل الرحلة التي اتبعت نظاما زمنيا والترتيب في سرد الأحداث ووصف الموجودات وميزت الرحلة الصياغة الأدبية الراقية البعيدة عن الغلو والتكلف[39]ج1ق1ص301 ، وتقترب الرحلة من الأدبية أكثر عند تعرضها للتعبير عن مواقف ابن جبير المختلفة ووصف مشاعره وسرد تنقلاته.

لقد عرف الأدب العربي رحلات كثيرة متنوعة يتنوع موضوعاتها والغرض[40]ص خ منها كالرحلات الاستكشافية التي يصف فيها المؤلف أماكن مجهولة، والرحلات الرسمية أو السفارية والتي تقتصر على تسجيل حوادث أسفار الملوك والحكام والوزراء للقيام بمهام خاصة.

ومن أنواعها كذلك الرحلات" الزيارية " التي غرضها زيارة أضرحة الأولياء والعلماء ثم الرحلات العلمية التي تكون لغرض التعلم والتعليم والرحلات الحجازية ذات الغرض الديني التعبدي.

فالرحلة متنوعة ينوع الأغراض وتنوع المسالك الفضية إليها فمنها الرحلة البرية والرحلة البحرية ومنها الداخلية ومنها الخارجية.

وممن اشتهر بهذا الفن من الجزائريين في العهد التركي أحمد بن عمار( ت 1771 )، أبو راس الناصري المعسكري( ت 1778م )، المشرفي( ت 1778م )، و( الورثيلاني 1713م )[41]ص49 وكذلك[42]ص16.

وقد عرف الأدب العربي الحديث في الجزائر بعض الرحالة الذين جابوا أرجاء الجزائر كما ارتحلوا إلى بعض البلدان في الخارج فكان لكل رحالة في ذلك اهتمامات معينة حسب مقصده وهدفه وميوله مثلما اختلفت انطباعات الكتاب وتنوعت.

ونذكر أن اهتمام الجزائريين بفن الرحلة في القرن العشرين قد اتسع واتخذت الرحلات حجما أكبر مع مطلع الثلاثينات فكانت الرحلة الداخلية الأمر الذي كان نادرا من قبل ثم كان المنطلق إلى الرحلة الخارجية ومن هؤلاء الرحالة: عبد الحميد بن باديس( 1889- 1940 ) ومحمد البشير الإبراهيمي( 1889- 1965 ) وأحمد توفيق المدني( 1899- 1984 ) وأحمد رضا حوحو( 1911- 1956 ) وحمزة بوكوشة( 1907- 1995 ) ومحمد الغسيري( 1915 توفي في غضون الثمانينات ) ومحمد الصالح رمضان( 1916- 2008 ) وأبو القاسم سعد الله( 1932- 2010 حي )

وقد عمت الرحلات الداخلية كل جهات الوطن، أما الرحلات الخارجية فإن أهم بلد استقطب الرحالين في الوطن العربي هو( القاهرة ) لمختلف العوامل:

تاريخيا، سياسيا، ثقافيا.

بينما تحوز( باريس ) أغلب الرحلات الجزائرية إلى أوربا في هذه الفترة لمختلف العوامل الثقافية والسياسية.

وتراجعت الرحلة إلى الحج في هذه الفترة كرحلة مدونة مستقلة في منطلقها وغايتها، وبرزت الرحلة الكشفية والمدرسية إبان الاحتلال الفرنسي فجاءت لتعكس حيوية الكشاف الجزائري وحسه الوطني رغم صعوبات الظروف الخاصة بالحياة والكتابة.

واتسمت رحلات أغلب الرحالين الجزائريين في هذه الفترة بنغم حزين على وطنهم حتى في الرحلة الخارجية التي يشعرون فيها بغبطة إلا أن حال الوطن يحول دون ذلك.

قام" محمد الصالح رمضان " برحلات خارجية إلى اسبانيا ورحلات إلى الشرق العربي والغرب الأوروبي ثم إلى الصين ومن رحلاته الخارجية التي كتب عنها رحلته إلى" فرصوفيا ".

## 2. 1. 1. الإطار الزماني للرحلة:

كانت الرحلة إلى فوصوفيا عاصمة بولونيا يوم 25 جويلية سنة 1955 على متن باخرة فرنسية.

## 2. 1. 2. الإطار العام للرحلة:

كانت الرحلة ضمن وفد رسمي من الكشافة الإسلامية الجزائرية التي كان الكاتب من بين قادتها ويتكون الوفد من مئة وثلاثين( 130 ) عضوا يضم عددا من جمعيات الشباب والطلبة وأعضاء من فرق رياضية وفنية وإعلامية تلبية لدعوة من" اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي " إلى" المهرجان العالمي للشباب والطلاب الخامس بفرصوفيا "

Le 5 $^{eime}$ festival mondial de la jeunesse et des étudiants à varsovier

وجمع هذا المهرجان مئات الألوف من شبيبة العالم وطلابه المتطلعين إلى الأخوة والحرية والسلام والصداقة بين الشعوب بعد الخراب والدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية( 1939-1945).

ويعد هذا المؤتمر مؤتمرا عالميا للسلم والتآخي ينعقد كل سنتين في عاصمة من عواصم العالم.

وقد عقد المهرجان الأول في براغ عام 1948 والثاني في بودابست عام 1949 والثالث في برلين 1950 والرابع في بوخارست 1953 والخامس في فرصوفيا 1955.

وكانت كل هذه المهرجانات تندد وتشجب الحروب الاستعمارية ووسائل الدمار الشامل..

ومن أجل هذا رفض الاستعماريون وأشياعهم الامبرياليون عقد هذه المهرجانات بلدانهم رغم أن أصل الفكرة انطلق من عاصمة أكبر وأقدم إمبراطورية استعمارية في العالم( لندن ).

وقد باركت هذه المهرجانات شخصيات عالمية معروفة في عالم الفكر والثقافة والسياسة أمثال: برتراند راسل، جون بول سارتر، بابلو نيرودا وغيرهم.

وأتاحت هذه المهرجانات لفئات الشباب المختلفة الأجناس والمذاهب والمشارب الإعراب عن آرائها وتطلعاتها بحرية وصراحة وأملها في عالم حر وسعيد لاستعمار فيه ولا استعباد ولا خروب بين العباد.

## 2. 1. 3. عنوان الرحلة.

" سوانح وارتسامات عابر سبيل " متبوع بعنوان فرعي رحلة إلى مهرجان الشباب والطلاب العالمي في فرصوفيا 1955 ".

وعلى هامش ذلك تعليق " نبضات قلب في كلمات وخطرات فكر في صفحات وتأملات شاعر في وقفات ".

نشر الكاتب الرحلة في أول الأمر بقسميها الأول والثاني في حلقات بجريدة الشعب سنة 1987 ولم ينشر القسم الثالث لاعتبارات عديدة.

ثم نشر الرحلة ضمن سلسلة ثقف نفسك، كل قسم في كتيب من منشورات دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع في 1996.

وبعد ذلك طبعت الرحلة كاملة متكاملة في 2004 تحت إشراف المجلس الأعلى للغة العربية.

## 2. 1. 4. أسباب النشر ودواعي التأليف.

نشر الأديب الكاتب محمد الصالح رمضان رحلته( سوانح وارتسامات عابر سبيل ) بقسميها الأول والثاني في حلقات بجريدة الشعب سنة 1987 ولم ينشر القسم الثالث لاعتبارات عديدة، ويذكر صاحب الرحلة أنه سجل فيها ما عنَّ له من آراء وخواطر وملاحظات وألقى بعض الأحكام فجاءت نبضات قلب في كلمات وخطرات في صفحات وتأملات شاعر ذو وقفات ويضيف قائلا: لم أنشر هذا اليوم لأنه أدب رائق أم فن فائق أو لأن بعض الإخوان والمعارف ألقوا علي في نشره وإذاعته لما فيه من متعة أو منفعة كما قد يحلو للبعض أن يقول، بل لأنها سوائح عابرة عنت لي في ظرف خاص من رحلة مخصوصة سجلتها كما جاءت بلا مبالغة أو تهويل... فأحببت نشرها تخليدا لصورة من تفكيري... "[43]ص40.

ويذكر الكاتب فيما ذكر أن من أسباب نشره للرحلة:

" ذلك أنه لما حيل بيني وبين متابعة نشر سلسلة( من تراثنا الخالد ) التي بدأتها ببعض آثار أستاذي الشيخ ابن باديس .. فاحتكرت هذا الموضوع دائرة معينة ومنعوا المبادرات الحرة الجزائرية أن تتنافس في بعث آثارنا ونشر تراثنا وسمحت للأجانب ... وغيرهم من تجار الطباعة بطبع ما شاءوا من تراثنا ثم استغلالنا بعد ذلك ببيعه لنا ... فكان هذا المنع من الأسباب التي حفزتني لنشر تراثي... ".

إذن فهذه الأسباب قام الكاتب بإعادة جمع إنتاجه وترتيبه ويختار منه الصالح للنشر فيعده للطبع ومنها هذا الأثر الأدبي المتمثل في الرحلة إلى فرصوفيا والذي مر عليه نصف قرن ويقول صاحب الرحلة:" فأخرجه من الديجور إلى النور بعد مراجعته وتهذيبه بطبيعة الحال رغم أن الأحداث تجاوزته وهو يتألف من ثلاثة أقسام: الأول(وصف الرحلة) والثاني(مدينة المهرجان) والثالث(من وحي الرحلة) ومعظمه شعر قلته فيها وقد ضاع لي بعضه وما بقي منه كاف لإعطاء صورة لتلك الرحلة "[43] ص40.

## 2. 1. 5. أقسام الرحلة.

أخضع الكاتب عمله إلى خطة اقتضت تقسيم الرحلة إلى ثلاثة أقسام:

1- الرحلة إلى بولونيا.

2- فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس.

3- من وحي الرحلة

ويستهل الكاتب رحلته بإهداء خص به رفيقه المرحوم" الحفناوي هالي " الذي يذكر فيه الكاتب أنه كان أحد أسباب كتابة الرحلة التي رافقه فيها ولازمه طيلة عشرين يوما.

كما كان الشيخ " الحفناوي هالي " رحمه الله باعثا للنفحات الشعرية " والنفثات الصدرية التي أثارتها جوله قمنا بها ذات مساء على ضفاف نهر الفستول بفرصوفي وكان هو السبب في إذكاء جذوتها وإبداء نفحتها[43]ص17.

ثم تلا الإهداء ترجمة ذاتية موجزه للكاتب" محمد الصالح رمضان " وأعقب ذلك تقديم للدكتور" عمر بن قينة " الذي قدم نبذة موجزة عن حياة محمد الصالح رمضان ومعرفته به ككاتب واكتشافه له ككاتب رحلة[43]ص15.

وبعد ذلك تقديم للأستاذ" حمزة بوكوشة " المقتضب والخاص بالجانب الشعري[43]ص27، وتلاه انطباع "محمد جريدي " الذي رأى في الرحلة متعة للأديب والشاعر لما فيها من ألوان للفنان وجمال للعاشق الولهان ... ثرية بالحقيقة والخيال دالة على مواطن الحسن والجمال[43]ص31.

وبعدها مقدمة للمؤلف قدم فيها عرضا موجزا عن أدب الرحلات وأشهر الرحالة المغاربة ثم يذكر أن رحلته" سوانح وارتسامات عابر سبيل " تعد رحلة عصرية يقف القارئ فيها على نتف وطرف من السياسة والأدب ومن التاريخ والجغرافيا وحتى الدين والاجتماع... وفيها خواطر تسو الخاطر ومناظر تبهج الناظر ليحي بها أدب الرحلة الذي اندثر أو كاد يندثر.

كما احتوت الرحلة على تمهيد خاص بعنوان" بين يدي هذه السوانح " تطرق فيه الكاتب إلى بعض الظروف الدولية التي وقع فيها مهرجان الشباب والطلاب والوضع السائد في الجزائر وقت ذلك، إذ كان المهرجان بعد مضي عام من اندلاع ثورة التحرير الجزائرية المباركة وما كان يعانيه أبناء الجزائر داخل القفص الاستعماري.

ثم يعرج الكاتب ليعرفنا بفكرة المهرجان وتواريخ انعقادها.

وتناول في القسم الأول من الرحلة وصف الذهاب والإياب بحر فبرا.

والقسم الثاني: خص فيه بولونيا بالوصف وبما أصابها من دمار ونهوضها ومعالمها وأجواء المهرجان بها.

أما القسم الثالث: أورد فيه قصيدتين مع مقدمة توضح بشكل مفصل فكرته التي أوحت إليه بقصيدة شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة 1955.

## 2. 1. 6. مضمون الرحلة.

لا شك في أن أدب الرحلات تعد تسجيلا لكثير من حقائق الواقع ووصفا للأمكنة والمعالم التاريخية ومختلف الأخبار التي تتصل بالموضوع.

والدراسة الموضوعية لأدب الرحلات يؤدي إلى إدراك حقيقة من الفن وكشف ما يتميز به إذ لكل رحلة معمار أدبي، يتطلب تصنيفا واقعيا ودراسة فنية وتحديد رؤية الكاتب الرحالة وما كان يشغله أثناء رحلته من معالم حضارية وأماكن تاريخية وأعلام ووقائع ولقاءات وتتشعب قضايا المضمون في الرحلات عموما إلى موضوعات عدة منها ما يتسم بالطابع الجغرافي الذي يخص وصف المدن والمظاهر الطبيعية وتحديد الطرق والمسالك وغيره من المواضيع التي تنتمي إلى الجغرافيا الطبيعية ومنها ما يتسم بالطابع التاريخي الذي يضم محاور كثيرة كالاجتماع والثقافة والدين والسياسة والاقتصاد.

## 2. 1. 1. 1. الجانب الجغرافي:

اعتنى عدد من الباحثين في أدب الرحلة، باستخراج وتحليل المواد الجغرافية الواردة في كتب الرحلات العربية واعتبروها منابع غنية للحقائق والمعلومات الجغرافية عن البلدان، وراح بعضهم إلى اعتبار الرحالين من السباقين إلى التأليف في علم الجغرافيا[44] ع51 السنة 1988ص153.

ونذكر من بين هؤلاء الذين عالجوا المواضيع الجغرافية في كتبهم المستشرق الروسي ( أغناطيوس كراتشكوفسكي ) الذي صنف الرحلة العربية ضمن ما سماه بالأدب الجغرافي الذي عده الباحث فرعا من فروع الأدب العربي[39]ج1ق1ص3.

وقد تنبه كراتشكوفسكي إلى قيمة مؤلفات الأدب الجغرافي العربي لكونها مصادر هامة وأحيانا الوحيدة التي عرفت بمدن وبلدان العالم في حقب معينة مع حفاظها على الطابع الفني في الكتابة[39]ج1 ق1ص3- 4.

أما ريجيس بلاشير فقد فضل انتقاء جملة من النصوص الجغرافية الواردة في مؤلفات أدب الرحلات[54] P: 7 و عدّها بلاشير شكلا متطورا من أشكال الأدب الجغرافي La géographie littéraire الذي يجمع أصنافا مختلفة كمواد المعجم الجغرافي.

أما في الجزائر فقد قام الأستاذ مولاي بلحميسي باستخراج كل الأخبار الجغرافية والتاريخية التي تخص بلادنا الجزائر انطلاقاً من عدد من الرحلات المغربية[46]ص17.

وألف الأستاذ محمد حاج صدوق في الجزائر مقالا باللغة الفرنسية قدم فيه أهم الأخبار الجغرافية والتاريخية المتعلقة ببعض مدن الجزائر وتونس وطرابلس من خلال رحلة" نزهة الأنظار " للحسين الورثيلاني "[47]259 :P.

وتبدو المواد المتصلة بالجغرافية عند أدبائنا متمركزة حول وصف المدن والأمصار أو تحديد مواقعها والمسافات التي تفصل بينها وخصائصها وطرقها البرية والبحرية...

ويندرج بحثنا هنا في سياق الحديث عن المواد المتنوعة التي وردت في رحلة " سوانح وارتسامات عابر سبيل، للرحالة محمد الصالح رمضان، فنعرف بمسار الرحلة والطريق المتبع وما ورد فيها من وصف للمدن والأماكن التي حل بها.

## 2. 1. 1. 1. 1. تعيين مسار الرحلة:

هو الطريق أو الاتجاه الذي سلكه الرحالة للوصول إلى مكان ما، مع ذكر الأماكن التي مر بها أو توقف عندها بالتفصيل مع تحديد تاريخ وزمن الرحلة ذهابا وإيابا وطبيعة الرحلة برا أم بحرا.

تحدث الكاتب في القسم الأول عن مسار رحلته التي انطلقت من مدينة الجزائر العاصمة يوم 25 جويلية 1955 على متن باخرة فرنسية في اتجاه مرسيليا وعند انطلاق الرحلة كان الوقت ليلا والسفينة تشق عباب البحر الأبيض المتوسط الذي يزيد عرضه عن 700 كلم، إلى أن أخذت تلوح مدينة مرسيليا من بعيد التي تعد بوابة فرنسا من الجنوب على البحر الأبيض المتوسط[43]ص51- 52.

ويذكر الكاتب أنه بعد النزول بمرسيليا شد الرحال هذه المرة برا عبر القطار الذي سار بهم في اتجاه الشرق نحو الساحل اللازوردي La côte d'azur مرورا بـ" تلون " الذي يعد أكبر ميناء عسكري لفرنسا على البحر المتوسط.

ثم مدينة " كان " و" نيس " حتى الوصول إلى الأراضي الإيطالية فتحدث عن الريفيرا الإيطالية والوصول إلى خليج جنوة في آخر النهار والشمس مائلة إلى الغروب وبعد التعرض إلى جنوة وميناءها غادرها بالقطار.

وتوقف رفقة الوفد في مدينة البندقية للاستراحة بعض الوقت بعد أن قطعوا طيلة الليل سهل " Lam bardia " لمبارديا الذي يحتضن خوض نهر " البو " po وانطلاقا من البندقية استأنف الرحالة السير نحو النمسا على متن القطار.

الذي اتجه بهم هذه المرة صوب الشمال مخترقين السهول والوهاء مرورا بـ تریاستا مرور الكرام فوصولا إلى مدينة ترويس Tarwis آخر نقطة من الأراضي الإيطالية على مقربة من الحدود اليوغسلافية في جبال الألب الشرقية و" القطار يدب في الأراضي النمساوية على سكته الحديدة وسط جبال وعرة وأراضي صعبة لا عهد لنا بها[43]ص68.

واصل القطار يتلوى في طريقه بين الغابات والأدغال يخترق الجبال والأنفاق إلى أن عنت لهم جبال الألب الشرقية كانت ما تزال قممها مجللة ببياض الثلج في عز الصيف.

وظل القطار يسير طيلة الليل لقطع جبال الألب الشرقية وفي " الصباح الباكر أشرفنا على منطقة فيينا بعد أن اجتزنا ممر سمرينع Semmering وهو الطريق الطبيعي الوحيد الذي يصل ما بين فيينا وإيطاليا.

ويسرد الكاتب بدقة متناهية المحطات التي توقف بها أو مر بها فيذكر أنه توقف قليلا في محطة القطار بفيينا لإتمام إجراءات السفر ثم واصل السير من فيينا نحو الشمال في القطار حتى دخول الأراضي التشيكية بعد اجتياز جبال الكرباط التي تقوم كحد طبيعي بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا.

إذن تم النزول بعاصمة تشيكوسلوفاكيا براغ أو براها Praha أين استقبل أحسن استقبال حيث مكثوا هناك نصف النهار الثاني.

ثم واصلوا السير على متن القطار نفسه وسط الغابات والأدغال وبين السفوح والجبال حتى اجتازوا جبال السوديت في شمالي تشيكوسلوفاكيا التي تعتبر الحد الطبيعي بينها وبين بولندة( بولونيا ).

" وهكذا أرخى العنان للقطار فصار ينهب الأرض نهبا ويطوي المسافات طيا إلى أن دخلنا الأراضي البولونية "[43]ص85. وكان الوصول إلى العاصمة " فرصوفيا " أو وارسو أو وارشاوا في يوم أحد آخر جويلية وهكذا تم الوصول إلى الغاية من هذه الرحلة الطويلة التي دامت أياما وليال في البر والبحر.

## 2. 1. 1. 1. 2. العودة من فرصوفيا إلى الجزائر:

في نهاية القسم الأول من الرحلة مضى الرحالة يتحدث عن طريق العودة إلى الجزائر انطلاقا من فرصوفيا في الرابع عشر من شهر أوت يوم الأحد بعد الظهر[43]ص99. إلا أن حديثه هذه المرة كان مقتضبا لأن طريق العودة كان نفسه طريق المجيء ولهذا رأى الكاتب أنه لا داعي لإعادة ذكر تلك المشاهد التي تحدث عنها سابقا في طريق الذهاب.

قصد الكاتب المحطة –مع الوفد المرافق- واستقل القطار الذاهب إلى تشيكوسلوفاكيا وسار القطار في الطريق نفسه الذي سلكه في المجيء أي القطار الرابط بين فرصوفيا وبراغ وما بين براغ وفيينا.

وكانت الاستراحة في عاصمة النمسا( فينا ) من وعثاء السفر ثم الاتجاه إلى سويسرا والعبور من شمالها الشرقي إلى جنوبها الغربي مرورا بمدن وقرى ومكثوا بجنيف مدة ثلاث ساعات للراحة.

وأهم المدن التي مر بها القطار واسترعت انتباه الكاتب مدينة زوريخ الواقعة في الطرف الشمالي للبحيرة التي تحمل اسمها. وهي أكبر المدن السويسرية[43]ص104.

ومن جنيف وبعد فترة وجيزة للراحة عاد الكاتب إلى فرنسا عبر طريق ليون مرساي وهو غير الطريق الذي انطلقوا منه في الذهاب إذ كان طريق مرساي نيس خالياً.

وكان المبيت في مرسيليا على أمل الرجوع إلى الوطن على متن طائرة آرفرانس.

## 2. 1. 1. 1. 3- وصف المدن وخصائص البيئة الطبيعية:

إن الرحلة التي قام بها الكاتب تعد سجلا لكثير من حقائق الواقع وإن كان القسم الأول من الرحلة يغلب عليه الطابع الجغرافي التاريخي الذي يخص وصف المدن وذكر المظاهر الطبيعية الملفتة للانتباه وتحديد الطرق والمسالك والمسافات التي تفصل بينها وذكر خصائصها وموارد مائها.

وما تحسن الإشارة إليه أن هذه الرحلة تعد منبعا غنيا للحقائق والمعلومات الجغرافية فمن الثابت أن عددا من الباحثين في أدب الرحلة قد اعتنوا باستخراج وتحليل المواد الجغرافية الواردة في كتب الرحلات العربية واعتبروها منابع غنية للحقائق والمعلومات الجغرافية ورأى بعضهم أن الرحالين كانوا من السباقين إلى التأليف في علم الجغرافيا[43]ص153.

وأول ما تعرض له محمد الصالح رمضان في القسم الأول من الرحلة الإشادة بالبحر الأبيض المتوسط وما كان له من دور ومكانة بين بحار المعمورة كونه همزة وصل في العلاقات الدولية فيلمع لذلك قائلا:" فألفية يمتاز عنها جميعا بأنه ملتقى استراتيجي عظيم الأهمية..... فيها بحر من البحار من حيث كونه يتوسط العالم القديم وتحضنه أقدم وأهم قارات العالم: افريقيا وآسيا وأوربا فهو قلب العالم النابض بالحياة من أقدم العصور إلى يومنا هذا "[43]ص52.

ثم يذكر قيمته التاريخية كونه مهد الحضارات وهمزة وصل التعارف البشري إذ يبلغ عرضه 708 كلم.

ثم يتساءل– صاحب الرحلة- مستنكرا ادعاءات المحتل الغاشم الذي يدعي أن الجزائر فرنسية رغم هذا الحد الطبيعي الفاصل بين القارتين أوربا وإفريقيا.

وبعد تعريضه بفكرة المحتل الغاشم يتصاعد حسه الوطني ويذكر هبة الشعب الجزائري لطرد الغاصب الفرنسي مستعدا لدفع الغالي والنفيس مستشهدا بقول عنترة العبسي:

لا تسقني ماء الحيـــاة بذلـــــــة ❁❁ بـــل فاســقني بـــالعز كـــأس الحنظـــل.
مـــــاء الحيـــــاة بعـــــزة كجهـــــنم ❁❁ وجهـــنم فـــي العـــز أكـــرم منـــزل.

وفي خضم هذه الروح الوطنية تلوح مرسيليا في الأفق.

## 2. 1. 1. 1. 3. 1. مرسيليـا.

" هذه مرسيليا أكبر مدن فرنسا بعد باريس تبدو لنا من بعيد وهي بوابة فرنسا في الجنوب على البحر الأبيض المتوسط تقع شرقي مصب نهر الرون وغربي ميناء تولون ذلك الميناء العسكري العتيد الذي هجم علينا منه جيش الاحتلال الفرنسي سنة 1830. ومن هذين الميناءين:

المدني والعسكري توالت علينا قوافل الاستعمار والاستغلال والاذلال كالجراد تستولي وتلتهم كل شيء بلا هوادة ولا رحمة وقد تكيدنا منها المصائب والويلات طيلة قرن وثلث قرن ذقنا فيها المذلة والهوان والاحتقار وعرفنا فيها الجهل والفقر والحرمان بعد العزة والسيادة والسلطان "[43]ص53.

ثم يواصل حديثه عن مرسيليا " فلم أر ما يلفت النظر كثيرا سوى معالم المرسى الهام والمدينة التجارية الكبرى التي تكتنفها الجبال والتلال من ثلاث جهات وأن الميناء يقوم على لسان من البحر طويل يتوغل في قلب المدينة كالسيف يقسمها نصفين متعادلين "[43]ص53.

ثم يصف طبيعة المنطقة الجغرافية وهو يمر بها في القطار بعد مغادرة الباخرة إلى البر ابتداء من مرسيليا ثم" تولون وكان " ونيس حق الوصول إلى ايطاليا ثم يتحدث عن الريفيرا الإيطالية و" جنوة " التي تعد من أهم موانئ إيطاليا في الشمال الغربي وتعد " جنوة " رابع أو خامس مدينة في إيطاليا وهي الباب التجاري الغربي لسهل نهر البو Po الغني بإنتاجه الصناعي والفلاحي.

وصور لنا الكاتب" جنوة " في حالتين في الزمن الماضي وحالتها في زمن الرحالة[43] ص55.

فأما الحالة الأولى فقد نالها الخراب والدمار في الحرب العالمية الثانية " عندما قذفتها بحرية الحلفاء بشدة وضراوة ووحشية بقنابل محرقة ومدمرة مهددة بذلك ايطاليا الفاشستية حليفة ألمانيا النازية في عهد زعيميهما الطاغيتين " موسوليني وهتلر فحطمت معالمهما.

أما حالتها زمن الرحلة فقد سبقت الإشارة إليه ورغم بعد الكاتب عن وطنه إلا أنه على اتصال روحي به وحسه الوطني دائم الحضور فمشاهدته لمنحدر الأبنين L'apinine تذكر مسارح بلاده تيمقاد وجميلة وشرشال وقالمة[43]ص55.

ولما غادر القطار" جنوة " داهمت الكاتب الذكريات التاريخية القديمة التي عادت به إلى الماضي السحيق إلى 24 قرناً عند اقتحام القائد القرطاجني" حنبعل " وبعد السرد التاريخي الذي خصه الكاتب لهجوم" حنبعل "[43]ص59 وصراع الإمارات بإيطاليا وتاريخها المعاصر يصورها لنا في الحاضر أي في زمن الرحلة فيتحدث عن نظام حكمها.

ويصفها جغرافيا فيقول:" أرضها شبه جزيرة في شكل جزمة كبيرة تمتد بين البحر الادرياتيكي والبحر الأبيض في اتجاه الغرب يفصلها عن دول وسط أوربا قوس عظيم من جبال الألب في الشمال، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 760 كلم ومن الشرق إلى الغرب ما بين مائة ومائة وخمسين كلم تتبعها جزيرتان كبيرتان هما صقلية وسردينيا في البحر الأبيض المتوسط "[43]ص61.

وأهم مدنها بعد روما: ميلانو– نابولي– توريتو– جنوة البندقية ثم ميناء ترياستا الحرة.

ويحط الكاتب الرحال بالبندقية Venise ويبتهج هو والوفد المرافق له وطربوا لهذه الفرصة التي سمحت لهم برؤية عروس الأدرياتيك عن كثب" ذلك البلد السياحي الجميل ذي الشهرة العالمية قبلة الأدباء والشعراء والفنانين "[43]ص52.

وصور لنا الكاتب إعجابه بالبندقية فذكر سحرها وجمالها وما تمتاز به بين" مدن العالم من تلك الشرايين المائية الكثيرة التي تتخلل أحياءها وعمارتها وتقوم مقام الأنهج والشوارع والطرقات وتلك الزوارق والقوارب والمراكب السابحة فيها "[43]ص63.

ويواصل الكاتب في رسم صورة جغرافية لهذه المدينة السياحية الجميلة التي يسميها الإيطاليون" ملكة البحار " لما كان لها من عز شامخ ومجد باذخ وصولات وجولات في الماضي مع كبريات الدول. فيصفها قائلا " يشق المدينة القنال الرئيسي الكبير فيقسمها شطرين عظيمين أو مدينتين كبيرتين تخترقهما كثير من الفروع والقنوات المائية علمنا من بعد أنها تبلغ 160 قناة تعلوها مئات الجسور والقناطر تربط ما بين ضفافها فتبدو المدينة وكأنها غارقة في الماء أو تسبح في البحر أو هي تقع على صخور أو جزر عديدة قريبة من الساحل مما يجعل أحياءها أشبه بشيء بأرخبيل يتكون من عشرات الجزر مختلفة الأشكال والأحجام ولعل بعض فروع نهر البو Po الواقع جنوبيها يمر داخلها ويتفرع إلى قنوات وهذا ما لا أتحققه فقد يكون مجرد وهم مني "[43]ص64.

ثم يذكر لنا ما شهد من قصور بيزنطية وكنائس قوطية وآثارا من عهد الدوقات والحاكمين مما يدل على ما كان لها من ثراء وماض عريقين.

## 2. 1. 1. 1. 3. 2. ترياستـا:

عند دخول الأراضي النمساوية بالقطار لا يلبث الكاتب حتى يندمج في سحر الطبيعة فيصف جلال وبهاء الطبيعة ذات التنوع في مناظرها ولكن في لوحة تختلف عن سابق لها في إيطاليا فهذه ترياستا الحرة" ثغر هام كبير في أقصى شمال الادرياتيك ومنطقة إستراتيجية ذات أهمية تعاقبت عليها الليالي والأيام من مسرات وأسقام فقد كانت مدينة حرة في القرن 13 وكانت ميناء مزدهراً لأوربا الوسطى والمنفذ البحري الوحيد للنمسا إلى البحر "[43]ص67.

وبعد مغادرة" ترياستا " واصل الكاتب رحلته نحو الشمال حتى انتهى إلى مدينة Tarwis تارويس آخر نقطة من الأراضي الإيطالية على مقربة من الحدود اليوغسلافية في جبال الألب الشرقية.

ثم ينتقل إلى وصف القطار وهو يدب في الأراضي النمساوية وسط جبال وعرة وأراضي صعبة لا يكاد يعرف عن المنطقة شيئا لا لغة أهلها ولا كتابتهم، إلا أن جمال الطبيعة وسحرها لا يحتاج إلى لغة أو دليل[43]ص68.

ويواصل الكاتب وصفه يردفه بشيء من التحليل تارة والتعليل تارة أخرى فيقول: " فالقطار يتلوى في طريقة بين الغابات والأدغال يخترق الجبال في أنفاق طويلة وقصيرة أو يسير حذوها في أخاديد طويلة وعميقة ونحن نرى الجبال الشم الشوامخ فيهولنا علوها ونستعظم أمرها لأننا من قرب ومن تحت ولو كنا نراها من بعد ومن فوق على متن طائرة أو منطاد لكان نظرنا إليه يختلف حيث يرى القطار من الأعالي أشبه ما يكون بقرية صغيرة أو دودة أم الأربعة والأربعين بالنسبة لعظمة هذه الجبال "[43]ص69.

لقد استغرق القطار طيلة الليل لقطع سلاسل جبال الألب الشرقية ذات التعاريج واللالتواءات ولما لاح الصباح أشرف القطار على فينا بعد أن اجتاز ممر" سمرينع ".

وبعد أن قدم الكاتب نبذة تاريخية عن" فينا " واصفا إياها بمركز اشعاع ثقافي وفكري، ففيها أشهر دار للأوبيرا في العالم وبها أهم المتاحف والآثار التاريخية والحضارية ... وهي قبلة السياح والزوار لأنها تحتوى على أعز الآثار وأندرها[43]ص77.

ثم يقدم لنا بطاقة جغرافية عن النمسا فيقول:" والنمسا هي فيدرالية صغيرة يبلغ عدد سكانها سبعة ملايين ونيفا لغتها الألمانية واسمها القومي" أوستررايش " يتكون علمها من ثلاثة أشرطة أفقية أحمر- أبيض- أخضر وعملتها" الشلن " النمساوي وهي دولة صغيرة عديمة السواحل تقوم في قلب أوربا الوسطى يشقها نهر( الدانوب ) بسواعده وروافده فيربطها بدول( البلقان ) من الجهة الشرقية ومنها إلى( البحر الأسود) وبألمانيا من الجهة الغربية حيث يتصل بنهر( الراين ) ثم ببحر الشمال.

ويعرج الرحالة ليحدثنا عن أهمية نهر الدانوب ثاني نهر في أوربا من حيث الأهمية ينبع من الغابة السوداء بألمانيا ويصب في البحر الأسود في مسافة تقدر بـ 1800 كلم مارا بعواصم فيينا – بودا بست بلغراد وغيرها من كبريات المدن في أوربا الوسطى ويصله بنهر( الراين ) قنال هام يربطه بالشبكة النهرية( للراين ) التي توصله إلى بحر الشمال فالمانش ثم المحيط الأطلسي فالدانوب أهم وأعظم أجزاء النمسا[43]ص75.

وبعد مغادرة فيينا نحو الشمال على متن القطار إلى الوجهة القادمة وهي تشيكوسلوفاكيا Tchécoslovaquie اجتاز القطار الغابات الكثيفة والتلال والمزارع وجبال الكرباط التي تفصل بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا.

ويحدثنا الكاتب عن الأراضي التشيكية موقعا جغرافيا ومكانة تاريخية[43]ص79- 80. فيذكر لنا أن هذه الجمهورية التشيكية تقع شمالي النمسا بين جمهوريتي المجر في الشرق وألمانيا في الغرب وهي مثل النمسا عديمة السواحل كثيرة الجبال حيث تكتنفها جبال السوديت في الشمال وجبال الكرباط في الجنوب غير أنها أوسع من النمسا رقعة بما يساوي النصف وأكثر منها سكاناً بما يقارب الضعف.

وهي دولة حديثة تكونت باتحاد شعبين هما:

التشيك والسلوفاك وهي غنية بالغابات والأراضي الزراعية زيادة على ثروتها المعدنية الثرية المتنوعة من ألمنتوم وأوراتيوم وكاولين وغرافيت...

أما عاصمتها براغ أو براها Praha تقع في أقصى القسم الغربي من تشيكوسلوفاكيا في" بوهيميا " أهم إقليم صناعي وعلى نهر الألب( Elb ) الذي يعطي بوهيميا طريقا مائياً عظيم القيمة يؤدي إلى سهول ألمانيا الشمالية وثغر همبرغ فبحر الشمال[43]ص82.

وبعد هذه المعلومات الجغرافية القيمة يواصل الكاتب طريق رحلته ليجتاز جبال السوديت التي تعد حداً طبيعياً فاصلاً بين تشيكوسلوفاكيا وبولونيا عاصمة المهرجان.

## 2. 1. 1. 1. 3. 3. بولونيـا:

بدأت الطبيعة تأخذ شكلا جديداً فالأفق زاد اتساعاً والجو ازداد صفاءً فالمنظر يختلف عن ذي قبل فنحن في أكبر سهل بأوربا... [43]ص86.

ولا يخفي الرحالة انشراح خاطره لرؤية الأرض بحلتها الخضراء الزاهية وصفاء السماء والأفق الذي لا تحده جبال ولا تسده تلال؛ ففي أحضان الطبيعة انتعشت روحه وفكره وكأنه طفل سعيد في أحضان أمه[43]ص86.

ومن خلال نوافذ القطار التي كانت بمثابة شاشات سينمائية أو تلفزيونية تعرض مشاهد ورؤى طبيعية تمتع بها الرحالة حتى دخوله الأراضي البولونية، التي حدثنا عن الجانب الجغرافي لبولونيا.

تحدث الكاتب عن بولونيا وتاريخيا وجغرافيا فيذكر أنها تتكون من سهل واسع رتيب بين دول قوية ويرى الكاتب أن موقعها هذا هو الذي جعلها عرضة للاعتداءات التي طالتها في تاريخها وأرضها.

فهي ذات سهول فسيحة منبسطة لا يزيد ارتفاع أربعة أخماس مساحتها على مئتي متر فوق سطح البحر.

احتوت على ما يقرب أربعة آلاف بحيرة ومساحات واسعة من الغدران والمستنقعات والمروج.

ويجتاز نهر الفستول La Vistule بولندة من الجنوب إلى الشمال ويعد أعظم طريق مائي فيها[43]ص87.

عاصمتها فرصوفيا Varsovie أو وارسو أطلق الكاتب العنان لقلمه فستأثر التاريخ باهتمام الكاتب والجانب العمراني فقدم لنا صورة وافية عن بولونيا ماضيا وما عانته من بشاعة الحرب وحاضرا وهي تعيد بناء نفسها[43]ص94- .97

## 2. 1. 1. 1. 4. طريق العودة إلى الجزائر:

في طريق العودة لم يقدم لنا الكاتب تعريفا بالدول التي مر بها لأنه قد عرف بها سابقا.

وفي هذه المرة خصنا الكاتب بحديث تاريخي وجغرافي عن سويسرا[43]ص100.

حيث استقل القطار من فيينا إلى سويسرا صباحا وعند دخول الأراضي السويسرية لم تتغير المشاهد والمناظر الطبيعية عن النمساوية وما زاد عنها هو البحيرات والكتل الجليدية ومراكز الراحة والاستجمام والمحطات الرياضية التي تشتهر بها سويسرا.

واسمها القومي شفايتس بالألمانية وسويس بالفرنسية وسويسرا بالإيطالية وهي لغاتها الرسمية الثلاث.

عاصمتها" برن " علمها أحمر عليه صليب أبيض عملتها الفرنك السويسري.

وهي دولة صغيرة تجاوز أربع دول هي النمسا من الشرق، فرنسا من الغرب، ألمانيا من الشمال وإيطاليا في الجنوب[43]ص101- 102.

تشتهر بإنتاج صناعي دقيق وبإنتاج الألبان ومشتقاتها ثم حدثنا عن ميزات أرضها فقال:" أرضها تحتل الجبال المتوجة بالثلوج والبحيرات نحو ربع مساحة سويسرا لذلك اقتصر إنتاجها الزراعي على بعض الحبوب و البطاطس و الخضر و الفاكهة ومنتجات الألبان التي تقدر قيمتها بنحو ثلاثة أرباع الإنتاج الزراعي كله فيها "[43]ص103.

أما مدينة جنيف فيصفها الرحالة بالمدينة الجميلة النظيفة التي لا ينقصها سوى جمال أخلاق أهلها وحسن استقبالهم لزوارهم "[43]ص103.

وهي ثالثة المدن السويسرية من حيث عدد السكان وهي مركز صناعي تجاري وسياحي هام تشتهر بصناعة الساعات تقع على الطرف الغربي للبحيرة الرائعة( بحيرة جنيف ) وهي قريبة من الحدود الفرنسية يشقها نهر الرون.

ويطلق اسم جنيف على المقاطعة التي تعتبر جنيف قاعدتها وعاصمتها ويشتهر هذا القطاع باستعمال سكانه اللغة والثقافة الفرنسية ومن مشاهير علمائها جان جاك روسو، جاكونيكر وأقام بها الأديب الفرنسي الفيلسوف فولتير[43]ص103.

## 2. 1. 1. 2- الجانب الاجتماعي:

عادة ما تشتمل الرحلات على مواضيع اجتماعية متنوعة شاهدها الرحالون فشدت انتباههم فجاءت على شكل ملاحظات وإشارات وردود أفعال تجاه موقف أو حركة أو منظر أو سلوك أو أنماط حياة، كما تعلقت بالأحداث التاريخية وما كان لها من أثر إيجابي أو سلبي[48]ع5 السنة 1985 ص57- 71 وكذلك[49] ع51 السنة 1988ص26-48.

وقد خص الكاتب" محمد الصالح رمضان " القسم الثاني من الرحلة والمعنون بـ " فرصوفيا مدينة المهرجان " بالحديث عن المهرجان وأنشطته وتناول الأرض والإنسان في واقع جديد بعد حرب مدمرة فقدم لنا انطباعات رحالة يحرص على إفادة قرائه بمعلومات تاريخية، سياسية، اقتصادية وثقافية واجتماعية.

ومن الموضوعات الاجتماعية التي رصدها الرحالة ووصفها وعبر عنها بعفوية مما جعلها تتميز عن ملاحظات عالم الاجتماع الذي يركز على الظاهرة فيحيط بكل جوانبها ويبحث عن مسبباتها ونتائجها، بداياتها وحالات تطورها. نجد ما يلي:

## 2. 1. 1. 2. 1. الحوادث الاجتماعية.

عرف العالم إبان الحربين العالميتين حوادث ومخاطر كثيرة من حروب داخلية وخارجية وما تبعه من انخفاض في مستوى المعيشة المادي وانتشار الأمراض والأوبئة والوفيات والجلاء الجماعي وخراب المدن وحمامات الدم والجرائم النووية التي يندى لها جبين الإنسانية.

وتعد هذه الرحلة محل الدراسة سجلاً لكثير من حقائق الواقع وإن كان يغلب عليها الطابع التاريخي والجغرافي ففي كل مصر من الأمصار يحط به صاحب الرحلة رحاله إلا وأفادنا بمعلومات

متعلقة بالمكان موقعاً وتاريخاً حتى نكاد نجزم بأننا أمام عمل تاريخي، فحرص على إفادة القارئ بمعلومات تاريخية قيمة.

ونذكر على سبيل المثال ما ذكره لنا عن مدينة" جنوة " وتاريخها القديم الحافل وعند الوصول إلى سهول لا مبارديا Lambardia تعود الذاكرة بالرحالة إلى الماضي السحيق وهجوم القائد القرطاجي الكبير" حنبعل" على روما ثم يسرد في الحديث عن تاريخها المعاصر وما عاشته إبان الحركة الفاشستية بزعامة" موسوليني " الذي استولى على الحكم وجعله حكما ديكتاتوريا[43]ص58- 59.

وكذلك الملاحظات الدقيقة والوافية عما شاهده من أحوال الناس في المدن والأماكن التي مر بها خاصة بولونيا لما حط الرحال بها فقدم نظرة تاريخية عامة لها.

بدء من القرن 17 ميلادي حتى الحرب العالمية الثانية[43]ص87- 88 التي كانت" بالنسبة لبولونيا كالإعصار المدمر فهدمتها تهديما فظيعا وفتكت بشعبها فتكا ذريعا حتى قيل أن خسائرها المادية بلغت ما يعادل إنتاج الأمة بكاملها مدة ست سنوات من العمل الدائب المثمر... "[43]ص94- 95.

وتحدث صاحب الرحلة عن تدمير الألمان للعاصمة فرصوها واحراقها فكانت خلاصة التخريب 85% من المباني و90% بالمائة من المؤسسات الصناعية...

ومن بين هذه الخرائب ما لا يقدر بثمن من كنوز الهندسة المعمارية للمتاحف والقصور وللمسارح والكنائس الحديثة منها والأثرية...

ثم يتصور لنا حال فرصوفيا بعد الحرب المدمرة وعودة اللاجئين البولنديين إلى مواطنهم زرافات ووجدانا ونزولهم في مخيمات ومعسكرات حتى تتهيأ لهم المساكن.

وكانت سنة 1949 عطفة تاريخية لإعادة البناء والتشييد وهكذا قامت العاصمة من خراب وأنقاض الحرب الهتليرية المدمرة.. فالمدينة لا تهلك ميلاداً واحداً ككل المدن بل ميلادين اثنين: ميلاد نشوئها وميلاد تجديدها[43]ص96- .97

## 2. 1. 1. 2. 2. المرأة عديلة الرجل:

لقد قدم لنا الرحالة" محمد الصالح رمضان " المرأة في صورة إنسانية هادئة فهي عاملة ومنبع وحي وإلهام عكس ما نجده عند بعض الرحالة الذين قدموا لنا المرأة في صورة شيطانية ومطية للرذيلة[50]ص127 وكذلك[51]ص92- 93.

فتحدث الرحالة عن مساهمة المرأة في الحياة العامة وفي أعمال كثيرة هي" عندنا من اختصاص الرجال مثل سياقة الشاحنات والحافلات الكبيرة وعربات الميترو وسيارات الأجرة "[43] ص143.

كما شاهدها شرطية في ملتقيات الطرق تراقب حركات المرور وهي مشاهد لا أثر لها في المجتمع الجزائري وحتى في المجتمعات العربية الأخرى خاصة أنها مجتمعات ذكورية تحمل القسوة في النظرة الاجتماعية للمرأة.

وتعجب الرحالة وعبر عن انبهاره اتجاه مكانة المرأة ودورها في المجتمع ومبعث ذلك أنه لم يألف ذلك في مجتمعه ويقول بهذا الصدد:" قد يبدو تعجبي وانبهاري من وضعية المرأة في هذا البلد الأوروبي في غير محله اليوم ولكن يجب ملاحظة أن هذا التعجب كان في سنة 1955 ومن رجل يخرج لأول مرة ليطلع على العالم وبعيد حرب عالمية طاحنة غيرت أوضاعا كانت موروثة من عهود الجهل والتخلف، كانت عامة في الشرق والغرب على السواء حتى في أوربا نفسها قبل الحربين العالميتين "[43] ص143.

تتجلى نظرة الرحالة المتفتحة وتظهر روحه المثقفة فلم يكن من الذين تبهرهم ثقافة الأجنبي وعاداته فيستصغر نفسه ويستحقر مجتمعه ويرميه بالتخلف.

إذ يرى أن مشاركة المرأة في ميادين الحياة المختلفة تبدو موجودة وعادية حتى في العالم الثالث ونحن جزء منه فهي قاضية في المحكمة ومحامية وهي مسؤولية سامية ... فهي تشكل جزءا لا يتجزأ من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي هزت العالم بعد الحرب وكادت تعم المجتمعات الراقية والسائرة في طريق التطور "[43].137

## 2. 1. 1. 2. 3- الخدمات الاجتماعية:

يعيش البولونيون في بلادهم حياة اشتراكية يشبهها الكاتب بخلية نحل كبرى في حركتها" فهي ورشة عمل عظيمة تتعاقب عليها أفواج العمال بالليل والنهار ولا تعرف الفتور والتوقف "[43] ص138-139.

ويتحدث عن الحقوق التي يتمتع بها العمال كنظام المعاشات والمساعدات الاجتماعية التي تمنحها النقابات ومجالس الشعب وتعد هذه المعونات من عناصر توفير الأمن والاستقرار والطمأنينة للعمال، مثل التعويضات العائلية وإعانات الولادة والوفاة والمرض، خاصة المعونات الطبية التي تمنح للأم والطفل وإمكانية التمتع والإقامة المجانية في بيوت الراحة والاستجمام.

وحتى غير العامل بإمكانه تلقي العناية الطبية المجانية.

وينوه الكاتب بقيمة الوقت عند البولونيين على العكس منا ومن الشرقيين عموما الذين لا يقيمون وزنا للوقت.

## 2. 1. 1. 2. 4- العادات السيئة والسلبيات:

رغم إعجاب" محمد الصالح رمضان " بدور المرأة في المجتمع البولوني إلا أنه استرعى انتباهه أمر الأطفال إذ لا حظ أن الشوارع والأزقة تخلو من وجود الأطفال فدفعه فضوله إلى السؤال عنهم لعرف أنهم يعيشون في مؤسسات تربوية خاصة ابتداء من دور الحضانة حتى الالتحاق بالمدارس الإبتدائية يقول:" فوجدنا أطفالاً رضعاً في مهاد صغيرة مصطفة بعضهم نائم والبعض يتحرك في جذل وحبور... والأطفال موزعون على عدة حجرات...فحجرة لأبناء الستة شهور الأولى مثلا وحجرة لأبناء الستة شهور الثانية وحجرة لمن بدأوا الحبو...وهكذا وجدنا حظيرة تفريخ بشرية ما كنا نحلم بها"[43] ص144.

استهجن الرحالة هذا الأمر استهجانا كبيرا وتساءل عن مآل الأسرة ودورها في المجتمع ... فهذا النظام يبدد الكيان الأسري ويقضي على الترابط والتعاطف العائلي بين الأولاد والوالدين والأقارب يقول:

" فهذه الدور والمؤسسات هي عندي مثل معامل التفريخ تماما تنشئ الأجيال إنشاء آليا بعيدا عن أمهاتها وآبائها لتتعلق هذه الأجيال في رأيي بحكوماتها ومنظماتها بدلا من آبائها وأمهاتها... "[43] ص146.

ويتساءل " هل يكون نشء هذه الحضانات ورياض الأطفال نشئا سويا طبيعيا مثل باقي الأطفال الذين تربوا في أحضان والديهم وتغذوا بلبان أمهاتهم وتمتعوا بحب ورعاية أهاليهم وعطفهم وحنانهم أم يكونون نشئا آخر ؟! "[43]ص146.

ويختم تعليقه وانطباعه حول الموضوع أنه وقف مليا من بعض مظاهر الاشتراكية فاستحسن ما استحسن واستنكر ما أنكر محتكما في ذلك إلى علقه وإرثه الثقافي والحضاري.

## 2. 1. 1. 2. 5- حسن العادات والأخلاق:

من بين العادات أو الظواهر التي لم يألفها الكاتب في بلده ظاهرة ما سحي الأحذية التي كانت منتشرة في الجزائر ومرد ذلك إلى الاستعمار الغاشم الذي ولد هذه الظاهرة في مجتمعنا فلجأ إليها الناس لسد الحاجة مضطرين فإذا بالكاتب يتفاجأ لأنه لم يجد من بمسح له الحذاء.

ولما استفسر عرف الجواب" إننا لا نرضى لأحد أن يركع ويمسح رجل أحد، مضى ذلك العهد الذي يخضع فيه المستضعفون للسادة والنبلاء ويقبلون أقدامهم! "[43]ص140- 141.

فكل فرد يقوم بهذا العمل بنفسه فلا مكان للطبقية في المجتمع البولوني عكس ما نجده في" النظم الإقطاعية والرأسمالية التي يسود فيها السادة ويستدل فيها الضعفاء ويطغى الطغاة ويهان المستضعفون، فيستسخرونهم ويستعملونهم في خدمتهم كالعبيد، نحن هنا سواسية لا سيد ولا مسود ونتفاضل بالعمل والكفاءة فقط "[43]ص141.

ومن الأخبار التي أوردها " محمد الصالح رمضان " في رحلته والمتعلقة بحسن العادات أن أهل بولونيا لا يهتمون بالكماليات التي لا تقوم عليها الحياة فلا يقيمون لها وزنا وأورد على سبيل المثال الشكولاطة التي بعث عنها في كل مكان ليقتنيها بغرض العلاج إلا أنه لم يجدها ولما استفسر عن سبب ذلك عرف أنها من الكماليات التي لا تسمن ولا تغني من جوع لهذا لا يقتنيها الناس. يقول في ذلك: " سألت الدليل عن سبب ندرة الشكلاطة وارتفاع سعرها في بلادهم. فقال:" هذه كماليات لا تقوم عليها الحياة، ولذلك لا نقيم لها وزنا ولا نهتم بها، ولا يشتريها سوى الزوار الأثرياء أمثالكم ..."[43] ص142.

ويذكر لنا أنه أخذ دروساً من هذه الأمثلة الصغيرة ذات المعاني الكبيرة.

ومن العادات الحسنة التنزه في الحدائق والأماكن العامة في أيام العطل والأعياد.

وعادة التنزه يوم الأحد تبدو متأصلة لدى المجتمع البولوني فهم في هذه الأيام يرتاحون فيها من العمل الجاد المضني فيقول في شأن ذلك:" فهذه الأيام هي الأعياد الأسبوعية التي يرتاحون فيها من العمل الجاد المضني في البناء والتشييد، يبتعدون فيها عن هدير نواعير المعامل والمصانع ... ينسون فيها هموم الحياة وأتعابها، لذلك يقضون راحتهم الأسبوعية هذه في التلهي والتمتع بأنواع من الترفيه والتسلية واللعب ... "[43]ص150.

لكن هيهات أن ينبهر الرحالة بمظاهر الترف فهو ذلك الناقد المحتكم إلى عقله وإرثه الديني والثقافي فرغم إعجابه بعادة التنزه والترفيه والتسلية إلا أنه لا يحب المغالاة في ذلك يقول:" فالقوم على ما يبدو ماديون دنيويون على دين ماركس ومذهب لينين، لا شأن لهم بالعبادات والطاعات وغيرها من القربات ولا حتى الاشتغال بأطفالهم .."[43]ص151.

ومما يتصل بصفات الكرم والترحيب بالغريب فقد أعرب الرحالة" محمد الصالح رمضان " عن ذلك لما لقيه وضيوف المهرجان من حسن استقبال وحسن معاملة والتقرب إلى ضيوف المهرجان والتودد إليهم ومرافقتهم إلى حد المبالغة في ذلك. فيقول:" يتفقون في التلطف والتودد والتعرف إليك ودعوتك إلى تناول شيء معهم أو مرافقتهم إلى أماكن عامة أو خاصة يتفننون في ذلك تفننا عجيبا رغم النكبات التي حلت بهم في الحرب، ورغم الصعوبات التي اعترضتهم في إنشاء دولتهم وبنائها من جديد، لعلهم واجدون في ذلك تعويضا عما قاسوه في الحرب من مآسي التشريد والغربة.. "[43]ص153.

## 2. 1. 1. 3. الجانب الديني والثقافي:

عادة ما تتضمن الرحلات سيما تلك التي يقترن فيها الغرض الديني بالغرض العلمي ملاحظات قيمة عن الحياة الثقافية والدينية فعرفت قراءها بأنواع العلوم التي تدرس والكتب المؤلفة وتراجم للفقهاء والعلماء والأدباء[48]ص273- 286.

## 2. 1. 1. 3. 1- الديانة.

لقد كان للكاتب ملاحظة قيمة حول هذه النقطة رغم أن رحلته لم تكن رحلة دينية إلا أنه لم يهمل الجانب الديني فحدثنا عن الديانة في بولونيا حيث كانت الكاثوليكية قبل الحرب العالمية وتتمتع بسلطة ونفوذ كبيرين.

وبما أن بولونيا اليوم– زمن الرحلة- تحت حكم شيوعي فإن الدولة تعطي كامل الحرية للمواطن في التدين أو عدمه.

ويذكر" محمد الصالح رمضان " ذلك بقوله:" القساوسة يمارسون طقوسهم الدينية مع مريديهم بكامل الحرية ... ومئات الكنائس التي هدمت في الحرب أعيد بناؤها بمساعدة الدولة... "[43]ص148.

وفي ضوء هذه المعلومات المروجة في ظل الحكم الشيوعي أراد" محمد الصالح رمضان " أن يتأكد بنفسه من صحتها فقام هو ومرافقه في الرحلة" الحفناوي هالي " بزيارة لإحدى الكنائس في جولة حرة صبيحة يوم من أيام الآحاد، فدخلوا الكنيسة فلم يجدوا بها أحداً فأخبرهما القس أن الناس قاموا

بشعائرهم وانصرفوا فاستفسروه عن التدين والكنائس في هذا العهد الجديد لبولونيا فأجابهما أنهما في أحسن حال، إلا أن ذكاء الرحالة سمح له بأن يكشف مغالطات هذا القس فيقول:" لاحظت طاولة أمامي في الصفوف الأولى مغبرة فهمزت صاحبي من طرف خفي وأمررت أصبعي فوقها والشاب ينظر، فترك إصبعي خطاً واضحاً عليها مما يشعر بالإهمال الكلي للكنيسة فضلا عن المجيء للصلاة ..."[43] ص149.

وهكذا تجلت الحقيقة عارية لا غبار عليها وعرف الرحاله ومرافقه أن القس حاول تغليطهما فيقول:" لقد فضحت الرجل وكشفت كذبه وعلمنا أن الشيوعيين كالديمقراطيين يكثرون من الإعلام والدعاية، فلا يغتر الإنسان بدعاية هؤلاء وأولئك ... "[43]ص149.

ثم يعرب عن دهشته لتخلي البولونيين عن دينهم بسهولة.

## 2. 1. 1. 3. 2- التعليم:

يفيدنا صاحب الرحلة عن حالة التعليم في بولنيا في عهدها الجديد، إذ يعيش البولونيون حياة اشتراكية ديمقراطية شعبية التعليم فيها إجباري مجاني في جميع مراحله بما فيه التكوين المهني والتقني والعلمي والفني ناهيك عن النوادي الثقافية والمكتبات العمومية والملاعب الرياضية ... إلخ.

ويذكر لنا كذلك أن هناك مؤسسات أخرى لها دور توعوي تربوي مثلها مثل المدارس تتمثل في المسارح والسنيما يقول في هذا المجال" والحدائق والمعاهد والمسارح والسينيماءات أكثر عددا من المقاهي والملاهي والمحلات التجارية وتسعيرة الدخول إلى المسرح والسينما رمزية أكثر منها تجارية وما يعرض في هذه القاعات والمحلات ليس من قبيل التلهية وقتل الوقت، بل فيها فضلا عن الترفيه تعليم وتربية وفيها تثقيف وتوعية فهي عبارة عن مدارس أخرى ومعاهد لخدمة الجماهير وتكوينهم نفسيا وإيديولوجيا "[43]ص138.

## 2. 1. 1. 3. 3.الغناء والموسيقى:

حدثنا صاحب الرحلة في معرض سرده لأخبار رحلته عن النشاطات التي شاهدها أثناء المهرجان واسترعت انتباهه وهي صور من الرقص والغناء والموسيقى بهدف إبراز تراث الأمم ومدى احتفاظ كل شعب بثقافته الأصلية.

فذكر الفرق التشيكية والسلافية والصربية وما قدمته من عروض في الرقص حيث امتازت بالخفة وتداخلت على حد قوله:" مع الرقص الغجري ذي الجمال العفوي والإغراء الطبيعي "[43] ص134- 135.

وقد نال إعجابه لباس الراقصين والراقصات" ذو الألوان الزاهية البدوية المعبرة عن روح الفلاحين المحبين لأرضهم وتراثهم ... ".

كما أعجب بالرقص الشرقي فالفرق البولونية والروسية والمجرية" محافظة على تقاليدها وطقوسها وكذلك فرق من الصين والهند واليابان إذ تتميز بالانسجام التام بين الحركة والنغم الحالمين وبين الملابس الكاسية الزاهية المعبرة عن الطابع الشرقي الفطري المتميز بالخفة والاحتشام ".

وأبدى رأيه من الرقص الأوروبي الذي قال عنه لا فرق بين غربيه وشرقيه أساسه النط والقفز واللف والدوران والموسيقى الغربية يغلب عليها الصخب المنبعث من الآلات النحاسية والطبول الضخمة ... " وأبدى ضيقه بالموسيقى الغربية قائلا:" فأنا لا أطيق سماع هذا النوع منها لأنه يزعجني دويه وصخبه فأضطر إلى سد أذني ".

## 2. 1. 1. 3. 4. المعالم الحضارية:

لم يفوت صاحب الرحلة فرصة التعريف بالمعالم الحضارية التي زارها في بولونيا وأعجب بها، فلم يكن هدفه الأوحد وصف الأماكن من حيث موقعها وما تتصف به فحسب بل صور لنا كل ما استوقفه ولفت نظره من أحوال الناس وعاداتهم ونظام حكمهم..

وفي وصفه لجولاته التي قام بها رفقة صديقه ومرافقه في الرحلة لمعالم المدينة، ذكر لنا أنهما زارا معظم معالم العاصمة فرصوفيا وتجولا في أحيائها القديمة والحديثة ويقول في معرض حديثه: " وتجولنا في بطحاء سوق( مريا نستاد ) والشريان الرئيسي للمدينة والحي المركزي الجديد وحاراته الرئيسية وقصوره وحدائقه الأنيقة مثل:( لزيانكي )، والحدائق الأخرى الحديثة "[43]ص156.

وذكر لنا كذلك زيارته للمتحف الوطني ومتحف( فريد ريك شوبان ) ومتحف الجيش البولوني ... والقصر المركزي للملك جون الثالث( يوبياسكي ) التاريخي الذي يعود إلى القرن السابع عشر.

ومن أهم المعالم التي شدت انتباه الرحالة:

## 2. 1. 1. 3. 4. 1- قصر الثقافة والعلوم[43]ص157- 158:

لقد حظي هذا المعلم باهتمام الرحالة ونال إعجابه ويذكر لنا ذلك قائلا:" أما قصر الثقافة والعلوم فحدث عنه بكل إعجاب وانبهار بلا حرج فهو ينتصب عملاقا في قلب العاصمة، لا يدانيه بنيان في بولونيا أو في غيرها فيما أقدر، من حيث الاتساع والارتفاع ... وروعة الهندسة والإتقان في كل شيء ... وهو هدية شعوب الاتحاد السوفيتي البديعة ... "[43]ص157- 158.

ويبدو إعجاب الرحالة بهذا المعلم باديا للعيان حيث أسهب في وصفه وذكر كل ما يحيط به من مبان وساحات وإدارات بدقة متناهية وكأنها صورة فتوغرافية وقدم أرقاها لتقدير عظمته وفخامته حيث أمضى الضيوف نصف النهار كله للتجول في أقسامه ولم يتمكنوا من الإحاطة به كاملا.

ويبدو أن جمال وروعة هندسة القصر قد أخذت بلب صاحب الرحلة وحركت ملكته الشعرية فوصفه قائلا:

عجبا ومما يلفت الأنظار فـــي ❁❁ فرصـــوفيا بعـــد النهـــوض الثـــاني.
قصـــر الثقافـــة والعلـــوم ومـــا حـــوى ❁❁ مـــن بـــاهر آيـــات فـــي العمـــران.
صـــرح بديـــع مردتـــه أبـــالس ❁❁ مـــن روســـيا فاقـــت ملـــوك الجـــان.

ويقول على لسان حال القصر:

سـنقيم مـن شـعب تمـزق شملـه ❁❁ والحـــرب أقـــوى أمـــة لـــلآن.
ونقـــيم مـــن أم المـــدائن ورشـــوا ❁❁ مـــا لـــم يكـــن فـــي ســـالف الأزمـــان.
ومتـــى أراد الشـــعب شـــيئا نالـــه ❁❁ حتـــى المحـــال يصـــير فـــي الإمكـــان.

وفي وصف ساحاته وأقسامه يقول:

رحبـــت بطـــاح حولـــه وأجلهـــا ❁❁ بطحـــا عظـــيم الـــروس فـــي الإبـــان.
طفنـــا بـــه أقســـامه فـــأهمني ❁❁ منهـــا الكثيـــر ومشـــرح ذو شـــأن.

ومن المعالم التي عرفنا بها الرحالة:

## 2. 1. 1. 3. 4. 2. حي الغيتوGhetto.

بعد الإطلاع على أحياء المدينة وأهم معالمها ومصانعها ومؤسساتها قصد الرحالة رفقة الوفد والدليل المرافق لهم ناحية من المدينة نصب فيها جدار ضخم عال من الغرانيت عليه تماثيل كبيرة من

البرونز تمثل مأساة من مآسي الحرب العالمية الثانية في فرصونيا ولوحة مرمرية من الرخام الأسود عليها كتابة وتاريخ بالبولونية فأخبرهم الدليل أنه" هذا حي الغيتو Ghetto( Ghetto كلمة إيطالية تعني الإقامة الجبرية لليهود في مكان خاص بهم وكان ذلك نحو خمسة قرون خلت في البندقية وفي روما ثم صار يطلق في أوربا على الأحياء اليهودية وكان القانون يعين دائرة هذا الحي الذي يمكن عزله بغلق أبوابه في الليل أو في النهار ويحرم القانون مغادرة اليهود له على مساكن أخرى بناء على مرسوم بابوي صدر عام 1555 وحدت العواصم والمدن الأوروبية حذو روما والبندقية بعد ذلك ) من الأحياء القديمة لفرصوفيا، كان خاصا باليهود فلما غزا الألمان المدينة طوقوا الحي بالأسلاك الشائكة وحصروا سكانه فيه ... فلما تمرد شباب الحي وحاولوا فك الحصار ... جاءت الأوامر بهدم الحي على من فيه ... كان ذلك يوم 19/ 04/ 1943 فقد دمر الألمان الحي بقنابل المدافع من الأرض ... "( كان سكان الحي قبل الحرب يعدون( 400 ) ألف نسمة ثم ألحق بهم الألمان نحو( 200 ) ألف نسمة من يهود الآفاق ثم دمروا الحي في بضع دقائق ).

أمام هذا المشهد المؤثر برزت النزعة الإنسانية عند صاحب الرحلة فعبر عن أسفه رغم أن اليهود هم أعداء قومه ويقول:

ولئن نسيت فلن أنسى مشهدا ❁❁ في حي غيتو عبرة الأزمان.
حي بكامله يخص بأهله ❁❁ يفضى عليه برمشة الأجفان.
نصف من المليون يقضي نحبه ❁❁ فلحظة بقنابل الألمان.
يا للفضاعة والشناعة والعمى ❁❁ والبغي يا لحماقة الجرمان.
لا تمش ويحك ها هنا فأديم هذا ❁❁ الحي من أشلاء بين الإنسان[43]ص188.

## 2. 1. 1. 4. الجانب السياسي والاقتصادي.

بالرغم من أن الرحلة محل الدراسة لم تكن رحلة تجارية أو سياسية إلا أنها لا تكاد تخلو من معلومات عن الاقتصاد والسياسة.

فلم يتحدث صاحب الرحلة مطولا عن الجانب السياسي والاقتصادي وذكر ذلك بالتفصيل في الملحق الخاص بالتعريف ببولونيا موقعا وتسمية فتطرق لنظام الحكم فيها وأجهزة الدولة والشعار والعلم والتقسيم الإداري ومكانتها السياسية في المجتمع الدولي[43]ص204 وما بعدها( الملحق الخاص بالتعريف ببولونيا ).

كما تناول العلاقة الديبلوماسية بين الجزائر وبولونيا.

وسنحاول أن نذكر بإيجاز أهم المعلومات المستقاة من الرحلة:

## 2. 1. 1. 4. 1- السياسية:

عرف صاحب الرحلة بنظام الحكم في بولونيا أنها" دولة ديمقراطية شعبية تعمل على تشييد الاشتراكية وأجهزة الدولة تتمثل في:

**1- البرلمان:** وهو الجهاز الأعلى الثاني للدولة.

**2- مجلس الوزراء:** يؤلف مجلس الوزراء الجهاز العالي لإدارة الدولة.

**3- الأحزاب:** ولنظام الأحزاب أهمية كبيرة وهو يستند إلى ثلاثة أحزاب سياسية لا تتعارض فيما بينها بل تحكم البلاد مشتركة مع بعضها وهي:

1- الحزب العمالي الموحد.

2- الحزب الفلاحين الموحد.

3- الحزب الديمقراطي.

أما عن مكانتها الدولية فيقول:" مبادئ سياسة بولونيا الخارجية مستمدة من مفهوم الاشتراكية ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالتحولات الاجتماعية والاقتطاعية التي حدثت منذ أواخر الحرب العالمية... أصبحت عضوا في معاهدة فرصوفيا( حلف وارسو ) ذلك الحلف الدفاعي للدول الاشتراكية الأوروبية.. وهي عضو مؤسس في منظمة الأمم المتحدة "[43]ص209.

ويذكر لنا أيضا أن بولونيا في سياستها تطبق مبدأ التضامن مع الشعوب المفاضلة ضد الظلم الاستعماري وتمنح لها تأييدها لاستكمال حريتها، ويعطي مثال على ذلك: بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل إثر عدوان 1967[43]ص209.

كما تعرض في رحلته إلى ذكر بعض الشخصيات السياسية وسرد بعض الأحداث المتصلة بهم كما ورد في حديثه عن" هتلر زعيم النازية الذي اقترن اسمه بحمام الدم الألماني خلال عام 1943 الذي أراد من خلاله تطهير حزبه النازي من العناصر التي تعارض سياسته التوسعية فكان عدد ضحايا هذه الحركة يتراوح ما بين 300 و1000 من السياسيين والضباط ورجال الأعمال البارزين[43] ص170.

وكذلك: ستالين الذي ينسب إليه حمام الدم الروسي خلال عامي 1936 و1937 بعد محاكمات صورية عرفت بمحاكمات موسكو إذ كانت تجرى في غرف مظلمة وتنتهي باعتراف المتهمين بالجرائم التي تنسب إليهم ومنها التآمر على حياة ونظام ستالين للتخلص منهم.

ومن الشخصيات التي ورد ذكرها في ثنايا الرحلة بعض الحكام الاستعماريين مثل( لاشياي ) و( لستراد كاربونال )[43]ص170-171 المرتبط اسميهما بمجازر سطيف وقالمة وخراطة في الأسبوع الأول من ماي الدامي سنة 1945 والتي راح ضحيتها 45 ألف جزائري برئ في يومين أو ثلاثة باعتراف الفرنسيين أنفسهم تلتها محاكمات صورية انتهت بالحكم بالإعدام على مائة وطني آخر.

## 2. 1. 1. 4. 2- الاقتصاد:

اكتفى صاحب الرحلة بالحديث عن الاشتراكية البولونية التي" تفرض على الفرد نظاما إجباريا للعمل والإنتاج وتكفل للجميع المساواة في الحقوق والواجبات، لذلك يقبل كل مواطن ومواطنة على عمله وأداء واجبه بجد واجتهاد وهو مطمئن مرتاح البال لا يفكر في لقمة العيش ولا حتى في تكاليف أطفاله"[43] ص139.

وتعد طبقة العمال عندهم أعلى طبقة والعامل من أي صنف كان يعتبر في المقام الأول.

كما تضمن الدولة مجانية التعليم والعلاج والمساعدات الاجتماعية.

ولا يخص صاحب الرحلة إعجابه بهذا النظام الاقتصادي، فيقارن عالم الاشتراكية الغريب بواقع أبناء المستعمرات فيقول:" فهذا العالم الاشتراكي مغاير تماما للعالم الذي نعرفه في بلادنا وحتى للعالم الديمقراطي الحر كما يسمونه، الذي نسمع به ونعرف دعاياته ومغرياته ولكنه لا يخلو من الطبقية والميز العنصرية والمذهبي، فالعمال الكادحون فيه غير الأغنياء وأصحاب الإقطاع والحيثيات والبروتستانت غير الكاثوليك ... "[43]ص140.

ويفيدنا في معرض حديثه عن بولنيا أن أكثر سكانها يعيشون على الزراعة بنسبه 60 % ومن أهم مواردها الطبيعية الفحم الحجري إذ يقدر احتياطه بأكثر من سبعين مليونا من الأطنان، والنحاس والكبريت ثم الفحم الخشبي( اللينيت ) وفحم الكوك والملح الصخري، وأملاح البوتاس والغاز الطبيعي والزنك وقليل من الحديد والنفط.

كما تتميز بظروف إقليمية منشطة لاقتصادها لوقوعها على خطوط العرض المتوسط وارتفاعها الضئيل عن سطح البحر[43]ص205.

## 2. 2. السرد أنواعه ووظائفه:

### 2. 2. 1. مفهوم السرد:

السرد هو ذلك التأليف الشفوي أو الكتابي الذي يقوم به مؤلف هو السارد، يعرض فيه أحداثا جرت في أماكن خاصة، وأزمنة معينة، قامت بها شخصيات مختلفة فاعله وثانوية وقد يكون السارد في هذا المنتوج السردي إما شخصية مشاركة في الحدث مع بقية الشخصيات أو مجرد راو يحكي الحدث، كما قد يكون راويا وشخصية في آن واحد.

ويرى بعض الدارسين أن الراوي إذا كان بعيدا عن الشخصيات الفاعلة للحدث فإنه يعتمد ضمير الغائب، وضمير المخاطب ويظهر ذلك عن طريق الحوار الذي يعد جزء من السرد أما إذا كان السارد شخصية فاعلة، فإنه يعتمد في سرده على ضمير المتكلم فقط[52]ص225( الهامش ).

وعرف" عبد الملك مرتاض " السرد بقوله:" السرد في أصل اللغة العربية هو التتابع الماضي على سيرة واحدة ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطور.. إلى معنى اصطلاحي.. بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي برمته، فكأنه الطريقة التي يختارها الروائي ليقدم بها الحدث إلى المتلقي.. "[53]83- 84.

واصطلح النقاد على أن عملية السرد التي يقوم بها السارد ينتج عنها نص قصصي يشتمل على محورين: اللفظ القصصي أو الخطاب، والملفوظ القصصي أو الحكاية، ومنه يميز السرد بزمنين: زمن اللفظ وهو زمن السرد أو القص، وزمن الملفوظ هو زمن الحكاية أو الوقائع...[54]ص78.

ويرى عبد الملك مرتاض أن السارد لا يعبر عن ذاته فحسب بل يتجاوزها إلى غيرها فيقول:" يكون السارد إذن ضميرا لأدب ما أو شعب ما، أو أمة ما، في زمن ما، وهو الذي يسوق الحكاية من وجهة نظر عليا، لأنه هو الذي يزجيها ويرعى نسيجها ويتعهد نشأتها، ويتابع تطورها إلى أن يبلغ بها المنتهى الذي يود بلوغه "[55]ص190.

وتبعا لهذه المعطيات نستطيع أن نتناول الظاهرة السردية في الرحلة محل الدراسة بالنظر إلى عدة جوانب منها: علاقة النص السردي بمنتجه( السارد )، ودرجة أهميته بين النصوص المختلفة وهو ما يدخل في مجال مستويات السرد وبالنظر أيضا إلى أنماط السرد باختلاف الزمن فيه من ماض وحاضر ومستقبل.

ويساعد تغير السرد من حيث الأساليب والطرق المتبعة في تقديم الحدث عند السارد، إلى اكتشاف تقنيات سردية خاصة، كأسلوب التشويق بالمدد السردي وتنويع الصيغ بين المتكلم والغائب والمخاطب، كما أن النشاط السردي للراوي يجعلنا نبحث في وظائفه وأغراضه المتنوعة يتنوع الحالات والدواعي كغرض التعبير أو التأثير أو الإقناع أو التعليق أو الاستشهاد ... أو غيره من الأغراض.

## 2. 2. 2. مستويات السرد[54]ص104- 107:

إن الهدف من دراسة المستويات السردية في رحلة " سوانح وارتسامات عابر سبيل " لصاحبها محمد الصالح رمضان هو إبراز الدرجة التي يحتلها كل نص سردي ومنها الوصول إلى التمييز بين السرد من الدرجة الأولى وهو ما يسمى بالسرد الابتدائي أو الأساسي والسرد من الدرجة الثانية أو السرد الثانوي أو الفرعي، ثم إدراك العلاقات الكائنة بين المستويين ولا يمكن دراسة المستويات في الرحلات عموما إلا بالنظر إلى طبيعة الأحداث المسرودة إذ منها ما يكون ذا صلة مباشرة بالرحلة المنجزة فعليا، ومنها ما يكون بعيدا عن موضوعها في الزمان والمكان، إلا أن أسبابا ودواعي خاصة اقتضت سرد تلك الأحداث.

ويظهر من خلال ما ذكرنا أن المستوى الابتدائي في السرد يتعلق بأحداث السفر والتنقل من الوطن أو محل الإقامة وبأحداث شتى تصاحب السفر وتتزامن معه.

أما السرد الثانوي، فهو يتضمن أحداثا فرعية بعيدة عن زمان أحداث الرحلة ومكانها ويلجأ المؤلف إلى سردها لغرضين: الأول تفسير ما جاء في السرد الابتدائي بقصد إضافة معلومات وأخبار تخص المكان أو الشخصيات، أو المواقف والثاني إثبات علاقة تشابه أو تباين بين الحدث في السرد الابتدائي والحدث في السرد الثانوي ويؤدي السارد في هذا المستوى دور السرد والرواية لا أكثر.

### 2. 2. 2. 1. السرد الابتدائي:

يظهر جليا السرد الابتدائي في رحلة محمد الصالح رمضان في المقاطع السردية التي تضمنت أحداث السفر ووصف التنقل من مكان إلى مكان وذكر المشاهدات والزيارات التي قام بها.

كما نلاحظ ورود السرد الابتدائي بصيغة المتكلم المفرد تارة وصيغة جمع المتكلم تارة أخرى في القسم الأول من الرحلة، ومن أمثلة السرد الابتدائي بصيغة المفرد المتكلم قوله:" هذه ثاني مرة أعبر فيها البحر المتوسط فقد عبرته في السنة الماضية إلى إسبانيا في مثل هذا الشهر ولكن الوقت كان ليلا هذه المرة "[43]ص48.

كذلك قوله في موضع آخر" كنت أتأمل البحر وأهواله ... كنت أفكر في هذا البحر المتوسط وقيمته ومكانته قديما وحديثا بين بحار الدنيا "[43]ص49.

كذلك قوله:" أنا شديد التأثر برؤية المناظر الطبيعية إلى حد محاكاتها- إن صح التعبير- فإذا تجهمت السماء مثلا تجهمت أساريري وإذا أشرقت الشمس أشرقت ملامحي "[43]ص70.

أما السرد الابتدائي بلسان جماعة المتكلم ورد في قوله:" نزلنا من مرسيليا فوجدنا الشبيبة الديمقراطية هناك قد رتبت الأمور وهيأت وسائل السفر لنا ولقوافل أخرى من فرنسا ومن شمالي إفريقيا... ".

كذلك قوله:" هكذا مررنا بالساحل الأزوردي مرور الكرام نتمتع بالنظر إليه من القطار فنرى حمرة سقوف منازل المدن وبياض جدرانها بين خضرة المزارع والغابات والأحراش وبين زرقة البحر والسماء... "[43]ص54.

وفي موضع آخر يقول:" ثم دخلنا( الريفيرا ) الإيطالية وهي مثل( الريفيرا ) الفرنسية جمالا وجلالا وأشرفنا على خليج( جنوة ) في آخر النهار والشمس مائلة إلى الغروب، وهي تلقي بأشعتها الذهبية على الخليج الحالم وما فيه، وتودع النهار بآخر خيوطها فتضفى عليه جمالا فوق جماله"[43] ص55.

ويظهر مستوى السرد الابتدائي أيضا في اشتراك السارد مع جماعة الوفد المشارك في الرحلة في انجاز أحداث الرحلة والتنقل بين مختلف الأماكن ويظهر هذا في استعمال ضمائر الجمع المتكلم المتكررة في النص السردي في قوله كذلك:" قطعنا طيلة الليل سهل لمبارديا Lambardia الغني الفسيح... "[43]ص62 وقوله:" نزلنا من القطار إلى المحطة، وبعد إجراءات السفر العادية أخبرنا بأننا سنمضي بها فترة استجمام وراحة تدوم نصف نهار.. وبعد الغذاء نستأنف السير نحو النمسا، ففرحنا وطربنا لهذه الفرصة التي تتيح لنا رؤية عروس الأدرياتيك عن كثب ذلك البلد السياحي الجميل ذي الشهرة العالمية، قبلة الأدباء والشعراء والفنانين. رحنا نغتنم الفرصة السانحة نطوف ونتجول في أنحاء الميناء والمدينة... "[43]ص63.

وواضح من هذه المقاطع السردية التي ذكرناها على سبيل المثال أن أحداث السرد فيها تركزت على وصف التنقل وذكر المشاهدات واللقاءات ويعود ضمير المتكلم للجماعة على السارد وصديقه ومرافقه في الرحلة" الحفناوي هالي " وأحيانا على الوفد الكشفي المشارك في المهرجان.

## 2. 2. 2. 2. السرد الثانوي:

على اعتبار أن السرد الثانوي سرد يتضمن أحداثا فرعية بعيدة عن زمان أحداث الرحلة ومكانها بغرض تفسير ما ورد في السرد الابتدائي بقصد إضافة معلومة نفقد ورد السرد الثانوي في الرحلة في عدة مواضع نذكر بعضها على سبيل المثال ما جاء في قوله:" وبالنسبة إلى هذه المنطقة التي يعبرها الآن قطارنا: سهول لامبارديا Lambardia المحصورة بين جبال الألب وجبال الأبرين الشامخة الوعرة المسالك تحميها من كل هجوم معادي، ومع ذلك باعت روما منها القائد القرطاجني الكبير حنبعل بجيش عرمرم مكون من خيرة الفرق المدربة واجتاز به جبال البرانس( البيريني ) بشمال إسبانيا...وهجم على ايطاليا من حيث لا تحتسب بخيله ورجله وبالفيلة والجمال التي لا تعرفها أوربا...دهش الجميع واحتار كيف استطاع حنبعل اجتياز هذه الأبعاد الشاسعة والجبال الوعرة المنيعة..."[43] ص57.

إذن هذا المقطع هو لاحقة تفسيرية من الدرجة الثانية عاد فيها السارد إلى الماضي البعيد ليسرد لنا ما قام به البطل القرطاجني حنبعل ويأتي بعد سرد لحدث الدخول إلى الأراضي الإيطالية والوصول إلى سهول لا مبراديا فالعلاقة بين النصين علاقة سببية ووظيفة السارد في السرد الثانوي وظيفة تفسيرية.

ونجد أحيانا تداخلا بين السرد الثانوي والسرد الابتدائي من قوله:" وذات يوم خرج بنا دليلنا إلى ربض من أرباض المدينة وعرج بنا على مخيمات اللاجئين الذين خربت الحرب ديارهم وأملاكهم... فذكر في منظرهم بمخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق وعاشوا منبوذين بالعراء ينتظرون صدقات منظمات الغيث الدولية ومقررات جمعية الأمم ومجلس الأمن !، والفرق هنا كبير بين لاجئين في بلادهم ينتظرون من دولتهم إعداد مساكن لهم، وبين لاجئين في غير بلادهم لا حكومة لهم ولا وطن ينتظرون عطف العالم عليهم وإنصافهم في عالم أناني لا يرحم، ولا يؤمن إلا بالقوة ولا مكان فيه للضعفاء !! "[43]ص161.

فهذه الأحداث هي بلا شك بعيدة عن أحداث الرحلة لكن السارد فضل روايتها لتشابهها مع ما مر به في فرصوفيا.

## 2. 2. 3. زمن السرد:

تختلف أنماط السرد باختلاف زمنه والصيغ المستخدمة أثناء سرد الأحداث.

سمي السرد بصيغة الماضي سرداً تابعاً وهو سرد تقليدي اعتمده المؤلفون كثيراً.

أما السرد بصيغة الحاضر يسمى سرداً آنياً إذ يصبح الحدث فيه مسايراً للتأليف والقراءة.

وهناك السرد بصيغة المستقبل ويسمى سرداً متقدماً إذ يكون فيه السارد في زمن سابق لزمن الحدث.

## 2. 2. 3. 1. الافتتاحية السرد التابع بصيغة الماضي:

هناك شكلان للسرد التابع: شكل يكون فيه الحدث ماضيا متوقفا بحيث نجد الأفعال في هذا الشكل ماضية بسيطة غير مركبة، والشكل الثاني للسرد التابع يحمل الحدث فيه دلالة الاستمرارية ويتكون من فعلين: الأول ماض والثاني مضارع يدل على الحدث وتكرره في الماضي.

## 2. 2. 3. 1. 1. الشكل الأول من زمن السرد التابع:

وردت مقاطع سردية كثيرة في هذه الرحلة من السرد التابع ونمثل له بقول محمد الصالح رمضان : "استسلم أكثرنا للنوم لتوفير الراحة للرحلة الطويلة التي تستغرق أياما وليالي قبل بلوغ الهدف منها.. " [43] ص49، ونظير ذلك قوله:" اجتزنا حوض البحر الأبيض الغربي من الجزائر إلى فرنسا في أكثر من أربع وعشرين ساعة.. "[43]ص62 وقوله:" نزلنا من القطار إلى المحطة وبعد إجراءات السفر العادية أخبرنا بأننا سنمضي بها فترة استجمام وراحة ... ففرحنا وطربنا لهذه الفرصة ... تجولنا ملياً على أقدامنا وشاهدنا قصوراً بزنطية وكنائس قوطية وآثاراً من عهد الدوقاتر والحاكمين ... "[43]ص64.

مثل هذا النموذج من السرد التابع كثيرا الورود في رحلة محمد الصالح رمضان فهو مرتبط بأحداث انقضت ومرت بسرعة في زمن الرحلة كأحداث التنقل من مكان إلى آخر مثل( نزلنا- تجولت- مررنا– دخلنا– زرنا– ركبنا– تركنا– واصلنا– قطعنا– سار بنا القطار– عبرنا– بتنا ... ).

فالملاحظ أن السارد قد اقتصر على إحداث ماضية بسيطة انقضت.

## 2. 2. 3. 1. 2. الشكل الثاني من زمن السرد التابع:

اختص هذا الشكل بأحداث تكررت في الماضي أو إحداث تعلقت بالتأليف( القصائد – الرسائل ) مما يجعل ما قيل وسرد في تلك الانتاجات الأدبية مستمراً وحاضراً إلى زمن السرد ونورد أمثلة من هذا الشكل كما في قوله:" استسلم أكثرنا للنوم ... ولكن النوم لم يأتيني، كنت أتأمل البحر وأهواله ... "[43]ص49 نجد الحدث في هذا القول مركبا من زمن فعل ماض( استسلم ) ثم أعقبه زمن الفعل المضارع( يأتيني ) وكذلك الفعل الماضي استسلم وهو حدث غير متكرر في الزمن وحدث اتسم بالتواتر( كنت أتأمل ) أي استمرار هذا الحدث في الزمن

وكذلك في قوله:" كنت أفكر في هذا البحر المتوسط وقيمته ... فألفيته يمتاز عنها جميعا بأنه ملتقى استراتيجي عظيم الأهمية "[43]ص49.

نجد هنا تكرر الحدث في الزمن الماضي وتعود صاحب الرحلة على التفكير والتأمل.

## 2. 2. 3. 2. السرد الآني بصيغة الحاضر:

من الحالات التي ورد فيها السرد الآني:" مررنا بالساحل الأزوردي مرور الكرام نتمتع بالنظر إليه من القطار، فنرى حمرة سقوف منازل المدن وبياض جدرانها... فنتخيلها قطعا من الجواهر المختلفة الأشكال والألوان... "[43]ص54.

فهنا نجد قوة أو حضور الحدث في ذهن السارد لكون الحدث تجربة واقعية يحييها السارد بقصها على القارئ في صيغة الحاضر حتى يخيل أن الحدث يجري في زمن سرده لا قبله( بقيت ) وأعقبه فعل مضارع( أتأمل ) وهو المراد التعبير عنه ونقرأ في هذه الرحلة كثيرا من هذه النماذج السردية إلا أنه لا يمكن ذكرها كاملة.

## 2. 2. 4. تقنيات السرد:

الملاحظ أن هناك بعض السمات الأسلوبية والخصائص السودية متترددة بشكل واضح في الرحلات الأدبية عموما ومن هذه الخصائص السردية:

## 2. 2. 4. 1. السرد بضمير المتكلم:

إن شيوع استخدام ضمير المتكلم يعد أمراً طبيعياً وليس أمراً مصطنعاً مثلما نجده في الرواية والقصة القصيرة التي يعود فيها ضمير المتكلم على الشخصية الفاعلة والمتحدث عنها من قبل الراوي[53]ص85.

أما في الرحلات الأدبية نلاحظ أنه لا يوجد تمييز بين السارد والشخصية المرتحلة، واستخدام ضمير المتكلم يكون على أوجه ثلاثة:

- التعبير عن الحدث بأداة المتكلم المفرد( أنا ).

- التعبير عن الحدث بأداة المتكلم المفخم( نحن ).

- التعبير عن الحدث بأداة المتكلم للجماعة( نحن ).

فالتعبير عن الحدث بأداة المتكلم المفرد( أنا ) يظهر جليا في الأحداث المرتبطة بالرحالة وبأحداث التأليف والكتابة للرحلة.

أما التعبير باستخدام أداة المتكلم المفرد المفخم( نحن ) فيكون أحيانا بغرض التنويع في سرد الأخبار وأحيانا يكون بهدف التعالي بالنفس وهو أمر مشاع لدى القدامى من الأدباء.

أما الوجه الثالث وهو استخدام أداة المتكلم للجماعة( نحن ) نجده جليا وغالبا على سمات هذه الرحلة( سوانح وارتسامات عابر سبيل ) وحتى الرحلات الأخرى التي كان الرحالة يرتحل جماعة ويشاركه في رحلته جماعة من الناس.

وهناك تفاوت في استخدام أداة المتكلم بأوجهها الثلاثة ولقد ورد السرد بلسان الضمير( أنا ) في هذه الرحلة في مواضع كثيرة تضمنت عبارات سردية خصت أفعال الرحالة الشخصية من غير إشراك لغيره.

ومن أمثلة ذلك" هذه ثاني مرة أعبر فيها البحر الأبيض المتوسط فقد عبرته في السنة الماضية إلى إسبانيا "[43]ص48 وفي موضع آخر:" أما أنا فشديد التأثر برؤية المناظر الطبيعية إلى حد محاكاتها... فأنا أحب تنوع المشاهد وتجدد الرؤى بالرغم مما تحدثه في نفسي من تأثرات متباينة وأكره استمرار المنظر الواحد الرتيب وأهله ولو كان جميلا مريحا "[43]ص70-71.

هذه العبارات السردية هي شخصية خصت أفعال الرحالة من غير اشراك لغيره.

وتوالت العبارات السردية المتعلقة بأفعال الرحالة الشخصية في القسم الثاني من الرحلة الذي عبر فيه عما شاهده وشد انتباهه مثل قوله:" سألت الدليل عن سبب ندرة الشكولاطة وارتفاع سعرها في بلادهم... "[43]ص142.

وفي موضع آخر معلقا على أمر ترك الأطفال في مؤسسات خاصة يقول:" ولكن الذي حيرني هو مآل ودور الأسرة في المجتمع فالأسرة هي الخلية الأولى لكل مجتمع... "[43]ص145.

وعن زيارته لحي الغيتو Ghetto وما لحق به من خراب ودمار وتنكيل نازي باليهود في الحرب العالمية الثانية فيعبر عن موقفه الإنساني المتهم وروحه العادلة قائلا:" كان موقفي أمام هذه المأساة إنسانيا بحتا تخطيت فيه الحدود القومية والدينية وتجاوزت كل العداوات والحزازات المتصلة بيننا وبينهم ... "[43]ص166.

شيوع هذه العبارات السردية على لسان السارد باستخدام الضمير( أنا ) كثفت من حضوره في الرحلة كونه هو الشخصية الأولى الفاعلة وهو منجز الرحلة.

أما ضمير المتكلم للجماعة( نحن ) هو استخدام حقيقي من قبل الرحالة لأنه قام أو أنجز رحلته وسط وفد كشفي ولم تكن رحلة فردية.

ونجد أحيانا المزاوجة بين أداة المتكلم المفرد وضمير المتكلم للجماعة، فعند زيارته لمكان ما هو والوفد المرافق يذكر ذلك باستخدام ضمير المتكلم للجماعة مثل:( شد انتباهنا– تجولنا– زرنا ... ).

ثم لا يلبث أن ينتقل إلى التعبير عن موقفه الشخصي وعن نفسه وما يجول بها من خواطر إزاء مشهد أو قضية ويعرب عن ذلك قائلا:" فإن الإنسان لا يملك مع هذه المناظر المثيرة، والخواطر والأحاسيس الجياشة زماما لنفسه وعواطفه أن تتحرك أو تثور ضد الظلم والطغيان من أي كان وحيثما كان "[43]ص180.

فذلك قوله:" ركبنا القندول: المركب المائي، الذي تشتهر به البندقية ويتهافت عليه السياح من كل قطر وجنس فذكرني بأغنية( الملاح التائه ) ... فرحت أترنم بما أذكر من مقاطعها وشاركني بعض الرفاق[43]ص64.

ثم يستطرد قائلا:"... فليس لنا من الوقت ما يكفي للتغزل والتلهي ولسنا ممن ضيع في الأوهام عمره ولسنا ملاحين تائهين نلهث وراء هذا اللون من اللهو والمجون "[43]ص65.

ويلاحظ المطلع على الرحلة شيوع عبارات سردية أطلقها السارد على لسانه كثفت حضوره في الحكاية ونسوق مثالا آخر على ذلك" قطارنا الآن يدب في الأراضي النمساوية على سكته الحديدية، وسط جبال وعرة وأراضي صعبة لا عهد لنا بها....

وكل همنا رصد المناظر الطبيعية المختلفة ... لذلك تراني أتمتع بتلك المناظر تارة وتارة أخرى أسبح مع الذاكرة والخيال "[43]ص68- 69.

قد يفسر هذا الانزياح عن استخدام الضمير" أنا " بعد أن استخدم الضمير( نحن ) إلى حرص الرحالة على التفحص والنقد وأحكام العقل فلم ينبهر ببريق الحضارة الغربية ولا بشعاراتها وإنما صور واقعاً فاستحسن ما استحسن وأذكر ما أنكر مبديا مواقفه الإنسانية.

ومما تجدر الإشارة إليه خلو الرحلة من التعبير بأداة المتكلم المفرد المفخم" نحن " التي نجدها في المقابل سمة بارزة في الرحلات التي قام بها القدامى وتكون أحيانا أو غالبا بغرض التعالي بالنفس وإبراز مكانة السارد بين قومه[50]ص635.

أما استخدام الرحالة للضمير نحن للجماعة أمثلته كثيرة يتعذر علينا ادراجها كاملة لأنها سمة غالبة في الرحلة ويعد هذا أمراً طبيعياً لأن الرحالة لم ينجز رحلته بصفة فردية وإنما كان ضمن جماعة.

## 2. 2. 4. 2. الافتتاحية التنبيهية واصطناع الغائب:

ترد الافتتاحية التنبيهية ضمن المقدمة التي يقدمها السارد لرحلته فيقدم السرد بصيغة الغائب أي بلسان راو وهو في الحقيقة السارد والرحالة نفسه.

وتعد هذه المقدمة من خصائص السرد ونمطا شائعا فيه يتعدى أدب الرحلة إلى كتب الدين والتراجم والتاريخ والمتتبع لكتب الرحلة يلاحظ تأثر مؤلفيها بالروح الإسلامية في كتابة مقدمات رحلاتهم فكانت حافلة بالخطابات الدينية كونهم فقهاء وقضاة ومدرسين لعلوم الدين والمقصود باصطناع الغائب هو ما يطلقه السارد على لسان راو يوصف عادة بعبارة" العبد الفقير "( قال أبو العباس أحمد المقري في مقدمة كتابه( نفح الطيب ) يقول العبد الفقير الذليل، المضطر، الحقير، من هو من صالح الأعمال عري )[56]ج1ص1.

أما الافتتاحية التنبيهية فهي أن يوجه السارد خطابه في بداية سرده للأحداث إلى المتلقي باستخدام ضمير المخاطب والنداء أو الأمر لغرض الطلب أو باستعمال أدوات التوكيد بهدف شد انتباه القارئ وتشويقه.

وقد يختلف الأمر أحيانا إذ يذكر الرحالة في مقدمته سيرته الذاتية أو أخبار القارئ برحلاته السابقة.

أما رحلتنا محل الدراسة فقد وضع لها محمد الصالح رمضان مقدمة استهلها بالتعريف لأدب الرحلات وأهميته وذكر أشهر الرحالة قديما.

ورحلته يعتبرها رحلة عصرية" يقف القارئ فيها على نتف وطرف من السياسة والأدب ومن التاريخ والجغرافيا ثم حتى الدين والاجتماع ... "[43]ص35.

وأفاد القارئ أن هذه الرحلة تعد ثاني رحلة قام بها باتجاه أوربا، كما قدم لنا لمحة عن ظروف وتاريخ الرحلة وحتى الظرف التاريخي المزامن لزمن الرحلة ودواعي القيام بها وما حوته من أراء ومشاعر.

## 2. 2. 4. 3. المدد السردي:

يقول الأستاذ" عبد الملك مرتاض ":" إن السارد حين يشعر بأن الضجر بدأ يدب إلى نفس المتلقي.. رتابة السرد وسطحية الحدث يلتجئ إلى هذه التقنية الألسنية لبعث في بعض نصه حيوية كلامية كان أوشك أن يفقدها قبيل ذلك "[53]ص107.

إذن مصطلح المدد السردي هو تقنية التواصل والامتداد في سرد الأحداث وترتبط هذه التقنية بدلالات نصية وأدوات لفظية كثيرة منها( لما– كان– إذا– حين– إلى أن قال ... ).

ومن أمثلة المدد السردي استعمال الأداة" لما " وما يصاحبها من جواب في قوله:" هذه صورة أدبية ولوحة فنية لهذه المدينة السياحية الجميلة( عروس البحر ) ويسميها الإيطاليون ملكة البحار لما لها من عز شامخ ومجد باذخ... "[43]ص65.

ومن أمثلة المدد السردي" لما حان الوقت المحدد للسفر عدنا إلى المحطة وركبنا القطار واتجه بنا صوب الشمال في اتجاه قطر آخر هو النمسا "[43]ص67.

نجدها تعاقب الأحداث( العودة إلى المحطة– ركوب القطار الاتجاه صوب الشمال إلى النمسا ).

وحدث الوصول إلى النمسا هو المقصود التعبير عنه لدى السارد وهو بذلك يبعث الحياة في السرد بهد انقضاء الحدثين السابقين.

وفي مواضع أخرى يخبرنا عن تحول مشاعره وتبدلها مما يدخل في إطار التجديد نحو قوله:" كانت الأرض على اليمين وعلى الشمال خضراء زاهية تنبت فيها قطعان المواشي ... وكنت ولا أزال أحب الخضرة وأرتاح لها فكلما رأيتها انشرح صدري وارتاح خاطري، فإذا رافق ذلك جو معتدل وسماء صافية وأفق واسع ... تمت لي البهجة وعمرني السرور "[43]ص86.

نجد هنا نمطين من الأحداث أحداث متعدية وأخرى مؤثرة ومفاجئة فخذت رعي القطعان والمزارعين وخضرة الأرض هي أحداث أخذت وقتا معينا جعلها تتصف بالتكرار والرتابة على عكس حدث رؤية المنظر الطبيعي الذي غير من حال الحدث والشخصية فتبدلت مشاعره إلى الاشراح والارتياح.

## 2. 2. 5. وظائف السرد:

تختلف وظيفة السرد باختلاف غاية السارد ومقصده فقد يهدف إلى التعبير عن أفكاره وأحاسيسه الشخصية فيكون بذلك أدى الوظيفة التعبيرية أو يكون السارد يهدف إلى التأثير على المتلقي وإقناعه فتسمى بالوظيفة الإقناعية أو التأثيرية.

فوظائف السرد سواء كانت تنبيهية أو تعليقية أو استشهادية أو تنسيقية يمكن أن نجدها في نص قصصي واحد مع علبة إحداها.

## 2. 2. 5. 1. الوظيفة التعبيرية:

تعتبر الوظيفة التعبيرية أو الانطباعية من أبرز الوظائف التي أداها ساردوا الرحلات الفترية الجزائرية من خلال كشفهم عن أحاسيسهم أو تعرضهم لبعض آرائهم وانطباعاتهم.

و من أمثلة السرد الذي يؤدي الوظيفة التعبيرية في رحلة محمد الصالح رمضان ما يعبر من وصف لأحاسيس الشوق إلى الوطن والإشادة بثورة الفاتح نوفمبر:" لكن ثورتنا ستعرب عن نفسها و تعرف القاصي و الداني بالشعب الجزائري و ستفرض على العالم و على مثل هؤلاء احترامها عندما يسمعون صداها و يعرفون مداها فهي تعتني من جملة ما تعني حرية الأرض و حماية العرض"[43]ص130.

كذلك من أمثلة المقاطع السرية التعبيرية والانطباعية التي تحمل وصف الشوق للوطن والحنين لأهله وبني وطنه وهم يرزأون تحت نير الاستدمار الغاشم ما نظمه:

ربـاه هـذا النـوح يجـرح خـاطري ❁❁ ويثيـــر فيـــــه لـــواعج الأشـــجان.
وأنـين قـومي مـا يـزال مـرددا ❁❁ فـــي مســمعي كـــالجرس فـــي الآذان.
إنـــي ليـــؤلمني التـــذكر كلمـــا ❁❁ ألفيـــت نفســـي فـــي حمـــى وأمـــان.
والقـوم خلفـي فـي جحـيم عـارم ❁❁ يتقلبـون علـى لظـى العـدوان[43]ص190.

وهكذا نجد الطاقة الإيحائية التعبيرية السرد ترتفع درجتها كلما ارتبط السرد بوصف حالات الشوق والحنين والانجذاب الروحي فيتحول السرد إلى شعر:

المـــدفع الرشـــاش يمطـــر أهلنـــا ❁❁ برصاصـــــه كالوابـــــل الهتـــــان.
والطـــائرات تـــدك مـــن أكـــواخن ❁❁ مـــا لـــم تصـــله بجيشـــها العـــدواني.

لهفـي علـى الصـبيان مـات أبـوهم ۞۞ وأخـوهم لهفـي علـى الصـبيان[43]ص191.

وحين أحسب بالراحة عبر عن إعجابه بالمكان وببعض مشاهد الطبيعة حين قال عن تصدر الثقافة والعلوم:" أما قصر الثقافة والعلوم فحدث عنه بكل إعجاب وانبهار بلا حرج فهو ينتصب شامخا عملاقا في قلب العاصمة... "[43]ص157.

وعن استنكاره لجهل الإخوة العرب بالقضية الجزائرية عبر صاحب الرحلة عن استنكاره وأسفه قالا:"... أما لقاؤنا العفوي مع الإخوة العرب فكان لقاء أخوياً، لا شيء فيه سوى ما بدا من بعض الأفراد منهم، من جهل مطبق لا يكاد يقبل من أبعد الناس عنا من الأصدقاء فضلا عن الأشقاء.

جهل بحقائق نراها بديهية عند الخاص والعام ... لا يدري ما يقول من أثر الصدمة المفاجئة التي تجعل الإنسان يستحي من الانتساب إلى هؤلاء الجهلة ... فقد وجدنا فيهم من لا يعرف موقع الجزائر في العالم !! ... "[43]ص130.

## 2. 2. 5. 2. الوظيفة الإقناعية والتأثيرية:

تتمثل هذه الوظيفة في إدارة إفهام القارئ وإقناعه بفكرة ما عن طريق تقديم الحجج.

ومن نماذج السرد ذات الوظيفة التأثيرية والاقناعية قول صاحب الرحلة موضحا سبب تعاطفه مع مأساة" حي الغيتو Ghetto " التي راح ضحيتها أكثر من نصف مليون نسمة من اليهود يقول:"... وكان موقفي أمام هذه المأساة إنسانيا بحتا تخطيت فيه الحدود القومية والدينية وتجاوزت كل العداوات والحرازات المتصلة بيننا وبينهم قبل الإسلام وبعده وما ارتكبه اليهود مع شعوب العالم، وما ارتكبتهم الشعوب معهم "[43]166.

وفي موضع آخر يطلعنا عن سبب شاعريته في هذه الرحلة إلى فرصوفيا والكوامن التي حركت روحه فقال:" كانت شاعريتي أكثر إنتاجاً منها في أي وقت، وقد يكون من أسباب ذلك وجود شاعر معي في هذه الرحلة لا يفارقني ولا أفارقه ... وقد يكون مبعث السحر في هذه الرحلة سببا عاطفيا صرفا لم يسبق لي أن رأيت مثله في حياتي، فحينما، اتجهت وجدت آثار الحرب صارخة مثيرة في هذه المدنية المنكوبة تشعرني بفداحة الخطب وفضاعة الحرب... "[43]ص37.

## 2. 2. 5. 3. الوظيفة الإبلاغية:

تبدو الوظيفة الابلاغية التي يحققها السرد في الرحلات مستوحاة من المقاصد التي قصدها هؤلاء الساردون من خلال تأليف الرحلات ذاتها ومن الخطابات التي وجهوها إلى المتلقي أثناء سردهم لأحداث رحلتهم.

فقد بدت الرحلة أداة للتثقيف والتوعية وتعبيراً عن القضايا المختلفة خاصة الوطنية ونقل المشاعر والمواقف والانطباعات.

## 2. 2. 5. 4. الوظيفة التنسيقية:

تتمثل في الربط بين النصوص السردية وأحداث الرحلة أو التمهيد لما سيرد لاحقا أو اخبار القارئ بتأجيل موضوع ما إلى موضع آخر في الرحلة.

وتظهر الوظيفة التنسيقية عند محمد الصالح رمضان في بداية مقدمة رحلته:" سجلت في هذه الرحلة ما عنَّ لي من آراء وخواطر وملاحظات على ما رأيت وسمعت ووقفت عليه، كما.... بعض الصور والمناظر، وألقيت بعض الأحكام والاستنتاجات.... من وحي الخاطر... "[43]ص38.

ويشير إلى محتوى رحلته وأقسامها وما حوى كل قسم فيها[43]ص40 فهو يعرف برحلته مسبقا ".

كما نجد التنسيق بين الأحداث باستعمال حروف العطف" ثم " إذ نجدها التنسيق بيت الأحداث باستعمال حروف العطف" ثم " إذ نجدها تتكرر بكثرة في ثنانا الرحلة كقوله:" ثم دخلنا الريفيرا الإيطالية... ثم رحت أتغنى... ثم لاح لي قول الشاعر... ثم جاءت الحرب... وهي هنا للتعاقب كما نجد التنسيق لغرض أحكام المنهج السردي.

كما تتجلى وظيفة التنسيق من خلال سعي السارد بعد الإستطراد للرجوع إلى سرد أحداث الرحلة وربط ما سبق من كلام بما سيأتي وأمثلة ذلك:" معذرة عن هذا الاستطراد ولنعد إلى حديثنا عن يوم الأحد وانتشار الناس فيه... "[43]ص152- 153. فبينما كان صاحب الرحلة بصدد سرد أحداث رحلته والمتمثلة في التنزه يوم الأحد وكثرة الناس فيه عادية الحديث إلى أمر ترك الأولياء لأبنائهم في دور خاصة ثم عاد إلى أول حديثه.

## 2. 2. 5. 5. الوظيفة التنبيهية:

إن السرد باستخدام أداة المخاطب يهدف إلى إشراك المتلقي وحثه على القراءة و دفعه إلى التفكير أو الإقناع أو التأثر وكل هذه الأغراض تندرج ضمن مصطلح الغرض التنبيهي الذي يظهر إما عن طريق مخاطبة السارد للمتلقي مباشرة أو عند توهم السارد لقارئ يرد أو يناقش ما سرده أو عند توهم السارد لقارئ يرد أو يناقش ما سرده عليه من أحداث و أمثلة السرد التنبيهي " رغم قلتها نذكر منها قوله:" و تسمع أزيز آلات الحفر و محرراتها و أصوات نواعير المعاول الآلية و الجرافات ونحوها..."[43] ص92.

ويظهر الغرض من استعمال ضمير المخاطب هو شد انتباه القارئ ودعوته لتصور مشهد البناء والتشييد وتصور حركة البناء الدائبة لإعادة إعمار ما خربته يد العدوان، وتأنه يتنبئ باستغلال الجزائر فيشحذ هم أبناء وطنه للنهوض به وبنائه من جديد.

كذلك ما ورد في قوله:" فكيف يتسنى لمن يحب الهدوء والسكينة مثلي ويجنح للانفراد والعزلة أن يقول أن يكتب في مهرجان الهرج والمرج ؟ الذي يشب يوم الحساب يرى الناس سكارى وهاهم بسكاري ولكنهم حيارى من كثرتهم واختلاف ألسنتهم..."[43]ص178.

فالنص هنا يفترض قيام قارئ معارض له دور في جلب انتباه القارئ الحقيقي ودعوته إلى التفكير والإقناع بما يبلغه السارد من أفكار وآراء.

## 2. 2. 5. 6. الوظيفة الاستشهادية:

المقصود بالوظيفة الاستشهادية للسارد تعريفه بالمصدر المستند عليه في سرده أو الاستعانة بأقوال الآخرين ونقلها في الرحلة قصد تقوية الكلام بالشواهد القرآنية أو الشعرية وصولا إلى إقناع القارئ بالفكرة وتتعدد مصادر السرد عند محمد الصالح رمضان ومن نماذجها استعانته بالشاهد القرآني:( قتل أصحاب الأخذوذ، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود )[ سورة البروج، الآيات: 4- 7 ]، وهي قصة أصحاب الأخذوذ التي تولى كبيرها زعيم اليهودية في وقته( ذو نواس ) ملك اليمن الذي شق أخاديد طويلة وعميقة في الأرض ملأها حطبا وأشعل فيها النار ورمى فيها من لم يدن باليهودية فقارن بين ما فعله زعيم النازية في قصة الغيثو بما فعله زعيم اليهودية القديم في قصة الأخذوذ.

كذلك استشهاده بيت من شعر أحمد شوقي في معرض حديثه عن البحر الأبيض المتوسط.

يــا أبــيض الصــفحات والآثــار ۞۞ ضـــيع مـــن أضاعـــك[43]ص50.

## 2. 2. 5. 7. الوظيفة التعليقية:

الوظيفة التعليقية وإن كانت بسيطة غير معمقة على خلاف ما نجده في القصص المعتمدة على التحليل النفسي والاجتماعي إلا أنه يمكن استخراج بعض الأمثلة السردية ذات الغرض التفسيري أو التعليقي.

ومثال ذلك تفسير الرحالة لشدة تأثره بالمناظر الطبيعية وما تحدثه في نفسه من مشاعر متباينة وأثر ذلك على تفكيره وتصرفه إذ يقول في هذا السياق:" أما أنا فشيد التأثر برؤية المناظر الطبيعية إلى حد محاكاتها إن صح التعبير، فإذا تجهمت أساريري وإذا أشرقت السماء أشرقت ملامحي، وكلما رأيت منظرا منها ارتسمت له صورة في ذهني وتأثر لها مزاجي ... ومع ذلك فأنا أحب تنوع المشاهد وتجدد الروئ بالرغم مما تحدثه في نفسي من تأثرات متباينة وأكره استمرار المنظر الواحد الرتيب ..."[43]ص70- 71.

الملاحظ أن هذه الدلالة المحورية تبين لنا ما يعتري الرحالة من مشاعر متباينة بتباين حال الطبيعة.

ويمكن التمثيل لهذه الحالات الوجدانية المتباينة بالمربعين العلاميين التاليين رجاء تقريب الفكرة ( جاء بالمربع العلامي العام غريماس في كتابه" المعنى " ).

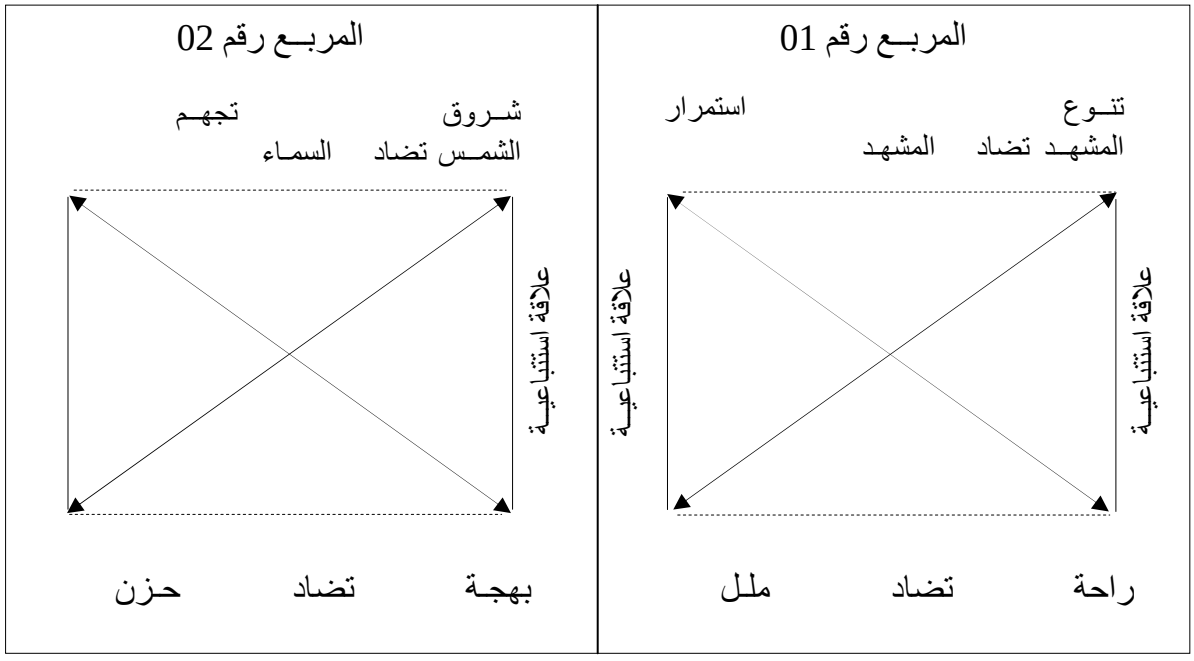


**المربعين العلاميين لتمثيل الحالات الوجدانية المتباينة**

ويظهر نشاط التعليق السردي والتفسير عند محمد الصالح رمضان عندما فسر لنا سبب شاعريته المتدفقة في هذه الرحلة إلى بولونيا وغزارة نظمه على خلال الرحلة التي قام بها إلى إسبانيا عاما واحد قبل رحلته إلى بولونيا.

أي صيف عام 1954 مع نخبة من قادة الكشافة الإسلامية الجزائرية ورغم روعة المكان وحسن التنظيم وجمال الأندلس وجلالها ال.... يوحي للشاعر المتأمل بأرق الشعر وأدق الشعور إلا أن صاحب الرحلة لم يقل فيها شيئا من الشعر أما رحلته إلى بولونيا فكانت على العكس تماما فقد جاءت قريحته شعرا وافرا غزيرا ويفسر ذلك قائلا:"... وكانت شاعريتي أكثر إنتاجا منها في أي وقت وقد يكون من أسباب ذلك وجود شاعر معي في هذه الرحلة لا يفارقني ولا أفارقه... وكان يساجلني وأساجله ويجبرني وأجيزه...

وقد يكون مبعث الشعر أيضا في هذه الرحلة سببا عاطفيا صرفا... فحيثما اتجهت وجدت آثار الحرب صارخة مثيرة في هذه المدينة المنكوبة تشعرني بفداحة الخطب... وتذكرني في نفس الوقت بالثورة العارمة التي اندلعت من بضعة شعور في بلادي ضد الاستعمار الفرنسي الطاغي... "[43] ص179.

فالدلالة المحورية هنا تبين لنا أسباب ودوافع تظم الشعر وغزارته مقارنة بالرحلة إلى إسبانيا والتي كانت متقفرة ومجدبة ويقول صاحب الرحلة في هذا الشأن:" كانت رحلة ممتعة من حيث البحث والدراسة... ولكنها من الجانب الأدبي كانت مقفرة... لم أنظم فيها ولا شطر بيت من الشعر ولم أسجل فيها سطرا من النثر... "[43]ص175.

ويمكن التمثيل لهذه الدلالة المحورية بالمربعين العلاميين التاليين.

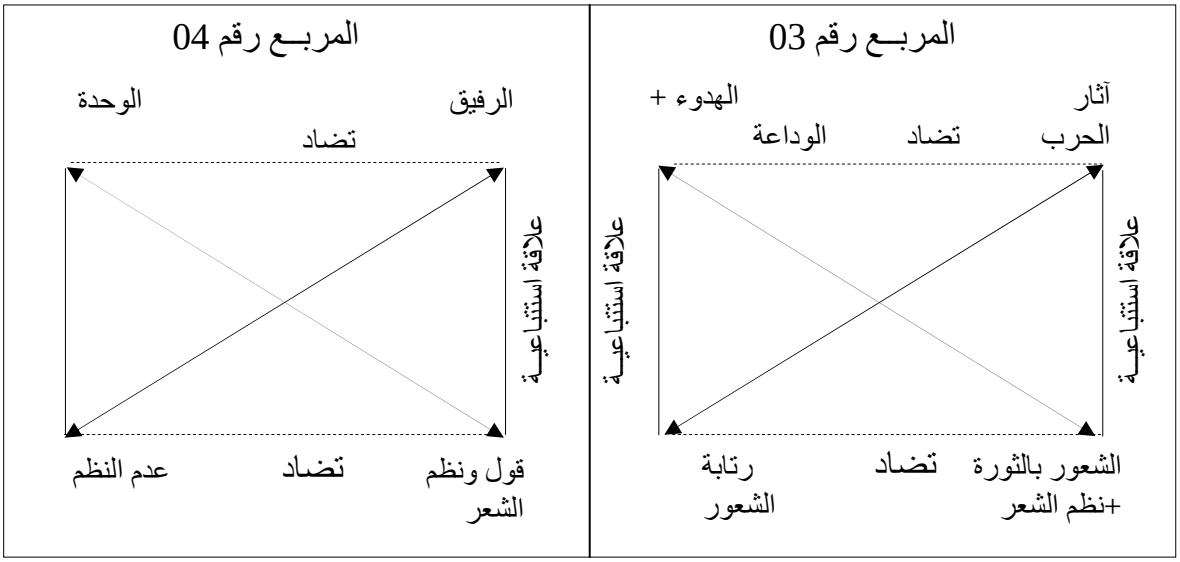


**المربعين 03 و 04 الدلالة المحورية**

## 2. 3. الزمان والمكان والشخصيات واللغة في الرحلة.

### 2. 3. 1. مفهوم الزمان والمكان:

يعد مفهوم الزمن من أكثر المفاهيم تعقيدا، وقد يتوصل إلى تحديد مفهومه وخصوصا في الأدب بالنظر في مظاهره المتغيرة ما بين التزامن والتعاقب والمدة[43]ص155- 157 ، وكذلك بالنظر إلى العلاقات القائمة بين زمني القصة: زمن الوقائع وزمن القص( السرد )[54]78.

ويكتسي عنصر الزمن في القصة أهمية خاصة بكونه يعطي خلفية للأحداث، ويتجاوزها ليصبح فاعلا ومجددا للعناصر الأساسية المشكلة للعمل القصصي: كالخطاب والأحداث المروية وسلوك الشخصيات القصصية[57]ص150 كما يلعب الزمن في الأدب دورا مماثلا لدور اللون في الرسم:" فهو يعطي للحدث صبغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه وتضفي على الجو العام ظلال، توحي بأبعاد دلالية، تسمح بها حدود التأويل "[58]ص34.

وللزمن أنواع منها: الزمن الأسطوري الذي" ينحي عن الأشياء صفتها التاريخية ليجعل منها موجودات طبيعية لا تاريخ وراءها "[59]ص17. والزمن النفسي الذي يكتسي الأحداث الماضية والبارزة، التي تركت بصماتها في حياة الإنسان.

ومنها الزمن الشخصي الذاتي ويقابله الزمن الاجتماعي ومنها الزمن النحوي( ماضي وحاضر ومستقبل ) والزمن الطبيعي( الفصول، والأيام ) وتقوم التجربة الأدبية باستغلال هذه الأنواع من الزمن، وتوظيفها في تطوير الأحداث، وتجسيد المشاعر والأفكار.

ويقترن غالبا الزمن بالحركة والحركة مقترنة طبيعيا بالمكان وعليه فإن العلاقة بين العنصرين المكان والزمان متداخلة يستحيل الفصل بينهما.

ويتمثل المكان في مظهر مادي معين بخلاف الزمن الذي يخص المظهر المعنوي وهو:" الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتسير فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا، ليصبح عنصرا حيا فعالا في هذه الأحداث وهذه الشخصيات ومشحونا بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان "[58]ص43.

نحاول دراسة الإطار الزماني والمكاني للرحلة بالتركيز على عنصر تعاقب الأحداث أو الترتيب الزماني والمكاني فيها.

## 2. 3. 2. الترتيب الزماني والمكاني:

يعرف النص القصصي تمايزا بين زمني: الملفوظ القصصي أو زمن الأحداث، وزمن النص القصصي أو زمن السرد، وينتج عن هذا التمايز اختلاف في ترتيب الأحداث زمانيا، ما بين زمن وقوعها في الحكاية، ومن ترتيبها في النص الحكائي المكتوب لاحقا. ودراسة الترتيب الزمني تسمح بإماطة اللثام عن وجود تنافر في ترتيب الأحداث الظاهرة على مستوى السرد مقارنة بزمن حدوثها في سياق الرحلة أو الحكاية. فقد يسترجع السارد لاحقا أي فيما بعد حدثا جرى في زمن ماض لزمن السرد فتسمى العملية السردية في هذه الحالة" لاحقة " أو استرجاعا أو" فلاش باك "، وقد يحدث أن يقفز السارد إلى حدث آخر سابق للنقطة الزمنية التي بلغها في تعقب أحداث السرد فتسمى العملية هنا" بالسابقة " أو الاستشراق أو سبق الأحداث.

وسنحاول التعرض إلى الاختيارات السردية التي لجأ إليها صاحب الرحلة محل الدراسة أثناء ترتيب الأحداث ومواطن الانزياح فيها عن الترتيب الطبيعي للوقائع.

## 2. 3. 2. 1. اللواحق السردية:

## 2. 3. 2. 1. 1. اللواحق الموضوعية:

كان الهدف من إيراد اللواحق الموضوعية هو تقديم معلومات إضافية عن المكان أو الشخصيات وإعطائها معاني دلالية معينة أو تفسير بعض الأحداث التي وصلها السرد بالعودة إلى الماضي.

ومن أمثلة اللواحق الموضوعية الواردة في رحلة محمد الصالح رمضان قوله:"... كنت أتأمل البحر وأهواله التي قرأتها في القصص والروايات... كنت أفكر في هذا البحر المتوسط وقيمته ومكانته قديما وحديثا بين بحار الدنيا... فقد نشأت على ضفافه الحضارات والديانات والمدنيات وعلى أمواجه انتقلت وعمت العلوم والمعارف من أول مرة في التاريخ... فهو مهد البشري... عرف جميع الحضارات القديمة والحديثة... "[43]ص50.

يعتبر هذا النص لاحقة موضوعية إذ أن السارد رجع بنا إلى زمن سابق لوقته الآني الذي كان يتأمل فيه مشهد البحر المتوسط ليسرد أحداثا أخرى تتقدم النقطة الزمنية التي بلغها السرد.

ويبدو سبب وجود هذه اللاحقة الموضوعية تقديم صورة سردية عن الإطار المكاني الذي تجيء فيه الأحداث وهو وإن يكن جغرافياً واقعياً إلا أنه يحمل معنى دلاليا مزدوجا إيجاباً وسلباً، إذ صور لنا

السارد في هذه اللاحقة حالة البحر المتوسط قديما وكيف استقرت فيه الحضارات ونشأت سيما الحضارة العربية الإسلامية التي وجدت فيه الأمن والراحة والاطمئنان ثم ضيعته فجأة.

واللواحق الموضوعية كثيرة متنوعة يتعذر علينا ذكرها كاملة وإنما نكتفي بذكر بعضها حصرا.

ومن نماذج الارتداء أو الاسترجاع ما يسرد فيه أخباراً عن منطقة جنوة بإيطاليا فقدم للقارئ نبذة تاريخية عنها وفي معرض حديثه عن المنطقة وما تشتهر به يقول:" نشأت في هذه المناطق من شمالي إيطاليا إمارات وجمهوريات بل إمبراطوريات لعبت أدوارا عظيمة في التاريخ، وغزت العالم برجالها وبإنتاجها ومصنوعاتها مثل( جنوة ) والغرب و( البندقية ) في الشرق ... وأحرز تجارهما على ثروات طائلة وسطوة عظيمة في العالم ... وإني لأذكر من ذلك على سبيل المثال ما كنت أعرفه في صباي بعد الحرب العالمية الأولى إلى بداية العشرينات في قريتي النائية المعزولة، في غربي جبال الأوراس، مما ينسب لمدينتي:( جنوة ) و( البندقية ) بالخصوص، فقد عرفت السكين الصغير الذي ينثني نصله على مقبضه ونسميه( الجنوى ) فهو مجلوب من( جنوة ) أو مصنوع فيها، وعرفت السكر المطحون الندي الذي كنا نسميه( السكر البندقي)( في جهات أخرى من وطننا يعرف بالسكر القندلي ولا أذكر لهذا معنى إلا أن يكون منسوبا إلى مدينة( قندي ) في جزيرة قريطش Crête والنسبة تركية لزيادة اللام فيها ) فهو بلا شك مجلوب أو مصنوع في( البندقية ) لذلك نسب إليها هذا في قريتي البعيدة المجهولة فما فما بالنا بغيرها من قرى ومدن العالم في غير ذلك من المصنوعات والمنتوجات "[43] ص58- 59.

فهذه اللاحقة من شأنها أن تضيء المكان الذي يجري فيه الحدث الآني سرده، برجع السارد بذاكرته إلى السنوات الماضية التي سبقت زمن السرد بداية العشرينات وقبل ذلك.

ونجد كذلك سرده عن العاصمة" فينا " عند وصوله إليها فيقول:" العاصمة فيينا على الرغم من ضياع امبراطوريتها ما تزال تحافظ على حيويتها وعظمتها كعاصمة لامبراطورية كبيرة كانت، لأن حيادها التام وموقعها الهام على نهر الدانوب الذي تشرف على حركة الملاحة فيه، ولكونها عند ملتقى أهم الطرق في أوربا الوسطى، نشط حركتها التجارية فازدهر اقتصادها وترقت صناعتها، وكثر عمالها فتضاعف عمرانها وتكاثر سكانها... "[43]ص77.

ويواصل سرده مقدما للقارئ معلومات عن ماضي فيينا الثقافي والفكري وما حوته من علوم وفنون جعلها تبلغ أوج عزها ومجدها قائلا:" كانت فيينا مركز إشعاع ثقافي وفكري في أوربا على مدى قرون وتعتبر مركز الموسيقى الأوربية الراقية ومهد أشهر المغنين والملحنين فيها. ففي فيينا أشهر دار الأوبيرا في العالم وفيها أهم المتاحف والآثار وهي الآن قبلة السياح والزوار لاحتوائها على أعز الآثار وأندرها.

بلغت العاصمة فيينا أوج عزها ومجدها وأبهتها كمركز للعلوم والفنون وخاصة الطب والعلاج النفسي في القرنين 18 و19 واستقطب أشهر الموسيقيين من بنيها وغير بنيها: استراوس ومعزار وهايدن وبتهوفن "[43]ص78.

ويعد هذا الارتداء على مستوى النص من زمن وقائع الرحلة إلى زمن التاريخ الذي ارتبط بالمكان الجغرافي المعروف فيينا عاصمة النمسا لاحقة موضوعية ودلالة الاسترجاع النصية هنا هي فعل الماضي الناقص( كانت ) وقوله( ما تزال ) يحمل الزمنين معا زمن التاريخ وزمن حاضر الرحلة والسرد معا.

ويصور السارد في هذه اللاحقة المراحل التي مر بها المكان فيينا ما بين حروب وضياع لامبراطوريتها ومجدها وما بين بناء وتشييد وتعمير.

ويمكن تمثيل حركة الزمان، وتحول المكان والأحداث معها في هذه اللاحقة بالجدول الآتي[43]ص73- 74:

| | الزمان | المكان | الحدث |
|---|---|---|---|
| زمن التاريخ | قبل الحرب العالمية الأولى( 1914- 1919 )<br>بعد الحرب العالمية الثانية | امبراطورية النمسا<br>النمسا<br>النمسا | تطور مجد<br>انهيار الامبراطورية<br>فتنة- خراب<br>تعمير وبناء |
| زمن الرحلة والسرد | 1955 في الصباح الباكر | جمهورية فيديرالية صغيرة | زيارة وكتابة |

**جدول حركة الزمان، وتحول المكان والأحداث اللاحقة**

إن تواتر اللواحق الأسلوبية في رحلة " محمد الصالح رمضان " كانت في أغلب الأحيان تؤدي وظيفة التعريف بالمكان الذي بلغه السرد بالرجوع إلى فترات زمنية ماضية كزمن نشأة المكان ومراحل تعميره فيبين الأطوار التاريخية التي مر بها من بدء البناء وإعادة التعمير حتى زمن حصول زيارة الرحالة لها.

ويظهر أيضا في بعض مواضع الرحلة التقابلات أو التنافرات الزمنية زمن التاريخ وزمن الرحلة، وزمن السرد ومثال ذلك الزيارة التي قام بها إلى ناحية من المدينة أين نصب فيه جدار ضخم

عال من الغرانيت يمثل مأساة حي" الغيتو " فتعود به الذاكرة إلى الماضي السحيق قصة أصحاب الأخدود ثم يواصل سرده لحمامات الدم التي فتكت بالبشرية وكانت قبل زمن الرحلة وصولا إلى الجريمة النكراء التي اقترفتها فرنسا في حق الجزائريين وهي تفجيرهم للقنبلة الذرية في رقان وهذا الحدث هو بعد زمن الرحلة أي زمن السرد[43]ص164- 172 ، ويمكن التمثيل لهذه التنافرات الزمنية وعلاقة المكان بالزمان فالجدول الآتي:

| | الزمان | المكان | الحدث |
|---|---|---|---|
| زمن التاريخ | عهد أصحاب الأخدود<br><br>1943-04-19 | اليمن<br><br>حي الغيتو | شق أخايد طويلة وحرق من لم يدن باليهودية<br><br>الألمان يدمرون الحي |
| زمن الرحلة | 1955 | فرصوفيا-بولونيا | بناء لوحة مرمرية من الرخام تخليدا لذكرى حي الغيتو |
| زمن السرد | بعد 1955 – 1961 | صحراء الجزائر رقان | تفجير القنبلة النووية |

**جدول التنافرات الزمنية وعلاقة المكان بالزمان**

## 2. 3. 2. 1. 2. اللواحق الذاتية:

إن طبيعة اللواحق الذاتية عادة تخص ذكريات الرحالين الماضية المرتبطة إما بأماكن سبق زيارتها أو الإقامة فيها قبل الرحلة الزمنية التي وصلها السرد أي الماضي القريب وإما بأحداث الرحلات السابقة والتي كانت ذات أثر نفسي على الرحالين أي الماضي البعيد.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في معرض سرد الرحالة لما حل بإيطاليا وتحديدا بجنوة قال " تتراءى لنا من بعيد منحدر الأبنين L'apinine تذكرني بالمسارح الرومانية القديمة في بلادي مثل: تيمقاد وجميلة وشرشال وقالمة... إلخ "[43]ص55.

فهذه اللاحقة ترجع بالرحالة إلى مشهد من مشاهد بلاده لما رأى منحدر الإبنين عاد به الشوق إلى أرضه واسترجعت ذاكرته مشهد المسارح في بلده.

كذلك اللاحقة الذاتية التي وردت في الرحلة والمتضمنة أحداث الماضي البعيد المرتبط بطفولة المؤلف ومسقط رأسه. في قوله " ما كنت أعرفه في صباي بعد الحرب العالمية الأولى إلى بداية العشرينات في قريتي النائية المعزولة في غربي جبال الأوراس... "[43]ص58.

## 2. 3. 2. 1. 3. اللواحق المتممة:

تعرف بعض اللواحق بوظيفة التتميم والاستدراك لما فات السارد ذكره في النص السردي مع أنه حدث في الحكاية( الرحلة ) وهي تسد ثغرات في سرد الأحداث للعودة إلى الماضي. فتسمى لواحق متممة أو إحالات وهي كذلك ترتبط إما بمكان سبق اجتيازه أو بشخصية فات ذكرها أو بذكر تفاصيل معينة لأحداث ماضية.

ونسوق أمثلة من هذا النمط من اللواحق في هذه الرحلة ما ورد" كان بدء الرحلة من عاصمة الجزائر يوم 25-07-1955 على متن باخرة فرنسية ... هذه ثاني مرة أعبر فيها البحر الأبيض المتوسط فقد عبرته في السنة الماضية إلى إسبانيا في مثل هذا الشهر... "[43]ص48.

فهذه اللاحقة تقطع سرد حدث بدء الرحلة والإبحار على متن باخرة فرنسية والعودة إلى العام الماضي وقيامه برحلة إلى إسبانيا ولا يخفى ما في هذه اللاحقة من ترابط بين عناصر الحكاية أو الرحلة فهي استدراك للحدث وتتميم له من جهة وتبدو هذه اللاحقة هامة تحيل إلى الزمن الذي غادر فيه الجزائر إلى إسبانيا وحدده بالشهر والسنة.

## 2. 3. 2. 1. 4. اللواحق المكررة:

اللواحق المكررة سميت كذلك لتكرر السرد لحدث ماض دون أن يتعدد في حكاية الرحلة ويقع هذا التكرار في هذه اللواحق لأغراض خاصة منها التذكير أو الربط أو إعادة تأويل الحدث أو إعطائه دلالة خاصة.

والملاحظ في هذه الرحلة قلة اللواحق المكررة إلا ما ورد فيها نحو:" من مرسيليا أخذنا القطار الذي سار بنا في اتجاه الشرق نحو الساحل اللازوردي حلم الفنانين والشعراء، ومصيف الكبراء والأمراء، مرورا( بتولون ) أكبر ميناء عسكري لفرنسا على البحر الأبيض، ... هكذا مررنا بالساحل الأزوردي مرور الكرام نتمتع بالنظر إليه من القطار ... "[43]ص53- 54 فهذه اللاحقة الخاصة بالساحل اللازوردي مكررة والهدف منها هو الربط.

كذلك ما نجده من لواحق مكررة عند سرده لأخبار التنزه يوم الأحد واهتمام الناس بهذا الأمر ثم يعود السارد لذكر أمر ترك الوالدين لأبنائهم في دور خاصة بهم وكان قد تناول هذا الموضوع قبل ذلك يقول:" ومما شد انتباهنا في فرصوفيا تعطل الأعمال كلية أيام الآحاد وكأن الأحد يوم عيد يتوقف فيه العمل ... "[43]ص150 وبعد سرده لأمر خروج الناس للتنزه يوم الأحد يضيف قائلا:" فالقوم على ما يبدو ماديون دنيويون ... لا شأن لهم بالعبادات ... ولا حتى الاشتغال بأطفالهم ... "[43]ص153 ثم ينتقل إلى أمر ترك الأطفال وتربيتهم في دور خاصة إلى أن يقول معذرة عن هذا الاستطراد ولنعد إلى حديثنا عن يوم الأحد وانتشار الناس فيه "، ويبدو أن الغرض من هذه اللاحقة المكررة هو إعطاء حدث ترك الأطفال دلالة خاصة لما فيه من خطر على وضع الأسرة ومآلها.

## 2. 3. 2. 2. السوابق السردية:

## 2. 3. 2. 2. 1. السوابق الموضوعية:

تعد السوابق الموضوعية قليلة وما جاء منها ما ورد في معرض حديثه عن العاصمة براغ Prague إذ قال:"... وهي الآن تنتعش صناعيا واقتصاديا وثقافيا وتعتبر مركزا هاما للمواصلات والثقافة في وسط أوربا وتنتج الآلات الثقيلة والسيارات والبضائع المختلفة والمواد الغذائية، هناك أسبوع صداقة ومودة بين مدينتي براغ والجزائر، ينظم سنويا فيما بين 12- و19 جوان في إطار التوأمة بين العاصمتين صارت هذه التظاهرة تقليدا قائما من سنة 1965... "[43]ص83.

الملاحظ مما سبق ذكره أن السارد قفز عن نقطة السرد التي وصلتها رحلته وهي النزول بعاصمة تشيكوسلوفاكيا براغ في 1955 إلى سرد حدث تنظيم التوأمة بين الجزائر وبراغ تظهر جليا المفارقة الزمنية بين زمن الرحلة وزمن السرد أي من 1955 إلى 1965 بما لا يقل عن عشر سنوات.

كذلك ما نجده في معرض حديثه عن حمامات الدم بالعالم أو جرائم القتل الجماعية التي ارتكبتها النظم الاستبدادية الاستعمارية يقول:" كما قلد الفرنسيون حمامات الدم الألمانية والروسية في مجازر سطيف قالمة وخراطة ... كذلك قلدوا أمريكا في تفجير قنابلها الذرية في اليابان ... عندما فجروا قنبلتهم الذرية في رقان بصحرائنا الشاسعة بدعوى أنها مجرد تجربة نووية في صحراء خالية هنالك في أجساد بشرية حية قالوا إنها تماثيل ومشخصات بشرية لا غير ... !! "[43]ص172.

إذن ما ذكره الرحالة كان سابقا لزمن الرحلة 1955 لأن التفجيرات النووية كانت 1961 فالمفارقة الزمنية بين زمن الرحلة وزمن السرد هو ست سنوات والسبب في وجود هذه السوابق السردية الموضوعية هو أن الرحالة أعاد كتابة رحلته بعد سنوات من قيامه بالرحلة فأضاف لها وحور فيها.

## 2. 3. 2. 2. 2. السوابق الذاتية والسوابق المكررة:

لم يستعمل الرحالة السوابق الذاتية التي عادة ما يطمح السارد والشخصية الفاعلة إلى انجازها أو الوصول إليها وهي أحداث تعني الرحالة بالدرجة الأولى.

أما السوابق المتممة فمثلما وجدنا لواحق متممة تسد ثغرات سابقة في النص السردي هناك سوابق ذاتية قد تكون أحيانا سابقه متممة لحدث آت أو قد تخص ذكر المكان أي يسبق السارد الزمن ويسرد أحداثاً جرت في مكان لم يصله السرد بعد نذكره لتفجيرات فرنسا النووية في رقان 1961 وهو أحداث سابق لزمن الرحلة.

أما السوابق المكررة فلا أثر لها في الرحلة.

## 2. 3. 3. الشخصيات:

تعد الشخصية الفنية في أي عمل قصصي أو روائي أو غيره أساس الحدث بكونها المنجزة له والسائرة به إلى نقطة النهاية وتتشكل في مختلف أنماط الخطاب القصصي أي السرد والحوار والوصف.

وتتنوع الشخصيات القصصية أو الحكائية فمنها شخصيات بسيطة وأخرى مركبة تبرز الأولى من خلال الحوار المباشر وتشتق الثانية من الحدث والحركة.

وقد نجد بعض الشخصيات مسطحة لا تتأثر بالأحداث ولا تؤثر فيها وتأتي في الغالب ثانوية وفي مقابل ذلك شخصيات نامية تفاجئ القارئ بأفعال تتجدد باستمرار ونجد هذه الصفات عند الشخصيات الفاعلة والبطلة[60]ص207- 210.

كما نجد بعض الشخصيات مضخمة في الرحلات يتعدى حجمها في واقع الحياة لترقى إلى مستوى الخيال أو مستوى الشخصيات الأسطورية في أوصافها وأفعالها.

ونجد نوعاً آخر من الشخصيات تتسم بالميوعة الرومانسية يعتني فيها المؤلف بإجلاء عواطفها وتصوير حالتها النفسية مع كثير من المواقف المأساوية والدرامية في عرض الأحداث[60]ص207-210.

وهناك شخصيات لا تتأثر بالأحداث ولا تؤثر فيها وتأتي في الغالب ثانوية في النص ومثلما تتنوع الشخصيات تتنوع طرق معالجتها عند المؤلف.

## 2. 3. 3. 1. الشخصيات الفاعلة:

تنحصر الشخصيات الفاعلة( Actant ) في ثلاثة محاور[61]ص145- 152 يشتمل كل واحد منها على وظائف معينة- حاول الباحث أ. غريماس( A. J. Greimas ) في كتابه ..... شكلته وظائف بروب لتطبيقها على جميع الأنماط السردية وحصرها في ثلاث وظائف وهي العقد Contrat والاختبار Epreuve ويتضمن بدوره ثلاثة أنواع من الاختبارات ترشيحي، حاسم وممجد، ووظيفتي الاتصال والانفصال- وهي:

محور التبليغ ويتضمن عاملين هما الدافع والمستفيد، ومحور الرغبة الذي يضم الفاعل وغاية الفعل، ثم محور القدرة أو الصراع وتنتظم فيه شخصيات عدة منها مؤيدة ومنها معارضة.

ففي محور التبليغ يرجع الدافع( الدافع هو الحافز كما عرفه الشكلانيون الروس ويتضمن عملية تعاقدية بين المرسل والمرسل إليه ) في الرحلة هو المشاركة في المهرجان الخاص بالشباب والطلاب الخامس بفرصوفيا بهدف التبادل الثقافي والفكري وإدانة الحروب وتضامن شعوب العالم.

أما محور الرغبة نجد أن الفاعل الرئيسي هو الرحالة فهو ثلاثي الدور: هو المؤلف والسارد والشخصية الفاعلة Acteur وتدخل في المحور الثالث الذي يخص القدرة عناصر في الشخصيات التي عملت على إنجاح برنامج الرحالة وتحقيق رغبته وبالمقابل نجد الشخصيات المعارضة.

## 2. 3. 3. 2. الشخصيات الرئيسية:

إن مراحل سير الرحالة تختلف من رحالة إلى آخر فهناك من يقدم تصورا للرحلة التي ينوي القيام بها ثم العزم على السفر ثم مراحل المسير ومختلف الأحداث.

وهذا المضمون السردي المشترك يمثل نمطا للسرد في أدب الرحلات ويمكن تقسيم مخطط السرد إلى:

- أسباب وظروف القيام بهذه الرحلة.

- ظروف انعقاد المهرجان ثم انطلاق الرحلة من عاصمة الجزائر بتاريخ 1955/07/25 بحرا.

ثم تصور مراحل المسير الذي يشتمل على كل مراحل السرد في الرحلة وأحداثه المتنوعة والمسالك والمدن التي مر بها أو توقف عندها إلى غاية الوصول إلى بولونيا ثم برنامج المهرجان وأهم مشاهده.

أما المميزات التي اختص بها الرحالة في سرده والأدوار الغرضية التي أداها يمكن رصدها فيما يلي:

**- حسن التنظيم:** يظهر ذلك جليا خاصة أن الرحالة من مرشدي ومسيري الكشافة الإسلامية الجزائرية هذا التنظيم الذي يعرف بالنظام والانضباط.

**- المشاركة الاجتماعية:** كما سلف الذكر فالرحلة التي قام بها محمد الصالح رمضان لم تكن رحلة فردية بل كانت ضمن ثلة من قادة ومرشدي الكشافة الإسلامية الجزائرية وعدد من منظمات الشباب الجزائري الثقافية والفنية والرياضية.

كذلك ما يدل على المشاركة الاجتماعية سرده لبعض الأماكن والمشاهد باستعمال ضمير المتكلم للجماعة وهو استعمال حقيقي فكان الرحالة يتجول ضمن جماعة من رفاقه في قوله:" تجولنا- ركبنا– أخذنا القطار... ".

**- الإحساس المرهف والرومانسية:** تعد هذه الصفات من أبرز صفات الفنان وللعلم فإن الرحالة فنان إلى جانب وظيفته التعليمية ونشاطه الكشفي فقد برع في فن النحت ولهذا تظهر رومنسيته وتأثره بجمال المشاهد الطبيعية كما عرفنا ذلك سابقا التي تؤثر في وجدانه ونفسيته كذلك يتجلى إحساسه المرهف في فلسفته في الحياة فهو يحب الحركة والتغير يمل النعيم إذا طال ويمل الشقاء إذا طال فالراحة النفسية عنده هي التغيير من حال إلى حال والملل في الدوام[43]ص165.

**- البعد الإنساني:** أصدق مثال على إنسانية الرحالة وكرم أخلاقه ونبل شخصه موقفه من يهود حي الغيتو وما تعرضوا له من إبادة على يد الألمان فرغم العداوة التي بيننا وبين اليهود إلا أنه أشفق عليهم وكان موقفه إنسانيا بحتا[43]ص166.

**- الوسطية والاعتدال:** لم يكن الرحالة من أولئك الذين ينجذبون وراء الأضواء البراقة والشعارات الرنانة بل كان يحتكم إلى إرثه الثقافي والحضاري إذ يقول:" فاستحسنت ما استحسنت وأنكرت ما أنكرت واحترت في بعضها فلم أهتد إلى موقف معين وهذا أمر طبيعي لكل من له قلب وعقل وإرث ثقافي وحضاري، فلا بد أن يستعمل رأيه فيما يرى فيقبل وما يقبل ويرفض ما يرفض "[43]ص146.

**- وطنيا حالما بالتوق إلى الاستقلال:** في خضم هذا الاحتفال الكبير والمهرجان الحافل والمدنية الصاخبة لم ينس الرحالة ولو لحظة واحدة أبناء وطنه وأرضه وما تكابده من جراء تعسف المحتل الغاصب، فكان هو والوفد المرافق سفراء لقضية الجزائر" وكانت لنا فيها لقاءات هامة مع بعض الوفود الصديقة والشقيقة تكلمنا فيها بحرية عن أوضاعنا، وما

تلاقيه شعوبنا من اضطهاد وما تقوم به من تضحيات "[43]ص126 فأعرب عن آماله وأشواقه إلى تحرر وطنه من ... الاحتلال.

**- شاعرا وأديبا:** من خلال هذه الرحلة تظهر لنا روح الأديب وأدواته، يطربه المنظر الجميل وتهز وجدانه الصور الموحية واللمحة الدالة فيصور ذلك بلغة أنيقة حق وإن كان يقدم حقيقة علمية أو صورة طبيعية.

وأصدق دليل على شاعريته ما جاءت به قريحته وما نظمه من شعر خصه بقسم ثالث في الرحلة عنوانه من وحي الرحلة فالقصيدة الأولى[43]ص183- 191 " فرصوفيا المحطمة " صور فيها أحاسيسه ومشاعره من ألوان الدمار الشامل الذي أصاب المدينة ثم صور المدينة الجديدة الناهضة من الحطام والخراب والدمار.

أما القصيدة الثانية[43]ص197- 203 فقد صور ما تخيله من مشاعر وهموم وأشواق باتت رابضة على قلب رفيقه" الحفناوي هالي" بعد اللقاء بالفتاتين.

**- الإحساس بالحزن والقلق:** رغم أجواء المهرجان العارمة بالفرحة إلا أننا نلمع سمات الحزن والقلق وتقلب المزاج إذ ينتقل السارد من حال الفرح إلى حال الحزن ومن حال الهدوء إلى حال الثورة ومن اليأس إلى الأمل.

بالرغم من الغبطة التي يشعر بها السارد إلا أن واقع الوطن والأهل ينغص عليه أجواء الفرحة إذ يقول[43]ص190:

ويلي على قومي الذين تركتهم ❁❁ غرض العدا في فورة الطغيان.
وأن السليم وأمتي في أرضها ❁❁ تصلى عذاب الهون في ألوان.
لا كان هذا السلم ما دام العدا ❁❁ في غيهم والقوم في طوفان.

ويقول كذلك:

إني ليؤلمني التذكر كلما ❁❁ ألفيت نفسي في حمى وأمان.

## 2. 3. 3. 3. الشخصيات المساعدة:

يمكن تصنيف الشخصيات حسب علاقاتها بالشخصية الرئيسة فمنها شخصيات قريبة من الرحالة، ورفيقه له: كأهله وأصحابه، وأفراد الركب من وطنه، وشخصيات بعيدة عنه لقيهم أثناء ترحاله

إضافة إلى الصفات والمؤهلات النفسية التي يتمتع بها الرحالة والتي عملت في اتجاه تحقيق الغاية الأساسية له.

وأبرز الشخصيات المساعدة للرحالة" محمد الصالح رمضان " نذكر صاحبه وصديقه" الحفناوي هالي " الذي كان صديقا مرافقا له أثناء الرحلة وملازما له يقول عنه الرحالة"... والحفناوي هالي " هذا الذي حضي باهتمامي في هذه الرحلة لتوافق في الذوق والطباع بيننا ولأنه كان أكثر ملازمة لي من غيره "[43]ص134.

ويعد" الحفناوي هالي " أحد أسباب النفحات الشعرية والنفثات الصدرية التي أثارتها الجولة التي قاما بها ذات مساء على ضفاف نهر الفستول بفرصوفى فأذكى جذوتها وأبدى نفحتها ويذكر ذلك الرحالة قائلا:" وكانت شاعريتي أكثر انتاجا منها في أي وقت وقد يكون من أسباب ذلك وجود شاعر معي في هذه الرحلة لا يفارقني ولا أفارقه... وكان يساجلني وأساجله... فكان هذا الحافز في التباري الأدبي مع هذا الشيخ الأديب " والشاعر " الفكه الأريب "[43]ص179.

ومن الشخصيات المساعدة كذلك الدليل أو المرشد Tadet من سكان فرصوفيا فكان المرافق والمرشد في هذه الرحلة التي عرفهم بالمدينة وبأهم معالمها وأحيائها.

ومن الشخصيات المساعدة نجد العنصر النسوي المتمثل في:

اسياغك اصوفي– واسياغك ايلان– اوجنين.

فكان لهن الأثر الواضح في انجاز القسم الثالث من الرحلة من خلال الجولة التي قمن بها رفقة الرحالة ورفيقه الحفناوي هالي.

وهذه الشخصيات المساعدة ظهرت عبر مراحل السرد سواء بأعمالها أو من باب الأخبار عنها.

## 2. 3. 3. 4. الشخصيات المعارضة:

لا تتضمن رحلة محمد الصالح رمضان أي شخصية معارضة.

## 2. 3. 3. 5. الشخصيات الثانوية:

عرفت هذه الشخصيات بضآلة الحدث لعدم انتسابها لأي محور من المحاور الثلاثة المعرف بها سابقا أي محاور التبليغ والرغبة والقدرة فهذه الشخصيات لم ينسب إليها السارد أي أفعال بل اكتفى بذكرها فقط.

ونجد منها: وفد الكشافة المشارك في المهرجان والمتكون من: الأخضر الدومي رئيسا، محمود بن محمود مقررا ومحمد الطاهر حمادة وعلي خيارى، عبد الرحمن رمضان.

- الوفد الجزائري المكون من مائة وثلاثين شخصا.

- زوجة الدليل Tadet.

- الشيبة الديمقراطية الفرنسية.

- الشباب البولوني.

- الوفد الفيتنامي.

## 2. 3. 4. اللغة؛ مستوياتها وخصائصها:

تحدد اللغة بأنها أصوات ورموز تواضع الناس على دلالتها المعنوية والمعجمية وأصبح التواصل بينهم أمرا ممكنا، سواء أخص هذا التفاهم الدلالات الوضعية للمسميات أو الدلالات المجازية لها والتي يحدث فيها الانزياح عن اللغة الموضوعة[58]ص118.

ومن المسلم به أن لكل لغة مؤثرات و عوامل تشكلها وتميزها عن لغة أخرى وتحمل في تشكلها النصي بعض خصائص الكاتب النفسية والفكرية، و مهارته الأسلوبية و عوامل إضافية ترتبط بالمقام ( Contexte )[62]ص20- 21 فالأسلوب في الرواية أو القصة يختلف عنه في المقالة الصحفية أو التقرير الطبي أو غيرها من المجالات[61]ص94.

وكان لكتاب الرحلات خصائص أسلوبية في كتابة رحلاتهم وعليه سنقوم بدراسة الأسلوب ومستوى اللغة عند السارد في هذه الرحلة محل الدراسة.

## 2. 3. 4. 1. لغة السرد في الرحلة:

اتخذت اللغة عدة مظاهر إذ وصلت أحيانا إلى مستويات عالية من الأدبية لكثافة التخييل والحركة والموسيقى ورقة الألفاظ وعادة ما يقترن هذا المستوى بغرض تعبير السارد عن إحساسه أو عن المواقف والمشاهد المؤثرة وفيها تكثر العدولات بمختلف أنواعها: من عدول شامل، وهو الذي تتكرر فيه ظاهرة ما عدة مرات، وتسجل قيمة مرتفعة في تواترها في النص، وعدول نحوى، وهو إحداث المفاجأة بصيغة نحوية غير معتادة وعدول معجمي عندما نستعمل الكلمة في غير معناها الأصلي، وعدول دلالي كالتعبير عن معنى بتركيب معنى آخر، كالكناية مثلا ثم عدول ركني كما في التقديم والتأخير والحذف والذكر والإيجاز والإطناب[63]ص20- 21.

ويتعذر علينا التعرض إلى جل الظواهر الأسلوبية والعدولات الموجودة في الرحلة وإنما نكتفي بالإشارة إلى بعض منها.

## 2. 3. 4. 2. الاستشهاد بالشعر:

من بين الظواهر الأسلوبية الشائعة عند كتاب الرحلات الاستشهاد بالشعر في معرض السرد أو الوصف أو الحوار، ويعد الاستشهاد بالشعر من السمات الأسلوبية القديمة في النثر العربي كالرسائل، الخطب، الوصايا، الحكايات الشعبية[61]ص96 وقد استمرت هذه السمة عبر عصور الكتابة الفنية ووصلت أوجها في العصر العباسي ثم عصر الانحطاط.

ولا يخفى ما للشعر من مكانة بين الفنون ويعد النمط الأنسب للتعبير عن المواقف المؤثرة وهو الأقدر على استيعاب الأساليب البلاغية والبيانية التي تعمل على تقوية المعنى وتوصيله إلى المتلقي ثم إقناعه كما تعمل على تحقيق المتعة له، وتجميل الأسلوب.

وقد ورد الاستشهاد بالشعر في رحلة" سوانح وارتسامات عابر سبيل " لصاحبها محمد الصالح رمضان بصورة قليلة فالدارس لأدب الرحلات يلاحظ تناقص الاستشهاد بالشعر عند رحالة القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين وقد يرجع ذلك لتغير الأسلوب أو لطبيعة ميول الكاتب واختصاصه فكان محمد الصالح رمضان معلما شغوفا بالرحلة حرص على إفادة قرائه بمعلومات علمية( تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية ). فالنزعة التعليمية والتاريخية الجغرافية هي الغالبة على الرحلة...

ومن المواطن التي استشهد فيها بالشعر معرض حديثه عن البحر المتوسط[43]ص50 وعند التعرض لهبة الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي... ويمكن أن نمثل ذلك بجدول:

| عنوان الرحلة | الشاهد | رقم الصفحة | ع الشواهد |
|---|---|---|---|
| سوانح وارتسامات عابر سبيل | يا أبيض الصفحات... **لأحمد شوقي** | 50 | 01 |
| | لا تسقني ماء الحياة...**لعنترة العبسي** | 52 | 02 |
| | قف دون رأيك في الحياة..**لأحمد شوقي** | 52 | 01 |
| | الملاح التائه..... **لعلي محمود طه** | 64<br>65 | 07<br>04 |
| | قتل امرئ في غابة..... أحد البلغاء | 170 | 02 |
| | خفف الوطء ما أظن .... **لأبي العلاء** | 167 | 01 |
| | ليس من ضحى بكبش... **للشاعر القروي** | 128 | 02 |

**جدول الشعر المستشهد به في الرحلة**

## 2. 3. 4. 3. طول التراكيب والتقديم والتأخير فيها:

إن من بين الخصائص الأسلوبية التي تمت ملاحظتها طول الجمل وسيطرة الأسماء والصفات وتتاليها بكثرة مقابل قلة الأفعال وهذا ما يطلق عليه بقلة نسبة الفعل للصفة[62]ص160. كذلك نجده كثرة المعطوفات والمضافات والمجرورات التي تفسر طول نفس الكاتب.

ومن أمثلة ذلك: وما كاد القطار يخرج بنا من جنوة عبر مضائق ممر بوشيتا Bouchitta أهم منفذ إلى سهل نهر( البو Po ) الخصب الفسيح في شمال إيطاليا الذي تتجمع فيه كبريات المدن التجارية والصناعية حتى نزل الظلام وغطى بردائه الأسود كل شيء واستمر القطار يتلوى في سيره كالثعبان طيلة الليل عبر المضائق والمنعرجات وبين السهول والكثبان واستسلم الركاب للنوم.. ". الملاحظ هنا كثرة ترداد حروف العطف( 8 مرات ) على قصره، تدل على إعجاب وتلهف الرحالة بمشهد المكان وتاريخه الحافل.

إضافة إلى هذه الروابط اللفظية نجد روابط معنوية تجعل التآلف بين هذه الجمل المركبة منطقيا ومستساغا فعقب العودة إلى المدينة وتحديدا إلى عراء من الأرض كانت المشاهدة والسؤال عن مضمون اللوحة المرمرية فالرؤية فسماع رواية الدليل فالتأثر والتعاطف وأخير إنشاء البيت الشعري المعبر عن المشهد: خفف الوطء ما أظن أديم( الحي ) إلا من هذه الأجساد ومن أمثلة التقديم والتأخير.

## 2. 3. 4. 4. العناية بالبيان والبديع:

عد بعض الباحثين الظواهر الأسلوبية التي تدخل في البيان والبديع من العدولات إذ أن الجنوح إلى مثل تلك الأساليب واختيارها من دون الأساليب الحيادية المؤدية للمعنى بطريق مباشر يرجع إلى ذاتية الكاتب وميوله الشخصية وإلى تأثيرات العصر[63]ص91.

والملاحظة التي يمكن تقديمها هو غلبة البيان على البديع في سرد" محمد الصالح رمضان " سواء النثر أو الشعر ومن أمثلة البيان: المجاز في قوله:" نخترق كل شارع وزقاق، أسبح مع الذاكرة والخيال في متاهات الماضي "[43]ص175.

ونجد ولع الرحالة بالبيان خاصة عند التعبير عن حالته الشعورية أو إزاء مشهد طبيعي أو إنساني.

أما الصور البيانية:

التشبيه البليغ في قوله:" كانت إلى عهد قريب مسرحا " يعني كانت مدينة البندقية إلى عهد قريب مسرحا.

الاستعارات المكنية في قوله:" الموت يترصد الضعفاء " حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله:" زرعوا الشقاوة " شبه الشقاء بالنبات.

وفي قوله:" شعب تمزق شمله " شبه الشعب بالثوب.

وفي قوله:" الرصاص يمطر أهلنا " شبه الرصاص بالأمطار.

والاستعارة التصريحية:" القوم في طوفان " القوم في حرب كالطوفان حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

واستعمل الكناية في قوله:" صاحب الأطيان " كناية على الإنسان الذي أصله من طين.

النجيع القاني كناية على الدم.

## 2. 3. 4. 5. لغة الحوار ونجوى النفس:

يعرف الحوار على أنه ذلك الخطاب المتبادل بين طرفين، مرسل ومرسل إليه ويجري بين شخصين على الأقل في أي عمل قصصي ويسمى كذلك بالحوار الخارجي تمييزا له عن الحوار الداخلي أما يسمى بنجوى النفس[53]ص91 ، وهو يدخل في إطار تأمل الشخصية، ومحادثتها لذاتها ويدخل الحوار والنجوى معا في أغلب الأشكال القصصية والسردية كالرواية والقصة والأقصوصة والحكاية الشعبية والمسرحية التي تختص أكثر بالحوار الخارجي والداخلي مقابل قلة السرد والوصف فيها ويدخل كذلك في الشعر حسب السياق والغرض.

ويمثل الحوار بنوعيه زمنيا نمط المشهد الذي يعادل فيه أو يكاد، زمن القص والقراءة، ويستخدم الحوار لغرضين:

الأول تطوير الحدث بخطاب على لسان الشخصيات.

والثاني الإفصاح عن أفكار المؤلف ومحاولة إقناع القارئ والتأثير فيه. ولا يحتل الحوار الخارجي والنجوى أهمية كبيرة في الرحلات مقارنة مع ظاهرتي السرد والوصف وعادة ما يرد الحوار بصفة طبيعية واقعيا لواقعية الشخصيات ومباشرا في أغلب الأحيان يحمل كلام الشخصيات عن مواقف وأحداث، أما حوار النجوى فعادة ما يكون تعبيرا عن الحالات المتأزمة للرحالة والإفضاء عن بعض انطباعاته التي لم يتمكن الرحالة أو السارد من البوح بها عن الحوار الخارجي.

## 2. 3. 4. 5. 1. الحوار الخارجي:

غرض الحوار الخارجي في الرحلات عموما يكون متنوعا تنوع أساليب الكتابة وتنوع المواقف والسياق الذي جر إلى استخدامه.

ورحلة محمد الصالح رمضان إلى فرصوفيا اتسم الحوار الخارجي فيها بالمباشرة والقصر والبساطة في التعبير والواقعية والملاءمة مع مستوى الشخصية ونضرب أمثلة عما جاء من حوار خارجي.

سألت الدليل عن سبب ندرة الشكلاطة وارتفاع سعرها.

فقال: هذه كماليات لا تقوم عليها الحياة[43]ص142.

وفي موضع آخر: لاحظ رفيقي الشيخ الحفناوي عدم وجود الأطفال في الشوارع والأزقة وقال: أيمكن أن تكون هذه الحارات والعمارات بلا أطفال ؟! ودفعنا الفضول وحب التطلع إلى سؤال دليلنا قال: أويهمكم رؤية أطفالنا ؟ قلنا نعم، قال لماذا ؟ قلنا: لنرى الفرق بين أطفالنا وأطفالكم، قال: سوف لا ترونهم في الطرقات والساحات، قلنا كيف ذلك ؟! قال: لأنهم لا يعيشون مع والديهم... قلنا: أين يعيشون إذن ؟ قال: في دور خاصة بهم[43]ص144.

كذلك الحوار الخارجي الذي دار بين الرحالة ورفيقه مع ا..... اسياغك اصوني واسياغكا ايلان:

سألنا هما من تكونان ؟ قالتا: اسياغك اصوفي واسياغكا إيلان ونحن شقيقتان، قلنا: وهذه اللغة الفرنسية الفصيحة التي تتكلمانها ييسر وطلاقه كأحس أبنائها ؟ قالتا: نشأنا في فرنسا التي هاجر إليها أهلنا وقت الحرب[43]ص144.

## 2. 3. 4. 5. 2. نجوى النفس( الحوار الداخلي ):

تأتي نجوى النفس في المرتبة الثانية بعد الحوار الخارجي فقد وردت اشارات قليلة من أمثلتها ما ردده الرحالة لماركب( القندول ) المركب المائي وراح يردد:" أين يا فنيسيا تلك المجالي ؟ أين عشاقك سمار الليالي ؟ أين من عيني يا مهد الجمال ؟

# الفصل 3

# الأعمال المسرحية لرمضان

# دراسة تحليلة نقدية وفنية

## 3. 1. دراسة تحليلية نقدية:

المسرح هو روح الأمة وعنوان نهضتها وعظمتها وهو أقرب الفنون إلى الذات فمن خلاله تعبر الشعوب عن آلامها وآمالها، وعن قضايا الاجتماعية والسياسية.

ويعد المسرح الجزائري أداة فعالة في توجيه المشهد الثقافي وقد كان أصدق شاهد على واقع الجزائر ثقافيا وسياسيا وإقتصاديا نقدا وتوجيها، كما لعب دوره كاملا إبّان الثورة التحريرية وما قبلها. وهو اليوم يؤدي رسالته بكل صدق وأمانة.

والحقيقة أن ملامح المسرح الجزائري ألحقت بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الثانية حيث لعب هذا الفن دورا هاما في نشر الوعي السياسي ومحاربة الآفات الاجتماعية التي ظهرت فيا لمجتمع والخرافات التي اجتاحته نتيجة لسياسية فرنسا الرامية إلى قطع الصلة ومحو كل ما يمت بصلة إلى الحضارة العربية الإسلامية لطمس معالم الشخصية الوطنية.

أما الإرهاصات الأولى للمسرح الجزائري فإن المتتبع لها يجد نفسه لا محالة يرتد حقبا زمنية بعيدة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ[64]ص14 وكذلك[65]ص127 غير أنّ المقام لا يسمح لنا بالتعرض لها جملة وتفصيلا وإنما سنخص فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالالماع لها تعد فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في الجزائر فترة صحو ويقظة وتحول فكري وثقافي وسياسي بعد أن توقفت الحركة المسرحية ما بين 1939-1945 إذ " حدث الانقطاع بين المسرح والجمهور ل تزايد الرقابة الاستعمارية وبروز الأحزاب السياسية الوطنية في شكل جبهة مناهضة للاستعمار الفرنسي الذي وقف بالمرصاد لهذه التطورات ولم يكن المسرح بعيدا عنها لذلك تم تشديد الخناق عليه لدوره في أذكاء الروح الوطنية في الجماهير "[66]ص17- 18.

لقد كان للحركة الحزبية التي ظهرت في البلاد الدور الهام في تنمية الروح الوطنية وتقويتها عبر ربوع الوطن.

وقد أفرزت هذه التغيرات السياسية في المجتمع الجزائري عن نشاطات ثقافية عديدة، فانتشار المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية علماء المسلمين الجزائريين عبر كبريات المدن الجزائرية، أدى إلى ترقية مستوى التعليم العربي وشجع بدوره إنتشار الصحف والمجالات. كما نشطت الحركة الثقافية بظهور الأندية والجمعيات الثقافية وإنتشار الفرق المسرحية والرياضية في المدن فاستعنت بذلك آفاق المعرفة وبدأ الفن يسترد أنفاسه حيث تأسست في عام 1934 جمعية الشبيبة الإسلامية بمدينة المدية وفي سنة 1936 أسس محمد اسطنبولي جمعية هلال الرياضية، وفي سنة 1940 أسست فرقة تمثيلية موسيقية أطلق عليها إسم" فرقة رضا باي "[67]ع35 سبتمبر- أكتوبر 1976ص71.

ويذكر باشطارزي في سياق حديثه عن هذه الفترة أنّ المسرح الجزائري إنتج وأقتبس في العشرية الواقعة بين 1946-1956 نحو 162 مسرحية، 90 بالمائة منها من إبداع 30 كاتبا وطنيا أغلبهم كان كوميديا.

وبالموازاة مع ذلك فقد ظهر في هذه الفترة التأليف المسرحي المكتوب باللغة الفصحى بقوة أكثر من ذي قبل.

وقد قادت هذا الاتجاه في عمومه" جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " التي كانت تهدف " إلى فتح المدارس والتصدي بالعلم للشعوذة والتزييف للقيم الإسلامية السمحاء ... وانطلاقا من أن الإسلام عقيدة وأصول، قواعد وقيم ومبادئ وأحكام فما كان على جمعية العلماء في محاربة الجهل والجهالة، إلاّ ابتكار مناهج وأساليب لبث التوجيهات التي أتى بها الدين الحنيف، فكانت تلقى الخطب والمدائح الدينية، كما انتقل إلى فن التمثل وقد مثل عروضاً عدة.

و هكذا امتازت هذه الفترة بنشاط عدد كبير من الأدباء الذين كتبوا للمسرح و إن لم يكونوا من المتخصصين فيه أساتذة و معلمين وشيوخ مدرسين و مشرفين على مؤسسات تعليمية، أو شعراء أو علماء في شتى العلوم الكلامية و الفقهية و اللغوية و قد ورد كشف بأسماء الذين كتبوا للمسرح[68]06ديسمبر 1994ص14.

و قد تراوحت معالجة هذه الأعمال المسرحية بين الديني و التاريخي و السياسي و الاجتماعي إلاّ أنها في عمومها لم تمثل على الخشبات المسرحية الوطنية المعروفة- كما هو الشأن للمسرحيات العامية، إلاّ أن البعض منها قد مثل بمناسبات دينية مختلفة في بعض المدارس و النوادي الخاصة.

ومن أبرز هؤلاء الكتاب: علالو – رشيد القسنطيني- محي الدين باش طارزي- محمد واضح- محمد الصالح رمضان- محمد التوري- أحمد توفيق المدني- أحمد رضا حوحو....وغيرهم كثيرون.

والملاحظ أن النصوص المسرحية التي ألفت في هذه الفترة يغلب عليها الطابع الإصلاحي فقد جاء تصنيفها- عند كثير من الدارسين– ضمن الاتجاه الإصلاحي الاجتماعي أو الديني ويشمل هذا التوجه المسرحيات التاريخية والدينية والاجتماعية[69]ص63.

## 3. 1. 1. الموضوعات الاجتماعية.

إن المسرح الاجتماعي في الجزائر كان الغالب منذ البدايات الأولى لهذا الفن، وقد كانت الموضوعات الاجتماعية كانت السمة الشعبية البسيطة هي موضوعات" علالو " و" رشيد القسنطيني " و" محي الدين باش تارزي " وهم الرعيل الأول من رجال المسرح الجزائري ثم تبعهم في ذلك كل الذين أحبوا هذا الفن واشتغلوا به وإن كانوا يعتمدون على الارتجال و العفوية في أعمالهم المسرحية سواء باللهجة الجزائرية الدارجة أو باللغة العربية الفصحى. و هذا دليل على أنا مستوى التأليف قد بلغ درجة رفيعة و" لعل المسرحيات الاجتماعية التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت أكثر نضجاً و تطورًا ... فهذه المسرحيات تميزت أولا بالأسلوب الأدبي الراقي و باللغة العربية الفصحى التي تفهم في جميع أنحاء الجزائر كما تفهم في جميع الأقطار العربية الأخرى"[69]ص61.

وقد كان زعماء الإصلاح أسرع الناس الذين دعوا إلى الإقتداء بالسلف الصالح من المسلمين الذين جاهدوا في سبيل نصرة الإسلام وإيقاض الحس والشعور ل محاربة الاستعمار الفرنسي ذلك:" أن الأفكار الدينية لعبت دورًا فعالا وبارزاً في سبيل نشر الوعي وانتشال المجتمع الجزائري من مخالب السياسية الاستعمارية "[70]ص102.

لقد سعى رجال الإصلاح على نشر هذا الوعي في الأوساط السياسية بالمؤسسات التعليمية التي تشرف عليها جمعية علماء المسلمين الجزائريين وكانت الأعمال المسرحية " ترتبط بمعلمي المدارس الإصلاحية وبفرق التمثيل التابعة لها المكونة من التلاميذ الذين كانوا يمثلونها بقصد إحياء مناسبات دينية بعيها كعيد المولد النبوي الشريف، وعيد عاشوراء، وقدوم رمضان وإنتهائه، والهجرة النبوية وتاريخ الغزوات في الإسلام كغزوتي بدر وأحد "[70]ص171.

إلاّ أنّ معظم النصوص المسرحية المأخوذة من التاريخ الإسلامي أو تلك التي تصب ضمن الاتجاه الإصلاحي الاجتماعي والديني ضاعت ولم يبق لها أثر لعدم اهتمام أصحابها بالتوثيق والطبع.

وقد حفظ لنا التاريخ بعض المسرحيات المقتبسة من التاريخ العربي الإسلامي لـ" محمد العيد آل خليفة " و" عبد الرحمان الجيلالي و" محمد الصالح رمضان " الذي سنحول إجلاء الضوء عن بعض

أعماله المسرحية التي بقيت محفوظة، وسلمت من عوادي الزمن ولم يطلها تخريب زبانية الاحتلال الفرنسي.

التاريخ العربي حافل بالبطولات والمواقف الإنسانية ذلك ما جعل الكثير من الكتاب يعودون إليه ويستنبطون أفكارًا و مواقفًا يقوّمون بها المجتمع الذي يعيشون فيه ويعاصرونه، والتراث العربي سواء منه القديم الذي يعبر عن الحياة الجاهلية أو حياة العرب بعد الإسلام، وهو تاريخ غني وثري بتجارب حياة الملوك والأمراء سواء في المشرق العربي أو في المغربي العربي.

واتخذ الكتاب الجزائريون من تراثنا العربي الإسلامي مادة أساسية لبعث الأمل في المجتمع الجزائري الذي طمس المحتل الغاشم وحاول إدراجه ضمن مجتمع بلا هوية وبلا تاريخ.

فكان الأبطال المختارين من التاريخ العربي الإسلامي- النموذج للشخصية الجزائرية حيث يمثلون البطولة والشجاعة والكرم والجود والنخوة والأنفة والصدق والإيمان وغير ذلك من الشيم العربية النبيلة.

ومن بين هذه الأعمال والعناوين المسرحية نجد " الخنساء " لمحمد الصالح رمضان والناشئة المهاجرة والمولد النبوي الشريف وغيرها.

## 3. 1. 1. 1. الخنساء:

كتبت هذه المسرحية في مدينة تلمسان ومثلت لأول مرة بمدرسة" دار الحديث " بالمدينة نفسها. حيث كان مؤلفها– محمد الصالح رمضان- مديرا لهذه المدرسة العربية في تلك الأثناء، و قد مثلها تلاميذ مدرسة دار الحديث وتلميذاتها بمناسبة ذكرى المولد النبوي لسنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة و ألف ( 1371 ) للهجرة، فهي إذن كتبت ومثلت لأول مرة في منتصف هذا القرن الميلادي. ثم مثلت مرة ثانية بمدرسة تلمسان نفسها ومثلت مرة أخرى في بداية الثورة سنة أربعة وخمسين بالمسرح البلدي بالجزائر[71]ص220، ثم بإذاعة الجزائر ثم بإذاعة باريس[71]ص220، ولم يحدد الكاتب تاريخاً معيناً وتأليفه لهذه المسرحية إلاّ أنه حسب قوله:" قد وضعها في أواخر الأربعينات لتلاميذ القسم التكميلي بمدرسة دار الحديث بتلمسان " ويستدرك قائلا أنه قد" مثلها طلاب وطالبات هذه المدرسة، التي تتوفر على مسرح صغير في قاعة المحاضرات بها، مثلت ثلاث مرات في أسبوع واحد، مرتين للرجال ومرة للنساء ونالت إقبالا واستحسانا بالغين ..."[72]ص29.

وقد رأى الدكتور عبد الملك مرتاض أن محمد الصالح رمضان لم ينشر مسرحيته" الخنساء " كاملة قبل طبع كتابه" فنون النشر الأدبي في الجزائر( 1931-1954 ) الأمر الذي" لم يتحدث عنها أحد

بصورة من الصور" و يضيف إلى ذلك فيقول:" إن المؤلف أخبرني أخيراً أنّه نشر منها مشهداً في كتاب مدرسي إشترك في تأليفه بعد الاستقلال مع مؤلف آخر عنوانه" النصوص الأدبية"[71]ص220.

والملاحظ أن المسرحية مقتبسة من التاريخ الإسلامي حيث" أن الفترة التاريخية التي استقى منها المؤلف حادث مسرحيته لا تجاوز نصف قرن من الزمان بعضها في الجاهلية وبعضها الأخر في الإسلام "[71]ص220.

ووصف المؤلف مسرحيته بمناسبة تمثلها في تلمسان في نشرة دعائية لها أنّها" تمثيلية أدبية تاريخية في التربية الإسلامية "[71]ص220.

ويقول المؤلف نفسه في معرض حديثه عن مسرحية الخنساء" لم أكفر في طبعها إلاّ أخيرا حيث عزمت على طبع آثاري الأدبية المخطوطة، وها أنذا أقدمها اليوم كما وضعتها لأول مرة دون تبديل أو تغيير "[72]ص10.

## 3. 1. 1. 2. أحداث المسرحية:

مسرحية الخنساء هي مسرحية في ثلاثة فصول مستوحاة من التاريخ العربي. وموضوعها يتمحور حول رثاء( المراد بالرثاء هو الندب كما عرّفه العرب في القرنين السادس و السابع و كما هو الحال عند البابليين و العبرانيين فهو طقس من طقوس الحداد يشترك فيه النادبون و النادبات .... كما تدل على ذلك المراثي الموضوعة باسم الخنساء )[73]ج1ص491 الشاعرة الخنساء لأخويها صخر و معاوية بعد مقتلها في الجاهلية .

تجري أحداث المشهد الأول من الفصل الأول في بيت الخنساء حيث تبدو باكية نائحة وهي ترثي أخويها معاوية وصخر شعرا بعد مقتلهما في الجاهلية فتظهر الخنساء لابسة ملابس سوداء ومعها نسوة يظاهرنا على البكاء ويواسينها بالنحيب والعويل ليتبدل المشهد فنرى فيه الخنساء جالسة القبة الحمراء بسوق عكاظ وهي تباري حسان بن ثابت شعرا أمام النابغة الذبياني لتنتهي إلى تعجزيه ونقده في أشهر بيت تباهى به وهو:

لنـا الجفنـات الغـر يلمعـن فـي الضـحى ۞۞ وأسـيافنا يقطـرن مـن نجـدة دمـــاً.

أما أحداث الفصل الثاني فتدور حول حزن( الخنساء ) حتى بعد إسلامها. فنشاهدها في الحرم المكي بلباسها الأسود تطوف مع الطائفيين تذرف الدموع حسرة وأسى على أخويها معاوية وصغر اللذين قتلا في الجاهلية، ويتحادث معها بعض النسوة ثم يرافقها إلى بيت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله

عنها علّها تقنع الخنساء فتعدل عن حزنها فتروي الخنساء قستها وتثنى عن أخيها( صخر ) الذي يحبها ويجود عليها من ماله، فتدفعها( عائشة ) للمزيد من قرض الشعر:

عائشة: اسمعيني ما شئت فإن شعرك يعجبني ؟

الخنساء:

اعينـــي جـــدا ولا تجـــمدا ❁❁ ألا تبكيـــان لصـــخر النـــدا.
ألا تبكيـــان الجـــريء الجمـــيلا ❁❁ ألا تبكيـــان الفتـــى الســـيدا.
رفيـــع العمـــاد طويـــل النجـــاد ❁❁ ســـاد عشـــيرته أمـــرد.
إذ القـــوم مـــدوا بأيديهـــم ❁❁ إلـــى المجـــد مـــدّ إليـــه يـــدا.
فنـــال الـــذي فـــوق أيديهـــم ❁❁ مـــن المجـــد ثـــم مضـــى مصـــعدا.
تحملـــه مـــا للقـــوم مـــا علاهـــم ❁❁ وإن كـــان أصـــغرهم مولـــدا.
جمـــوع الضـــيوف إلـــى بيتـــه ❁❁ يـــرى أفضـــل الكســـب أن يحمـــدا.
وإن ذكـــر المـــجد ألفيتـــه ❁❁ تـــأزر بالـــمجد ثـــم إرتـــدى.
غيـــاث العشـــيرة إن أمحلـــوا ❁❁ يهين التلاذ ويحـي الجدا[72]ص56-57.

وتصل( عائشة ) رضي الله عنها في النهاية إلى وعظمها وهدايتها محاولة التخفيف من كربتها بتذكيرها بمبادئ الإسلام السمحة قائلة لها( عائشة ):- هذا أمر الله يا آمة الله ولا راد لقضائه فاصبري يا خنساء واتقي الله، أعلمي أنك لست وحدك المصابة في هذه الدنيا، ما رأيك فيمن فقدت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم.

كما فقدت أباها، صديقه وصاحبه إذ هما ف الغار ورفيقه في الهجرة، وخليفته الأول بعد وفاته فأين أنت من كل هذا....؟؟[72]ص57.

وتعود الخنساء إلى بكائها ونحيبها حتى في حضرة الخليفة" عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ويحاول أن يصبرها ويرشدها بأسلوب واعظ.

عمر: ...كفكي من دمعك وخففي من حزنك يغفر الله لك.

وترد عليه الخنساء باكية:

أريقـــي مـــن دموعـــك واستفيقـــي ❁❁ وصـــبرا إن أطلقـــت ولكـــن تطيقـــي.

وقــولي إن خيــر بنــي سليـــم ❁❁ وأكـــرمهم بصـــحراء العقـيـــق.

عمر: اتقي الله يا خالة، واعلمي أن من تبكين هلكوا في الجاهلية فعلام هذا النحيب والبكاء الدائمان لم لهم اليوم حطب جهنم ؟ الخنساء:( تبكي ) ذلك أطول لحزني عليهم، وأدوم لبكائي يا( عمر ) فلئن كنت أبكي لهما من الثأر فأنا أبكي لهما من النار( وتبكي ثم تبكي .... وتمضي على حالها فيقول عمر لأصحابه وقد إستيأس منها:

- " دعوها بعد اليوم وشأنها ! فإن للمرء أن يبكي ما شاء لمصيبته "[72]ص60.

أمّا الفصل الثالث: تدور أحداثه بالمدينة المنورة لنشاهد الخنساء عجوزا محدودبة الظهر مع أبنائها الأربعة، تؤثر في نفوسهم حب التضحية في سبيل الله ونصرة المسلمين ضد جحافل الفرس المعتدين ويشارك أبناؤها في الحرب ويبلون البلاء الحسن في معركة القادسية ويستشهدون. وعندما يبلغ أمر مقتلهم الخنساء تقول قولتها المشهورة:" الحمد الله الذي شرفني بقتلهم في سبيله وعزاني فيهم هذا النصر المبين، الذين أحرزوا عليه للإسلام والمسلمين، إني لأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته "[72]ص102.

ويغلب الحزن على كامل النص وكأنه يهدف إلى إبراز مأساة( الخنساء ) والتعرض إلى حياتها في الجاهلية والإسلام.

وإن المتتبع للنص يكشف أن المؤلف كان يروي الأحداث التاريخية ويربطها بحزن الخنساء. وما يمكن الإشارة إليه هو أن الكاتب قدم قصائد من ديوان الشعر العربي في الجاهلية والإسلام وهذا لا يعني أنها مسرحية شعرية لأن الكاتب لم يجعل الحوار شعريا وإنما هناك مواقف تستدعي إنشاد الشعر.

ولم يكن ليعبر عن مواقف درامية يتطلبها الحوار المسرحي وإنما" هي مواقف في موضوعها تستدعي أن تنشد الخنساء الشعر هنا وهناك "[71]ص222.

ويرى الدكتورعبد الملك مرتاض أن المؤلف أحدث على هذه المسرحية الكثير من التعديل إذ أنه لم يحاك أحداث القصة التاريخية كما وردت وإنّما وظفها لخدمة الناشئة وتعليمهم أكثر من خدمة الفن المسرحي في مستواه الأعلى[71]ص223. وذلك بذكر أشعار فحول الشعراء وكذا نص خطبة" قس بن ساعدة " المشهورة وأخبار المسلمين وحروبهم فجاءت المسرحية في مجملها نص أدبي يتعرض لموقف ومأساة الخنساء وهي تبكي وتصرّ على لباس السواد إلى آخر لحظة من حياتها.

ولم يوظف المؤلف الحادثة المعروف في حياة الخنساء بحيث يعالج من خلالها ظاهرة محددة وإنما صاغ هذه الحادثة في شكل حوار يهدف منه إلى تعليم الناشئة وتثقيفها أمور تراثها أكثر من أي

هدف آخر إذ" كان بوسعه– المؤلف أن يركز موضوعه على أي عنصر من عناصر القوة التاريخية في تلك الفترة المشرفة من حياة الإمام ليجعلها مندفعا للناشئة مستندا لهم في مستقبله "[71]ص223.

ويذكر" محمد الصالح رمضان" أن الهدف من المسرحية تعليم الناشئة والتعريف بالصحابية المخضرمة التي اشتهرت بالبكاء طول حياتها كذلك إبراز الجوانب الإنسانية المهمة التي يتضمنها شعر الخنساء وتعريف الناشئة بها وتلقينهم إيّاها[17]مقابلة مع الشيخ محمد الصالح رمضان بتاريخ 10مارس 2006.

والملاحظ كذلك في هذه المسرحية التي يدور موضوعها حول حزن" الخنساء " ورثائها لأخويها أن الرثاء طقس من طقوس الحداد في القديم– كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك-.

أما في عصرنا فيعدُّ الرثاء دعوة للثأر والتحدي الموجه إلى رهط القاتل[73]ج1ص496 ؛ وعموما فإن طبيعة شعر الرثاء متصلة أيضا بمجموع الارتدادات النفسية كظهور الموت العنيف في سياق الحياة مع ما يستدعي ذلك من التمرد والدعوة إلى الثأر ...[73]ج1ص491.

وهذه الدوافع هي التي جعلت الشاعرة الخنساء ترثى أخويها وتبقى وفيه لذكراهما وأن رثاءها لأخويها لم يخرج عن دائرة التجاوب مع ما تشرعه تلك الأمم للتعبير عن ما تقتضيه تلك المصائب وما يدعم تلك النظرة هو تغير لهجة الرثاء عند الخنساء فيما بعد فعقب مقتل أبنائها الأربعة في معركة القادسية وبالرغم من شدة رزئها فإنها لم تقل فيهم أكثر من قولتها المشهورة " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله ..".

ففي المسرحية دعوة إلى الثأر والوفاء لمن ضحّوا وبذلوا النفس في سبيل الوطن ودعوة إلى النهل من معين القيم الإنسانية النبيلة التي كانا يعرفها العرب والإقتداء بها.

## 3. 1. 2. الموضوعات الدينية:

انطلاقا من أن الإسلام عقيدة وأصول، قواعد وقيم ومبادئ وأحكام حملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عاتقها مهمة محاربة الجهل والتصدي للشعوذة والتزييف لقيم الدين الحنيف التي صار المشعوذون والدراويش يتسترون وراءها للاحتيال والنيل من عقول والضعفاء من جهة ومحاولات الاحتلال الغاشم لمسخ الشعب عن دينه وردّه إلى غياهب الجهل والإلحاد.

ومن بين الوسائل التي اعتمدتها الجمعية ورجالاتها للذود عن دين الأمة إلى جانب الوعظ والدروس والتوجيه التأليف المسرحي وضمن هذا الاتجاه ندرج مسرحية محمد الصالح رمضان المعنونة:

## 3. 1. 2. 1. الناشئة المهاجرة:

كتب" محمد الصالح رمضان " هذه المسرحية بين سنتي 1947-1948 .

وتم طبعها سنة 1949، وأعيد طبعها من قبل المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر سنة 1989. ومثلت لأول مرة بمدرسة دار الحديث بتلمسان، ومسرحية( الناشئة المهاجرة .. مستوحاة من الهجرة النبوية الشريفة التي تمت من مكة إلى المدينة المنورة وهي على بنائها موجهة إلى الناشئة في المدارس كما تجلى ذلك في عنوان المسرحية نفسها" الناشئة المهاجرة مسرحية مدرسية تاريخية أدبية في سبعة مشاهد "[74]ص1.

وهي على نسق المسرحيات التي تعد خصيصا للمدارس لتقدم في المناسبات الدينية خاصة المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين وهي أعمال تهدف إلى تربية النشء وتثقيفه بمبادئ إسلامية سمحة. وهذا ما سعت إليه ضمن هذه الحفلات التي كانت تنضم في نهاية كل سنة دراسية.

وقد عمل" محمد الصالح رمضان "– خاصة أنه المسؤول الأول في المدرسة التي يديرها- مما حدا بها إلى تأليف مسرحيات وتشجيع التلاميذ على عرضها.

تدور أحداث هذه المسرحية في مكة المكرمة وتقوم على معالجة بعض المواقف من هجرة النبي وأصحابه إلى يثرب وآثر المؤلف أن يجعل مسرحيته في سبعة مشاهد متسلسلة دون أن يعين لها فصولا.

تبدأ أحداث المنظر الأول من المسرحية بمشهد يرينا أشراف قريش في دار الندوة، وهم يتشاورون في أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبدين ضيقهم يدعونه. فيبادر الرئيس إلى الحديث عن هجرة الرسول وأصحابه إلى يثرب، وسعيهم المنتظر في تغيير دينهم الذين ورثوه عن آبائهم وأجدادهم بدين محمد الجديد ويسألهم عن موقفهم إزاء ما سيحدث، فيؤكد" النضر بن الحارث " بأن أتباعه هم أصحاب اليد الطولى بيثرب وأنه م سيزدادون قوة بمقدم المهاجرين من مكة. أما" أمية بن خلف " فإنه يرى رأيا مخالفا إذ أنه يتوجس خيفة من أن يقطع أهل يثرب عنهم التجارة مع الشام إن جاء محمد إلى يثرب وتمكن من إقناع أهلها بالدخول في دينه الجديد. ويقبل عليهم إبليس في صورة شيخ جليل مدعياً أنه من أهل نجد، وأنه إن سمع باجتماعهم حتى جاء إل يهم لمساعدتهم على الاهتداء إلى حل يواجهون به أمر محمد وأصحابه، وبعد أن يطلب منه الرئيس الجلوس ومواصلة كلامه يعرض عليهم–

الشيخ– أن يتفقوا على رأي يكون فيه خلاصهم من محمد. فهناك من يقترح حبس محمد وإغلاق الباب عليه حتى يصبه ما أصاب الشعراء.

فيرد عليه الشيخ أن هذا ليس بالأمر السديد لأن أصحابه سيخلصونه، فيقترح أبو الأسود العامري نفي محمد إلى يثرب، فيرد الشيخ بأن حلاوة حديث محمد وفصاحة لسانه ستمكنه من تأليب أهل يثرب ضدهم. وهنا يقترح أن يختاروا من كل قبيلة شاباً شجاعاً ويعطى سيفاً، ليجهز جميعهم على محمد فتتفرق دمه بين القبائل، ليستحيل معها على أصحاب محمد محاربة كل القبائل فيوافق الشيخ على هذا الاقتراح.

أما أحداث المشهد الثاني والثالث: تدور حول عزم" أبو بكر الصديق " على الهجرة صحبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإخبار نبيه بذلك.

ويظهر عدد منا لشبان وكلهم استعداد للفتك بمحمد يتقدمهم" أبو جهل " وفي تلك الأثناء ينزل الوحي" جبريل عليه السلام " على النبي ليخبره بما يخطط له المشركون فينجو منهم وما يلبث أن يعرفوا أن محمدا قد نجا بعد أن طرقوا الباب وخرج إليهم الصبي علي بن أبي طالب فيتركونه.

والمشهد الرابع: يعالج فرار أبي جهل وأصحابه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم– وسؤالهما أبناء أبي بكر في بأس وذعر شديدين.

ويأتي المشهد الخامس الذي يشب الحشو المسرحي ويجري حواره بين أبي قحافة وأحفاده. وقد جاء يتفقدهم.

أما في المشهد السادس فنشاهد علي بن أبي طالب وقد جاء إلى دار أبي بكر ليفقد أبناءه أيضا. كما كان صنع أبو قحافة في المشهد الخامس ولا نغادر دار أبي بكر حتى نسمع عبد الله بن أبي بكر وهو يقرأ على أختيه أسماء وعائشة رسالة وردت عليه من مكة مفادها:" أن الرسول وأبا بكر وصلا يثرب سالمين ".

أجمع النقاد أنّ أول نشر لهذه المسرحية كان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بمطبعة ابن خلدون بتلمسان.

فقد أرّخ الدكتور" ركيبي " سنة 1949 لصدور هذه المسرحية[75]ص25.

أما الدكتور دودو فيرى أن مؤلف المسرحية نشرها في سنة 1949 ويروي فيها قصة هجرة الرسول الأعظم إلى يثرب كما وردت في كتب السيرة، على غرار ما فعله توفيق الحكيم في كتابه"

محمد " الذي اعتمد فيه اعتمادا كليا على روايات بعض الكتب مع المحافظة على التعابير والألفاظ الأصلية[76]ص8. وحسب الدكتور دودو فإن المؤلف " قد استمد الكثير من أفكارها من كتب السيرة، دون أن يدخل عليها مواقف مستمدة من واقع الجزائر في ذلك الحين "[77]ص13. إلاّ أن الدكتور مرتاض يرى بهذا الخصوص رأيا مخالفا لما رآه الدكتور دودو فهو يرى أنه" بالرغم من أن المسرحية دينية إلاّ أن حوادثها تثير في نفوس الجزائريين نظريا مختلفة مضت، وتثير في نفوسهم أيضا آمالا عريضة مضببة، ولكنها موجودة فيما كانوا يتمنوه من تغيير للأوضاع السياسية وتخلص الشعب الجزائري من قيود العبودية "[71]ص229.

ويضيف الدكتور مرتاض إلى ذلك فيقول:" لقد استطاع الكاتب أن يصوغ من فكرة الهجرة النبوية إلى المدينة، قصة مشوقة أودعها فيم شاهد هذه المسرحية التي كتبها للتلاميذ الصغار. كما أخبرني بذلك وكما جاء فيا لإهداء ولم يكتبها للجمهور. ومع ذلك كونه كتبها للصغار لا يعد نقصها فيها. بل لقد ربط بين الحوادث وهضم أفكار موضوعها فصاغ كل ذلك بلباقة ونجاح "[71]ص227.

وتعد هجرة النبي إلى يثرب فاتحة خير على الدعوى المحمدية الإسلامية تعلم النشء التضحية من أجل بلوغ الهدف فكأنه أراد أن يثبت أن التضحية من أجل المبادئ العظيمة يمكن أن تمتد إلى الصغار أيضا.

وكما هو ملاحظ فإن الموروث الديني حاضر وبقوة، في هذا العمل المسرحي وإن بدا صدى لأحداث تاريخية أكثر منه إسقاط على واقع معيش إلاّ أن مغزاه وطنياً ولم يكن اختيار من أجل عرض مجرد جامد لحوادث التاريخ ووقائع السيرة النبوية.

فلجوء المؤلف في مسرحيته" الناشئة المهاجرة " على التوظيف الطردي محاولة منه" لأن يوفق بين النص الذي أنتجه وبين الأخبار التاريخية ولا يتعارض التوظيف الطردي مع ما يريد الكاتب من انتقاد لبعض السلبيات، ويحصل له ذلك إمّا باستخدام هذه الصفة الكامنة في المسرحية، وتوافق الصفة الحقيقية للشخصية، للتوصل إلى إنتقاد العصر مع بقاء هذه الصفة مبجلة إيجابية "[78]ص229. وهو ما يستشف من توظيف المؤلف للهجرة النبوية من مكة إلى يثرب وما أعقبها من انتصارات.

ومما شك فيه أن محمد الصالح رمضان لم يوظف هذا العنصر لذاته وإنما أراد إسقاطه على واقع الشعب الجزائري في تلك الفترة . " فقد هاجر كثير من الجزائريين مشرقا ومغربا من أجل المبدأ كما هاجر الرسول وأصحابه من أجل هذا المبدأ أيضا مع فرق عظيم بين الهجرتين طبعا ...." [71]ص229. إنّ هجرة الجزائريين المرموز لهم في هذه المسرحية اتسم بالضبابية والغموض في

الغاية والهدف حتى وإن اعتبر الدكتور مرتاض هجرة الجزائريين من أجل المبدأ فإنه لم يوضح طبيعة المبدأ الذي تصده الجزائريون... لاّ أنه أشار إلى الغاية التي رمى إليها الكاتب.

و الجدير بالذكر أن المؤّلف غايته واضحة ترمي إلى" تعليم الناشئة كيف يحفظون جوانب التاريخ الإسلامي و كيف تكون التضحية و الفداء ؟ وكيف يكون الصبر على الأذى في سبيل الدفاع عن المبدأ "[71] ص229.

وحتى وإن اقتصر المؤلف في مسرحيته على عرض الأحداث التاريخية بأسلوب طردي تمجيدي فلأنه بلا شك أراد أن يعرف جمهور بأسلافه الميامن وبقيمهم النبيلة من قوة وعزيمة ورباطة جأش ... سيما أن المؤلف مؤمن بمبدأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إصلاح المجتمع من خلال التوعية بدينه وأصالته وتراثه كونها الحصن المنيع في التصدي لكل محاولات المحتمل الرامية على إبعاده عن ثوابته حتى يتسنى لها استلامه إلاّ أن" في هذا الوطن الجزائري شعب عربي مسلم، ذو ميراث روحاني عريق هو الإسلام وآدابه وأخلاقه...ثم جاء الاستعمار الفرنسي كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت فوجد المقومات الراسخة الأصول[18]ع1الصادر بتاريخ 25 جويلية 1947ص2.

## 3. 1. 2. 2. المولد النبوي الشريف:

مسرحية دينية تقع في ثلاثة فصول كتبها محمد الصالح رمضان بعد الاستقلال دون أن يحدد تاريخا دقيقا لها(أخبرني الكاتب بذلك لكن دون أن يحدد التاريخ بالضبط وقدّم لي نسخة من العمل المسرحي على شكل كتيّب ضمن سلسلة ثقف نفسك ولم يشر في مقدمة المسرحية إلى تاريخ كتابتها أو تمثيلها )[17]مقابلة مع الشيخ محمد الصالح رمضان بتاريخ 10 مارس 2006.

طبعت بشركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع بالجزائر ضمن سلسلة ثقف نفسك.

وتعد المسرحية من روائع السيرة النبوية تناولت قصة مولد النبي صلى الله عليه وسلم" وضعت في قالب روائي تمثيلي لتشخيصها وتقديمها للعامة والخاصة وقد روعي فيها البيان والتوضيح ما أمكن[79]ص105.

- **زمانها**: عام الفيل الموافق لسنة 570 ميلادي ونحو سنة قبله وسنة بعده تقريباً. فمدتها لا تعدو ثلاث سنوات.

- أما **مكانها**: فيتمثل في بطحاء مكة قرب الكعبة وفي بادية بني سعد ثم في قصر غُمدان من بلاط ملك اليمن بصنعاء.

**أشخاصها:** كثيرون منهم: عبد المطلب وبعض بنيه وقومه من أشراف مكة ومن أهل الكتاب: ربيّون ورهبان. وأحناف وبعض الكهان ثم المرضعة حليمة السعدية وأبوها وزوجها وأخيراً ملك اليمن سيف بن ذي يزن ووفود المهنئين له بانتصاره على الحبشة.

فالمسرحية تقع في ثلاثة فصول و إثنا عشر مشهدا تتخللها أناشيد عصرية مناسبة وبعض القطع الشعرية التي قيلت في وقتها وفي مناسبتها.

والهدف من تأليف هذه المسرحية الإشارة بسيّد الخلق والتنويه بسجاياه العطرة وصرف المسلمين ولا سيما الصبيان عن الاحتفال بالأعياد المعظمة في الأديان الأخرى كما في أعياد النصارى والتي يحتفل بها المسلمون وأولادهم" وحتى لا ينشأ أطفالنا على تعظيم تلك الأديان وأهلها وما يجري فيها ..."[79]ص7.

فمسرحية المولد النبوي الشريف مسرحية تاريخية دينية استقى المؤلف موضوعها من التاريخ الإسلامي. تدور أحداثها حول مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- الفصل الأول منها تدور أحداثه حول التنبؤات والتكهنات الخاصة بميلاد النبي المنتظر.

فالمشهد الأول نجد فيه أحبار اليهود قد جاؤوا مكة بنية الفتك والنيل من عبد الله والد النبي المنتظر. وإستفسار عبد المطلب عن الرؤيا التي رآها عبد الله[79]ص11.

والمشهد الثاني[79]ص19و27-28 تدور أحداثه حول تدابير الكهان العرب" سطيح وزرقاء اليمامة" وتنبؤهم بميلاد النبي إذ تقول الكاهنة " زرقاء اليمامة ": يا رجال قريش حييتم بالإكثار وعمرت بكم الديار، فارقتُ أهلي وأوطاني، وجئت إليكم أخبركم عن أشياء قد دنت وقرب أوانها، سيظهر في دياركم عن قريب العجب العجيب فإن أذنتم لي بالنزول نزلتُ وأخبرتُ، وإن أردتم الرحيل رحلتُ وسكت.

**القوم:** انزلي على الرحب والسعة، وتكلمي وأخبري بما شئت.

**زرقاء اليمامة:**

إنـــي لأعلـم مـــا يـــأتي مـــن العجـــب ❁❁ بأرضـــكم هـــذه يـــا معـــــشر العـــرب.
لقـــد دنـــا وقـــت مبعـــوث لأمـــــته ❁❁ محمـــد المصـــطفى المنعـــوت فـــي الكتـــب.
فعـــن قليـــل ســـيأتي وقـــت مولـــده ❁❁ يرمـــــي معـــــانده بالـــــذل والحـــــرب.

يـدعو إلـى ديـن غيـر الـلات مجتهـدا ۞۞ ولا يقـــــول بأصنـــــــام ولا نصـــــــب.

**القوم:** تفضلي بالجلوس وتكملي وأخبري بما تريدين.

**أما المشهد الثالث** تضمن الحنفاء العرب وبعض أهل الكتاب يتدارسون أنباء النبي العربي الموعود وفي نهاية المشهد يدرج المؤلف نشيدا بعنوان وطن النبي وعشيرته[79]ص39.

**أما الفصل الثاني**[79]ص43 و55 و61 و67 و71 و75 و78: فيعالج الحدث الرئيسي وهو ميلاد الوليد السعيد وتضمّن الفصل ستة مشاهد أولها البشارة بالوليد ثم المشهد الثاني يخص أمر الرضاع والمراضع والمشهد الثالث نرى عبد المطلب في جانب من فناء الكعبة مهموماً يفكر في مصير حفيده الذي ماتت أمه ولم يقبل الرضاعة من النساء فيقبل عليه عقيل بن أبي وقاص ليخبره بوجود مرضعة ببادية بني سعد وهي حليمة السعدية.

**أما المشهد الرابع** تدور أحداثه في منزل عبد المطلب أين تحضر حليمة وزوجها، وتذهب لترضع الصبي وتعود فارحة جذلة.

**والمشهد الخامس:** ينقل فيه الوليد رفقة حليمة السعدية وزوجها إلى بادية بني سعد لإرضاعه **والمشهد السادس** يظهر فيه أهل الحي مع حليمة يتذاكرون أمر الصبي ويلي ذلك نشيد" حيّوا ربيب العلاء ".

**أما الفصل الثالث**[79]ص81 و89 و95 و99: فتدور أحداثه في قصر عفدان لسيف بن ذي يزن ملك اليمن وقد جاء الوفود المهنئة له بانتصاره على أعدائه الأحباش وفي الختام النشيد الإسلامي.

وقد ركز المؤلف على حادثة ميلاد المصطفى كونها تمثل قمة التحول المبشر بزوال عهد عبادة الأوثان وبزوغ فجر الدين الإسلامي الحنيف.

وقد حاول المؤلف أن يقدم معلومات في إطار مسرحي صحيح تعين المشاهد على تتبع أحداث المسرحية وشخصياتها لكنه يخفق منذ البداية في:" أن يخلق من المواقف ما يدفع الشخصيات إلى الإفصاح عنها، بدافع من انفعال أو ضرورة أو غير ذلك من الحوافز، وبأن يواجه المشاهد منذ البداية بما يثير تطلعه إلى المعرفة حتى إذا ساق إليه شيئا من الحقائق جاءت استجابة لهذا التطلع[71] ص462- 484.

وقد اتبع المؤلف هذا الأسلوب عندما همّ بتصوير حالة أحبار اليهود لمّا قص عليهم عبد المطلب رؤيا ولده عبد الله وهي على بنائها موجهة إلى الناشئة لأنها على نسق المسرحيات التي تعد خصيصا للمدارس.

وللمؤلف مسرحية أخرى مخطوطة تحت عنوان:" مضار الخمر والحشيش " وهي مسرحية اجتماعية تعالج آفة الجهل والخمر والقمار والحشيش[71]ص462- 484.

## 3. 2. دراسة فنية.

قليلة هي الدراسات التي اهتمت بالجوانب الفنية للنص المسرحي في الجزائر، وأغلب الدراسات إنصبت حول الموضوعات.

وهذا الاهتمام يكشف الضعف الفني للمسرحية الجزائرية، إذ أنّ الكتاب المسرحيين كانوا يتخذون من الشكل المسرحي الفني وسيلة للتعبير عن قضاياهم، رغم جهلهم لهذا الفن وأسسه الفنية الدقيقة، وكان همهم الوحيد هو إيصال الفكرة على الجمهور عن طريق الشخصيات المختارة في الغالب من المجتمع الجزائري وشخصيات تاريخية قصد إحياء التراث العربي الإسلامي وبعث الروح الوطنية في نفوس النشء والشباب ودعوتهم إلى العمل والجهاد خاصة في سنوات النصف الأول من القرن العشرين.

والمتتبع للنصوص المسرحية في ذلك الوقت يجد أنها كانت تتبع النمط البطولي ولم تحد عنه، فالمسرحيات تتخذ من الشخصيات المختارة أحداثا ووقائع لها، ولهذا يدرجها الدراسون ضمن المسرح الكلاسيكي الذي يهم بالدرجة الأولى بالشخصية البطلة في تكوينها الفني، وفي بناء أحداثها وتطورها. فكل مسرحيات( باش تارزي ) مثلا هي مسرحيات حول شخصيات اجتماعية من الطبقة الدينا الفقيرة.

وفي المقابل لعبت المسرحية الإصلاحية والتربوية دورها فيا لمجتمع الجزائري، وحاول عدد من رجال العلم والدين والإصلاح الكتابة المسرحية بهدف إرشاد الناشئة وتوجيه الجمهور للاقتداء بالسلف الصالح وإعادة بناء حياتهم وإبراز أعمالهم النضالية والجهادية خاصة. والتي لها صلة بالمقاومة والجهاد والصبر والبطولة والشجاعة والوفاء والنبل والكرم والجود كشخصيات: الخنساء، بلال بن رابح، هارون الرشيد ... وهي شخصيات منتقاة من التاريخ العربي الإسلامي وهي النموذج الأعلى في المقاومة والتضحية الوفاء.

والملاحظ أن المسرحيات التي كتبت حتى في فترة الاستقلال بناؤها الفني ينقص الكثير من الروابط والأسس الفنية للمسرح، ويعود ذلك إلى أن الكتاب لم يتمرسوا على الكتابة المسرحية ودراستهم

للمسرح سطحية وبسيطة باستثناء" أحمد رضا حوحو " و" ولد عبد الرحمان كاكي " وماعدا هما فإنهم كتبوا للتعبير عن أفكارهم دون دراسة واعية ونقدية للفن المسرحي.

اهتمام المسرح بالشخصية تركيباً وبناءاً وطوراً، لأنها عماد هذا الفن وقوامه فالشخصية هي أبرز السمات الفنية في المسرح، لأنها الأداة التي تعبر عن أفكار الكاتب وتقوم بتجسيدها ثم يلي ذلك اللغة كمادة تلجأ إليها الشخصية للتعبير والإفصاح عن الأفكار، واللغة مع الحركة تمثلان الطاقة الفعالة التي تحيا بها الشخصية وتتطور. وبها تكشف عن مكوناتها النفسية والظاهرية. ولنا في النصوص المسرحية لمحمد الصالح رمضان أمثله في أنماط الشخصية ولغتها التي عبرت عنها.

## 3. 2. 1. الشخصية:

إنّ مفهوم الشخصية من المفاهيم التي لا يمكن تحديدها تحديدا دقيقًا لأنه موضوع تباينت فيه الآراء والمذاهب وذلك حسب المجالات التي تتم فيه دراسة الشخصية ومن المدلولات الأدبية لمعنى الشخصية أنها ذلك القناع الذي يلبسه الممثل لأداء أدواره المسرحية أو هي" الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير"[80]ص116. لذلك فقد اقترنت الشخصية مباشرة مع الفن المسرحي والغرض هو تشخيص الشخصية المراد تمثيلها على الخشبة- أي تمثيلها فنيا- يتمن نقلها من الواقع إلى مجال الفن ونقل طبائع الناس مزاجهم الخلقي[80]ص117.

والتشخيص هو التمثيل بشكل عام لأن الممثل يقوم بتشخيص الدور في زمن ما على نحو مرسوم من قبل المؤلف[81]ص42 وشخَّص بتشديد حرف الخاء الشيء في معجم متن اللغة يعني ارتفع وشخص بصره أي فتح عينيه، وشخص عن قوم، خرج عنهم وشخص إليهم، رجع إليهم وفي قاموس المحيط فالمتشاخص هو المختلف[82]ج2ص306 وفي دائرة المعارف القرن العشرين شخص بصره رفعه وشخص الشيء أي عيّنه وميزه[83]ص369.

والشخصية في معناها البسيط هي:" العنصر الثابت في التصرف الإنساني، وطريقة المرء في مخالفة الناس والتعامل معهم والتميز عن الآخرين "[84]ص146.

ويمكن أن يتخذ المعنى الاصطلاحي للشخصية أبعادا عديدة ومختلفة منها: البعد الاجتماعي والبعد السيكولوجي والبعد الفسيولوجي. وتختلف صفات الشخصية في كل هذه الأبعاد سلوكها وأفعالها ويمكن أن تتعدد صفاتها في بعد واحد.

ويفضى بنا هذا إلى أنّ:" كل إنسان هو في الوقت نفسه شبيه بغيره من الجماعة التي يعيش بينها ومختلف عن أفرادها بطبعه الخاص وتجاربه وهذا التميز الذي يكون جزءاً صغيراً من خصائصه العامة، هو الأساس في شخصيته "[84]ص146.

وتمتاز الشخصية الفنية المتصلة بالأدب بشكل عام بقوتها ووضوح بناءها، وقد اهتم النقاد بمكونات الشخصية وتبين لهم أن الشخصية الفنية تتكون من ثلاثة جوانب هي:

1/- الجانب الداخلي: النفسي الفيزولوجي ويتعلق بالأحوال النفسية والفكرية.

2/- الجانب الخارجي: البيولوجي يتمثل في المظهر العام والسلوك الخارجي للشخصية.

3/- الجانب الاجتماعي السوسيولوجي: يشتمل على الظروف الاجتماعية وعلاقة الشخصية بالآخرين.

لذلك فإن هذه الأبعاد هي أساس البناء لفني للشخصية و على المبدع مراعاة هذه الجوانب، و يعود هذا الاهتمام إلى مدى تواجد الشخصية داخل النص و تحركها وفق العلاقات التي تربطها بين الشخصيات الأخرى، تميزها عن بعضها، فهناك شخصيات بسيطة و أخرى معقدة، و ينظر إلى كل شخصية بصفاتها الذاتية الفردية و إن رسم أي شخصية يعتمد أساساً على فهم هذه الشخصية و قدرتها على أداء تصرفاتها في ظروف محددة و معينة[85]ص98.

## 3. 2. 2. البناء الفني للشخصية:

تبين دراسة الفن المسرحي في الجزائر أن الاهتمام بالقوالب الفنية للمسرح في مجملها منعدمة والنصوص المتوفرة قريبة من الفن الروائي. الوصفي. السردي. منه إلى الفن المسرحي الحركي التعبير، الذي يعتمد على الشخصية والصراع الدرامي.

- فأعمال" محمد الصالح رمضان " المستلهمة من التاريخ الاسلامي هي في مضمونها رصد للأحداث وجمع للوقائع دون أي رابط فني أو تكوين درامي لهذه الأحداث وينطبق هذا الأمر بصورة واضحة في عمله المسرحي:" الناشئة المهاجرة " إذ استطاع الكاتب أن يحصر كل المشاهد في مدينة مكة ليجري الصراع بين شخصياته.

- تجري أحداث **المشهد الأول** في دار الندوة حيث يتدارس أشراف مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم[74]ص9.

و**المشهد الثاني** تدور أحداثه في بيت( أبي بكر ) مع أولاده يتذاكرون شر المشركين[74] ص17.

و**المشهد الثالث:** يقوم فتيان مكة بالهجوم على بيت النبي– صلى الله عليه وسلم – ومعهم أبو جهل[74]ص27.

وتجري أحداث **المشهد الرابع** في بيت( أبي جهل ) وفشل خططهم[74]ص29.

**المشهد الخامس** في بيت أسماء بنت أبي بكر وملاحقة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم[74]ص31.

و**المشهد السادس** تجري أحداثه في بيت أسماء مع عبد الله وعائشة وعلي كرّم الله وجهه[74]ص39.

أما **المشهد السابع** في بيت أسماء وأخبار وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وصحبه سالمين[74]ص45.

فمن خلال عرض هذه المشاهد نلحظ أن هناك ربط وثيق بينها.

إذا اهتم بها الكاتب اهتماما كبيرا أبعده عن البناء الفني للشخصيات فالأماكن في جملها تقع في مكة المكرمة " دار الندوة ودار أبي سفيان وبيت أسماء بنت أبي بكر " وهذا ما يساعد على التنقل من مشهد إلى مشهد بيسر وسهولة، ثم إن الشخصيات في هذه المسرحية بالنسبة على موضوعها معقولة ولكنها تعمل في تطوير الأحداث وهي ضرورة في بناء النص. والشخصيات هي( أبو سفيان، أبو جهل، أبو بكر، أسماء) كشخصيات أساسية بالإضافة إلى أخرى ثانوية لها صلة بالشخصيات الأخرى.

وقد انتهج" محمد الصالح رمضان " مفهوم النظام الكلاسيكي في الإكثار من عدد الشخصيات ولم يول شخصية معينة اهتماما أكبر من غيرها والسب فيذلك يعود إلى اعتماد الكاتب على الحوار السردي الخبري للوقائع التاريخية الملازمة لمؤامرة مشركي قريش التي كانت تستهدف حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

فتعدد موضوعات المسرحية هو الذي أفضى إلى هذه المعالجة سيما أن الكاتب ركزّ اهتمامه على سرد الأحداث التاريخية كما جاءت دون إضافة تذكر.

وإذا كان نجاح المؤلف المسرحي يتوقف على خياله وجربته.

فالحياة وملاحظته الدقيقة للكائنات البشرية ولسلوكهم. كما يتوقف نجاحه أيضا على قدرته على ترجمة نتائج ملاحظته إلى لغة مسرحية تمكن الممثلين من أداء عملهم على المسرح، كما تمكن المشاهدين من الاستمتاع بمسرحيته والتصفيق والاستحسان[86]ص13.

ومن الواضح أن محمد الصالح رمضان لم يعالج مسرحيته إنطلاقا ممن أبعاد نفسية واجتماعية بقدر ما وظف هذه الشخصيات للتعبير عن أفكارهم وآرائه بهذا الخصوص.

وإن لم يكن هناك في المسرحية من العناصر ما يتفق والفكرة التي يريد المؤلف إيصالها ولا يعني ذلك أنه لم يقدم محاكاة حرفية للوقائع القديمة" لأن الطبيعة الجدلية للتاريخ تتمثل في أنه ليس وصفا لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنّه تعامل آخر يتمتع بروح معاصرة، تتناول الماضي بوصفه مادة قابلة للمناقشة والمحاكمة "[78]ص119.

- والذي لا ريب فيه فإن محمد الصالح رمضان– حتى وإن كان قد حاكا من خلال مسرحيته " الناشئة المهاجرة " واقعا معيشًا. فإنه كان فعلا متأثرا بذلك الواقع المعيش وكتابته هي صورة من صور التعبير على ذلك الواقع وإن كان معبرا على ظاهرة معينة من ذلك الواقع والعيب هنا لا يكمن في وضوح أو عدم وضوح الفكرة المعبر عنها ولكنه يكمن في عدم نضج مسرحيته فنيًّا.

أما مسرحية الخنساء:

فإنّ أهم ما نلاحظه أنّ محمد الصالح رمضان قد أولى رسم شخصية الخنساء عناية فائقة، دون غيرها من الشخصيات الأخرى التي جاءت أدوارها ضعيفة باهتة، حيث تبتدئ أحداث المسرحية بظهور الخنساء لابسة ملابس سوداء وهي تبكي أخويها معاوية وصخرا ... والفصل الثاني نشاهد فيه الخنساء في البيت العتيق وهي تطوف بالملابس السوداء التي لا تفارقها رغم اعتناقها الإسلام ... ولا يتغير الأمر في الفصل الثالث .

حيث تنتهي المسرحية بمثل ما ابتدأت به، دموع غزيرة ولباس أسود[71]ص220- 221. ومع كل هذا الاهتمام والتركيز على هذه الشاعرة البطلة لم يستطع أن يجعل من مأساة الخنساء عنصراً درامياً حاداً يؤثر في المشاهد، بحيث يعطف على هذه المرأة ويرثي لها بل ربما موقف المشاهد من هذه الشخصية موقفاً خالياً من الاكتراث[71]ص408.

إلا أن رسم الكاتب لهذه الشخصية لم يتم على أساس أحداث درامية تنمو وتتطور بحيث تعكس بصدق فجيعتها على أخويها وإنما جاءت في صورة مواقف متباينة ومتباعدة إذ أن كل فصل يصف لنا موقفا تاريخيا معروفا في حياة الشاعرة الخنساء بعض يعود إلى بداية حياتها كمباراتها في سوق عكاظ

للشاعر حسان بن ثابت شعراً وتعجيزها له ونقده وهو ما تضمنه الفصل الأول. أما الفصل الثاني بعد بلوغها مقتل أخوها اشتحت باللباس الأسود وذرفت دموعا غزيرة على أخويها وهذا هو الموقف الذي أراد الكاتب أن يبني عليه مسرحيته إلاّ أنه لم يوفق في ذلك لأنه أسبقه بموقف وأتبعه بمواقف أخرى. واتبع طريقة السرد التصويري، وموقف آخر نجده مع أبنائها الأربعة وتحثهم على القتال ونصرة الدين. وهي مواقف متباعدة في الزمان ولا مكان والموضوع والفعل، وهو ما يتنافى أصلا مع القواعد الفنية للمسرح.

إن شخصية الخنساء في هذه المسرحية من خلال حديثها وفكرها أمر مخالف للفهم الموضوعي للإنسان وللشخصية المسرحية. فالإنسان من ناحية العمل لا يحيا بالحدث والحوار فحسب بل يحيا أولا بالفكر والسلوك وهذا يحتم أن يكون قيام الشخصية المسرحية بالعمل والفعل كذلك[87]ص230.

كما استخدم الكاتب عدداً كبيراً من الشخصيات لكنها لم تلعب دوراً أساسيًا لعملية البناء الفني للمسرحية، وإنما جاءت أدوارها ثانوية تكمل الحدث الذي تصنعه الشخصية المحورية ولا تعارضه سيما وأن الشخصيات كلها كانت مجردة من دوافعها الداخلية والنفسية وغلب عليها الطابع الفكري، حيث أن المؤلف خلق أفكاراً جاهزةً ومعروفةً ونسب لها شخوصاً تتقمص أدوارها فقط.

أما مسرحية المولد النبوي الشريف: فقد جعل المؤلف من حادثة مولد المصطفى نقطة رئيسة فقد تنبأ لها الأحبار والكهان وشغلوا بها حتى ف كر أحبار اليهود في النيل من عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر فاجتمع الكهان والرهبان والأحبار بغية إجلاء ما كان غامضًا من إرهاصات حادثة المولد.

واستخدم المؤلف حوار الشخصيات الثانوية في تفسيراتهم المتباينة وما صاحب ذلك من إرهاصات وتنبؤات وتكهنات لأشهر شخصيات ذلك الوقت.

وقد جاءت أحداث المسرحية في إطار سودي خبري لبعض أحداث التاريخ الإسلامي وهو نفسه- المؤلف- يقر بذلك في خاتمة المسرحية قائلا:" من روائع السيرة النبوية الطاهرة قصة المولد النبوي الشريف وضعت في قالب روائي تمثيلي لتشخيصها وتقديمها للعامة والخاصة.

وقد روعي فيها البيان والتوضيح ما أمكن اعتمادا على ما ثبت قد أوثق المصادر وأصح الروايات "[79]ص105.

أما فيما يتعلق بوحدة الزمان فإنها لم تحترم ذلك أن المؤلف بحكم توظيفه للأحداث التاريخية المتعلقة بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وما قبلها فإنه ركز على الحوار السردي الخبري المستمد

من هذه الأحداث المتباعدة فالمدى الزماني يمتد إلى سنة قبل ميلاد الرسول– صلى الله عليه وسلم – والعام الذي ولد فيه وهو عام الفيل وما بعد بنحو سنة كذلك المكان نجد أحداث المسرحية تدور في أماكن متفرقة بطحاء مكة وبادية بني سعد وقصر عُمْدان بصنعاء اليمن وأشخاصها كثيرون.

فالملاحظة نفسها التي سبقت فالمؤلف لم يتقيد بالمذهب الكلاسيكي المتعلق بمبدأ الوحدات الثلاث.

## 3. 2. 3. الحبكــة:

### 3. 2. 3. 1. البناء الدرامي:

من المعروف أن البناء الدرامي باعتباره جزء من الحبكة هو الذي ينظم هيكل المسرحية من حيث" ترتيب الأحداث و تحديد الشخصيات و ما تنطق به من حوار بحيث تتحدد معالم الشخصية بفضل تلك الحبكة، و يتحقق الهدف الذي يريده المؤلف من تأليف مسرحيته و ما يثيره من أفكار و انفعالات"[88]ص83.

وبالرجوع إلى المسرح الديني الجزائري والنظر في مدى توفيقه في تطبيق قواعد الفن الدرامي يرى الدكتور مرتاض أنّ هذه المسرحيات" قد تكون ذات أهمية ثانوية من الناحية الفنية.

ولكن أهميتها التاريخية بالنسبة للباحث في فنون النثر الأدبي عظيمة لأنها تمثل مرحلة زمنية معيّنة وعهدا أدبيا في الجزائر "[71]ص407.

وهكذا فقد قام محمد الصالح رمضان مسرحية" الناشئة المهاجرة " على أساس حادثة محاولة قتل النبي- صلى الله عليه وسلم- الفاشلة وهجرته إلى يثرب معتمدا على السرد الخبري لوقائع الهجرة من مكة إلى المدينة، كما وردت في المصادر التاريخية الإسلامية مع بعض الاختلاف الطفيف.

ونحد أن محمد الصالح رمضان يحافظ في مسرحيته" الناشئة المهاجرة " على وحدة المكان، حيث تدور أحداث المسرحية في جملتها وتفصيلها في مكة[71]ص428.

وفيما يتعلق بوحدة الزمان فإنها لم تحترم بحكم توظيفه للأحداث التاريخية المتعلقة بحادثة المكيدة التي تعرض لها الرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم– فإنه قد ركز في ذلك على الحوار السردي الخبري المستمد من هذه الأحداث التاريخية الإسلامية المتباعدة. وهكذا أفلتت وحدة الزمان من المؤلف غير أن المدى الزماني لم يجاوز ثلاثة أشهر[71]ص428.

وقد أقام" رمضان " مقدمة مسرحيته على تقديم معلومات في إطار مسرحي يعين المشاهد على تتبع أحداث المسرحية حيث يقوم الحوار على التضاريس بدعوة النبي- صلى الله عليه وسلم- وتبييت الشر له والاتفاق على المؤامرة المتمثلة في قتله وقد جاء كل ذلك في إطار سردي خبري لأحداث تاريخية معروفة.

لكنه أخفق منذ البداية في:" أن يخلق من المواقف ما يدفع الشخصيات إلى الإفصاح عنها، بدافع من انفعال أو ضرورة أو غير ذلك من الحوافز وبأن يواجه المشاهد منذ البداية بما يثير تطلعه إلى المعرفة حتى إذا ساق إليه شيئا من الحقائق جاءت استجابة لهذا التطلع "[89]ص68- 69.

كما أنه لم يوفق في ربط الموضوعات الثانوية بالموضوع الأصلي ولا في استخدامها على نحو يساهم في تحديد معالم الشخصيات أو تعزيز الأثر العام للمسرحية[88]ص84.

وما دام العمل الدرامي يلزم" ضرورة توفر البداية والوسط والنهاية لكل مسرحية[90]ص396. فإن العرض التمهيدي أو البداية الخاصة بالمسرحية الكلاسيكية والتي سار على منوالها المؤلفون المسرحيون الجزائريون تبرز اهتمامهم باستهلال مسرحياتهم بتقديم مختصر للحوادث الرئيسية لوعيهم بأهميتها وضرورته في العمل الدرامي باعتباره جوهرها ويوحي بالصراع الذي تنشأ عنه الحبكة كما يبين الخطوط التي يحتمل أن يسير عليها هذا الصراع[90]ص400.

و" محمد الصالح رمضان " قد استطاع إلى حد ما أن يمهد لموضوع مسرحيته بعرض أحداث دار الندوة وإبداء أهل قريش تضايقهم من دعوة محمد والذي سيقودهم حتما إلى إيجاد مخرج لذلك فهو تمهيد يفضي طبعاً إلى التعقيد الذي" يشكل عنصراً أساسياً في بناء الحبكة ويتألف هذا التعقيد في الأشكال البسيطة من المسرحيات، من إدخال أشخاص أو حوادث تعيق البطل عن الوصول إلى غايته أو تذكي الصراع الدائر بين قوتين متخاصمتين فقد يشمل إدخال عناصر غير مرتقبة ترتبط بالتاريخ الذي يسبق حوادث المسرحية[90]ص416.

ذلك أن محمد الصالح رمضان حاول التمهيد بإبراز مظاهر بالتضايق والخوف التي ألمت بالقرشيين عقب دعوة محمد- صلى الله عليه وسلم- لكن ذلك كما سبقت الإشارة إليه، جاء في إطار سردي خبري ولم يزد المؤلف ذلك على روايته في- صبغة حوارية- لبعض أحداث التاريخ الإسلامي.

- أمّا مسرحية الخنساء: فقد أقام محمد الصالح رمضان محور مسرحيته على فكرة رثاء الشاعرة المخضرمة الخنساء لأخويها صخر ومعاوية بعد مقتلهما في الجاهلية.

- وقد اهتم المؤلف بهذه الحادثة في حياة الشاعرة أكثر من حياتها لأنها تعد نقطة تحولها من السعادة إلى الحزن المتواصل حتى آخر حياتها، وهو لم يقم في ذلك بأكثر من سرد خبري في شكل حوار مسرحي لأحداث تاريخية معروفة للجميع، إذ أنه استعرض في سياق مسرحيته، إضافة إلى قصة رثائها لأخويها التي شكلت محور هذه المسرحية– قصة مباراتها الشعرية- في مقتبل عمرها- للنابغة الذبياني التي انتهت بتعجيزها له، وكذا قصتها المشهورة مع أبنائها الأربعة، بعد أن بلغت أرذل العمر- عندما حمدت الله بعد إبلاغها عن مقتلهم في معركة القادسية وهم يذودون عن صرة الإسلام والمسلمين.

ويتضح مما سبق أن المؤلف لم يتقيد بالمذهب الكلاسيكي المتعلق فيما يصطلح على تسميته بالوحدات الثلاث، إذ أنه لم يحترم أي وحدة من هذه الوحدات الثلاث التي" جرى العرف في أغلب المسرحيات الإغريقية والمسرحيات الكلاسيكية على أن تدور الأحداث في إطار زمني لا يتجاوز اليوم الكامل وعلى ألا تنتقل من مكان إلى مكان قدر الطاقة، وأن يكون هناك موضوع واحد كلي يربط بين مشاهد المسرحية ومواقفها المختلفة "[89]ص44.

و المسرحية كما يرى الدكتور مرتاض أنها" تمزج بين عناصر رومانتكية وأخرى كلاسيكية[71]ص429.

وإذا ما استعرضنا مختلف أجزاء هذه المسرحية فلا يمكن الحكم عليها أكثر من أنها تكاد تكون حوادث متقطعة متفرقة منفصلة[71]ص417. فكل فصل من فصول المسرحية وحتى من مشهد إلى آخر هناك اختلاف ولا تربطه أي رابطة و" كان بوسع الكاتب أن يركز في موضوعه على أي عنصر من عناصر القوة التاريخية في تلك الفترة المشرفة من حياة الإسلام، ليجعلها مندفعاً للناشئة، ومستندا لهم في مستقبلهم الذي كان يبدو غامضاً مظلماً جداً في الجزائر، ولكنه آثر أن يركز على موقف واحد في موضوع المسرحية وهو موقف الخنساء وهي تبكي وتصر على لباس السواد.

إذن كل من" مسرحية الناشئة المهاجرة " و" الخنساء " انعدمت فيهما مظاهر التطور الدرامي لأن المؤلف لم يلتزم بقواعد الفن المسرحي- والمؤلف المسرحي- مقيد بطبيعة المسرح وإمكاناته فيما يعرض من أحداث وما يهيئ من مواقف وما يرسم من شخصيات، وهو لهذا لا يستطيع بنفسه أن يعرف بشخصية المسرحية وعلاقاتها بعضها ببعض، ولا ببعض أحداثها حتى يهيئ المشاهد لمتابعة مشاهد المسرحية وعليه أن ينقل كل هذه الحقائق في إطار مسرحي قائم على الحوار والحركة النابعين من حوافز نفسية وفكرية تدفع الشخصيات إلى الحوار[89]ص41.

وفي مسرحية المولد النبوي الشريف يجري الصراع داخل نفسية أحبار اليهود وتنبؤ الكهان بظهور نبي عربي بقلب الأوضاع حتى أصبحت المسرحية أمشاج من الآراء والتأويلات حول مولد النبي- صلى الله عليه وسلم- لا مسرحية نابضة حية تعج بالصراع النفسي والإنساني[71]ص396.

وما قيل في العملين السابقين يكاد يكون نفسه في هذه المسرحية التي يغلب عليها الأسلوب الفكري التجريدي حيث تعددت أحداثها بتعدد أماكنها وأزمانها وهذا لا يتماشى وقواعد الفن الدرامي.

والملاحظ كذلك أن المؤلف لم يقيم فكرة المسرحية على عقدة يتطلع المشاهد إلى معرفة حلها بل كانت هذه العقدة منعدمة لضعف الحبكة المسرحية وتمزقها بين مواقف متباينة متباعدة خالية في مجموعها من الصراع الذي هو لهذا الفن كالملح للطعام[71]ص396.

كما نلاحظ عدم توفر رسم شخصيات فنية بأبعادها النفسية والاجتماعية وهو ما جعل المسرحية عبارة عن حوار سردي خبري لأحداث تاريخية إسلامية.

## 3. 2. 3. 2. الصراع الدرامي.

يعتمد هذا النوع من العمل المسرحي على التراث الإسلامي والوسائل التي يلجأ إليها المؤلف عادة بهدف تحقيقا لصراع في استخدامها لما اصطلح على تسميته" التشويق" أي أن يثير المؤلف عند المشاهد شوقا لمتابعة الأحداث والاندماج في المواقف والاهتمام بالشخصيات حتى يتعاطف أحيانا مع بعضها فيتمثل نفسه في مكانها[89]ص41.

وإذا ما عدنا إلى الأعمال المسرحية الدينية محل الدراسة نجدها عموما تهتم بنقل الأحداث التاريخية بحذافيرها، وكتابتها إلى تلاميذ المدارس الابتدائية حتى يحفظون جوانب من التاريخ الإسلامي الأول ويلمون بها[71]ص396. ولأهمية هذه الأعمال يقول محمد الصالح رمضان:" كنا في المدارس الحرة في العهد الاستعماري الفرنسي كثيرا ما نلجأ إلى إقامة حفلات للترفيه والتوعية للتلاميذ وأوليائهم ومن يهمهم الأمر أو لسد عجز مالي تعاني منه ميزانية مدارسنا، لأن معلمي هذه المدارس الحرة لم يكونوا موظفين رسميين لدى السلطات الحاكمة ... و في هذه الحفلات أنشطة ثقافية يتمرس فيها التلاميذ على إلقاء الخطب و القصائد و التمرن على الحوار و النقاش وإنشاد الأناشيد و التدريب على التمثيل المسرحي "[72]ص3.

تمت عقدة الصراع في مسرحية" الناشئة المهاجرة " لـ:" محمد الصالح رمضان" في اتفاق مشركي قريش على مؤامرة قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بغية إقبار رسالته السماوية.

والمؤلف لم يحدث في مسرحيته تغييرا على الحدث ذاته كما جاء في التاريخ الإسلامي وإن كان قد أسرد في مسرحيته أحداثا تاريخية معاصرة لتلك الحادثة.

والمؤلف لم يوظف هذا الموضوع الديني لأجل التعبير عن قضية معينة معيشة تشغل اهتمامه، وإنما فقط إلى أجل" إحياء تلك الحوادث لذاتها أي لهدف تاريخي بحث "[71] ص228.

وإن كانت عقدة الصراع داخل هذه المسرحية مستمدة من التراث الإسلامي فإنها لا تتسم بالوضوح لأن المؤلف لم يقم بكتابة عملة المسرحي أكثر من سرده في قالب حواري لأحداث تاريخية معيّنة وهذا ما أدى على تعدد الموضوعات والأحداث والأزمنة والأمكنة وهو ما يخرج عن دائرة الفن المسرحي.

وقد إرتأى" محمد الصالح رمضان " في هذا العمل إلى استخدام الأسلوب الفكري التجريدي وهو ما جعل شخصيات المسرحية عبارة عن أبواق تحمل أفكار الكاتب وقناعته أكثر من التعبير عن ذواتهم.

فلم تبلغ هذه المسرحية مبلغا فنيا وإن كانت قد سجلت حادثة تاريخية إسلامية وبيّنت فيها أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير البلاد.

كما أن المؤلف التزم بسرد الأحداث كما جاءت وبنفس الأسماء التي صنعت هذه الأحداث وحتى الأماكن التي وقعت فيها.

لهذا يمكننا القول أن الصراع كان سبب معدوم في هذه المسرحية لعدم توفر رسم شخصيات فنية بأبعادها النفسية والاجتماعية وهو ما جعل المسرحية عبارة عن حوار سردي خبري لأحداث تاريخية إسلامية.

أما مسرحية الخنساء فعقدة الصراع فيها تنصب في الحدث التاريخي المتمثل في رثاء الخنساء لأخويها صخر ومعاوية بعد مقتلهما في الجاهلية كحدث رئيسي يحرك الصراع داخل نفسية الخنساء بعد مصابها الجلل في أخويها.

فهذا الحدث كفيل بأن يخلق صراعاً دراماياً ناجحًا لو أحسن المؤلف أدوات استخدامه الفنية ولكن المعالجة التي إرتأها نأت عن ذلك بعيدا، لأن المؤلف قد قام في هذه المسرحية بدور المؤرخ من خلال اعتماده على الحوار السردي للأحداث أكثر من اعتماده على العمل الإبداعي الفني.

وتجلى ذلك في تعدد المواضيع التي تطرق إليها في مسرحيته والتي أفضت إلى أمكنة وأزمنة متعددة وهو ما يتعارض مع مبدأ الوحدات الثلاث الذي اعتمده المذهب الكلاسيكي وهو المذهب الذي سار على منواله الكثير من كتابنا المسرحيين الجزائرين في مختلف المراحل التاريخية.

فمأساة" الخنساء " تبتدئ في سوق عكاظ تم تظعن إلى مكة المكرمة في الفصل الثاني لترحل من بعد ذلك إلى المدينة حيث تدور حوادث الفصل الثالث والأخير.

فالفصل الأول يدور في عهد الجاهلية والفصل الأخير يدور في عهد" عمر بن الخطاب " وهذه الفترة الزمنية التي تضطرب في فلكها المأساة قد تربو على نصف قرن.

أما وحدة الفعل فقد كان الكاتب فيها كلاسيكيا، حيث ظل الاهتمام مصبوبا على شخصية الخنساء وقد ظلت هي في حد ذاتها شخصية ثابتة لا تتغير، لا نامية تتطور من موقف إلى آخر[71]ص427-428.

والملاحظ - شأنها شأن المسرحيات الدينية الأخرى( كمسرحية: المولد والهجرة لعبد الرحمن الجيلالي ) في هذه الفترة -؛ أن الحوار الفكري التجريدي هو السائد وحتى بالنسبة لمواف الخنساء في مختلف المشاهد فإنها لا تعكس أبعادها النفسية والاجتماعية، وأن ما قام به المؤلف لا يعدو أن يكون نقلا لوقائع شعرية معروفة في التاريخ، وعذره في ذلك" إنما كتبها لتلاميذ مدرسة لا لممثلين محترفين بارعين "[71]ص418.

## 3. 2. 3. 3. الحوار الدرامي.

إذا كان البناء الدرامي داخل المسرحية يقوم على أساس تفاعل الأحداث والشخصيات" فإن الحوار هو وسيلة هذا التفاعل وهو الأداة التي تتواصل عن طريقها شخصيات المسرحية وتقوم مقام المؤلف و" الرواية " في سرد الأحداث وتحليل المواقف والكشف عن نوازع الشخصيات[89]ص33.

والاهتمام بالشخصية المسرحية أمر هام وضروري في نجاح النص.

ثم إن الشخصية بصدق أفعالها وأقوالها تساعد على إبراز الأفكار والتي يسعى إليها المؤلف.

غير أن النص المسرحي الجزائري- المسرحيات الدينية– المكتوبة في هذه الفترة قد انحرفت كلية عن البناء الفني للنص ولم تخضع لقواعد الفن الدرامي التي تشترط خصوصية العمل المسرحي لا عمومية الأحداث التاريخية والمقصود هنا أن تعبر الشخصيات داخل هذه المسرحيات عن أبعادها النفسية

والاجتماعية الخاصة بها ولا تعبر عن الهم الجماعي الديني العام، وهذا ما نستشفه في كل المسرحيات الدينية الجزائرية التي كتبت في هذه المرحلة.

ومن خلال أعمال" محمد الصالح رمضان " المسرحية نلاحظ أنه لم يوظف الأحداث التاريخية الإسلامية في صور مسرحية جديدة ومعاصرة وإنما اكتفى بنقل الواقع التاريخي لتلك الأحداث الدينية كما وردت بما فيها من حوار معروف بين المؤمنين من أهل قريش برسالة محمد والجاحدين لها.

وكان من المناسب لو اكتفى المؤلف بالوقوف على جوهر قضية كل حادثة على حدة ثم ترك العنان لخياله ليبدع مسرحيات تستمد أحداثها من التاريخ الإسلامي ولكنها تظل مشبعة بروح العصر الذي كتبت فيه حتى تعبر عن آماله وآلامه.

فجاءت هذه الأعمال المسرحية منحرفة كلية عن البناء الفني للنص و أضحت تقريرا إخباريا وصفحات من الوعظ والإرشاد يمليها المؤلف على الشخصية التي تقوم بإلقائها من فوق الخشبة.

فالخطابية والمباشرة والنصح والإرشاد هو الأسلوب الغالب على هذه النصوص المسرحية.

فقد نظر" رمضان "- وكتاب آخرون( أمثال" محمد العيد آل خليفة " في مسرحيته" بلال " وعبد الرحمن الجيلالي في" المولد والهجرة " )- إلى المسرح على أنه أداة للتعبير دون تقدير أو اعتبار للأسس وقواعد الفن المسرحي.

فالأسلوب الخطابي الوعظي هما السمة الغالبة في مسرحيات رمضان.

فاكتفى في غالب الأحيان بصياغة ما هو موجود في كتب السيرة والتاريخ ففي" الناشئة المهاجرة " الغاية التي رمى إليها الكاتب" محمد الصالح رمضان " من وراء معالجة هذا الموضوع الديني الخصب... محافظته الشديدة على وقائع التاريخ المعروفة الخاصة بالسيرة النبوية[71]ص228.

وبانتهاج المؤلف لهذا الأسلوب يكون بذلك قد خرج عن مبدأ الوحدات الثلاث الذي تشترطه قواعد الفن المسرحي ولاسيما المذهب الكلاسيكي.

فنجد في مسرحيتي" الناشئة المهاجرة " و" الخنساء " أن الأحداث أو الموضوعات تعددت خاصة في المسرحية الأولى نتيجة تعدد الأحداث التاريخية المتضمنة في هذه المسرحية وإن كان المؤلف يحافظ على وحدة المكان حيث تدور أحداثها في جملتها وتفصيلها في مكة، فإن وحدة الزمان قد أفلتت منه غير أن المدى الزماني لم يتجاوز ثلاثة أشهر[71]ص428.

وطغى على نص" الناشئة المهاجرة " الأسلوب الإخباري والسردي والمباشر فهذا " محمد الصالح رمضان " يعمد إلى الشروح والتوضيحات لدفع الأحداث وتطويرها بدل الحوار والصراع والمجابهة بين الشخصيات. فنلحظ أن الكاتب قد بالغ في شروحه للمواقف والناظر ومن نماذج ذلك.

" يعود السكوت ويسود الصمت، ثم يزور الكرى أجفان الحرس، فيتثاوبون وتذيل أعينهم فيطرقون برؤوسهم، وبعد لحظات يسع حفيف وشخير "[74]ص18.

ومثل هذا الوصف يساعد على إخراج النص ولكن عندما يتكرر في النص وفي مواقف متقاربة يتحول النص إلى سرد ووصف بعيدا عن النقاش الدرامي والصراع بين الشخصيات. والمثال الثاني يأتي مباشرة بعد المثال الأول الذي ذكرناه آنفا.

" يعود الصمت حالته الأولى، وبعد مدة يخترق السكون صوت ديك مؤذنا بانتهاء الليل واقتراب الصبح "[74]ص19.

ويتكرر هذا الأسلوب الإخباري" أخرج – أخرج إلينا يا محمد( يفتح الباب وبخرج إليهم فتى في ريعان الشباب، هو علي بن أبي طالب فيصيح القوم: ها- ها- هذا طفل بن أبي طالب هذا علي فأين محمد؟ أين محمد ؟ أين محمد ؟

( يتباطأ علي في الرد فيغتاظ القوم عليه و تمتد أيدي بعضهم إليه و يقتحم الآخرون الدار ....)[74]ص20.

تكرار هذا الأسلوب يعكس عجز الكاتب على دفع الأحداث إلى التطور.

وهذه الفقرات الإخبارية وتكرارها تحول المسرحية إلى قصة سردية وصفية إخبارية كما وردت آيات قرآنية في النص تعبر عن مواقف خاصة ارتأى الكاتب توظيفها وقصائد شعرية طويلة في صفحات[74]ص14-15؛ 18-19؛ 36-37؛ 42.

و المسرحية بلغتها البسيطة و أسلوبها الواضح تكون قد أدت دورها نحو النشء بالتقلين اللغوي و البلاغي و كذا أهميتها في أحياء ذكرى من ذكريات جهاد المؤمنين و صبرهم و العمل على إثبات عقيدتهم و من الواضح أن المؤلف ركزّ على موقف قوي جدًّا في سيرة الرسول هو نجاح هجرته[71] ص228 وقدم هذا النص للناشئة " فقد ذل بذلك على أن المسلمين كانوا ضعافا جدا ولكنهم لم يفشلوا في أمرهم ولم يستسلموا لليأس...فالقوة التي آلت إليهم من بعد لم تك هدية السماء وحسب وإنما كانت أيضا بفضل تضحيات من في الأرض وشجاعتهم وقوة إيمانهم وعمق إخلاصهم للمبدأ[71]ص228.

إلاّ أن المسرحية لم تبلغ مستوى البناء الفني المسرحي. وهي على جاءت به أشخاص تروي حوادث على الخشبة دون عقدة عميقة أو شخصيات صلبة تتحرك وفق أفكار ومبادئ.

أمّا مسرحية الخنساء فإن الوحدات الثلاث غير متوفرة فيها فالمؤلف لم يهتم بموقف محدد في حياتها.

فالمؤلف كان أمينا في نقل معظم الحوادث التاريخية بل حتى الكلمات والعبارات والشخصيات التاريخية التي صنعت الأحداث وهو– المؤلف- عندما قام بمسرحية هذه الأحداث غفل أنّ المسرحية لها بدايتها التي تستقل بها عن بقية الفنون الأدبية الأخرى. فالحوار الوارد في مسرحية" الخنساء " أو" الناشئة المهاجرة " أو" المولد النبوي الشريف " ليس ذلك الحوار الذي يخضع لقواعد الفن المسرحي بل اعتمد على سرد الوقائع التاريخية وعندما استخدم المؤلف هذا الأسلوب الحواري فإنه لم يسع إلى نمو الشخصيات وتطوير الأحداث المستمدة من التاريخ.

كما أن هذا الأسلوب جعل الحركة جامدة ساكنة كون الحوار لم يخرج فيها عن دائرة السرد.

وفي مسرحية" الخنساء " ينتصر الإيمان في نفسها فتقول عندما تسمح بقتل أبنائها الربعة في معركة القادسية قولتها المشهورة" الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله وعزائي فيهم هذا النصر المبين ...."[72]ص102.

وهكذا فقد تحول الحوار من وسيلة إظهار للعواطف والصراع إلى أسلوب ديني جاهز أراد من خلاله الكاتب الوعظ والإرشاد.

وعلى الرغم من كون هذه الأعمال لم ترق إلى مصاف البناء الفني المسرحي والحوار الدرامي الناجح إلاّ أنّ لها الأثر الكبير في عملية توعية الناشئة وتربيتهم على أصول دينهم في وقت حرج كانت تتعرض لهجمة استعمارية تستهدف طمس مقومات الأمة. كما كان لهذه النصوص المسرحية- ما كتب محمد الصالح رمضان وغيره- أثرا كبيرا في خلق الحركة المسرحية الجديدة.

ويكفي المؤلف شرفا أنه استطاع هو وزملاؤه من رجالات التعليم والإصلاح أنهم استطاعوا في تلك الفترة الحالكة من عصر أمتنا أن يكتبوا أعمالا للتناول المسرحي كانت بعد ذلك باعثا لأعمال مسرحية ناجحة فنيا ودراميا.

# خاتمة

هكذا نأتي إلى خاتمة البحث فنكون بذلك قد توصلنا إلى جملة من النتائج المستخلصة منه والمتمثلة فيما يلي:

أولا: إن ما تميزت به شخصية الأديب محمد الصالح رمضان من معالم واتسمت ثقافته من ملامح، وما ساهم به خلال مراحل حياته من جهاد في مختلف جوانب الحياة الوطنية، لقد كان لذلك انعكاساته الواضحة على صنعته في الكتابة في كل ما اشتغل به من فنون أدبية: قديمة وحديثة، مما ميّز صنعته في هذه الفنون بجملة من الطوابع شملت معظم عناصر العملية الأدبية: أفكارا وعواطف وطرقا، وأساليب.

فقد أبدع في رحلته الأدبية إلى بولونيا وهذه الرحلة تعدّ فعلا في مقدمة نماذجه النثرية فقد تألق فيها فكرًا وأسلوبًا في فقرات عديدة، في صلته بالناس وبالطبيعة وفي رد الفعل تجاه موقف أو حركة أو منظر في حلل رومانسية زاهية على الأراضي التي مر بها أو في صورة من صور الحياة الزاخرة المشعة بشرا وأملاً، تنهض من خراب ودمار تركته مدافع وقنابل الحرب العالمية الثانية في فارصوفيا. مرورا بالتوق الوطني الحالم باستقلال الجزائر المأمول.

ثانيا: وفي هذه الرحلة الأدبية يتجلى لنا منهج الرحالة" محمد الصالح رمضان " في كتابته لهذا الفن الأدبي، فقد بدا ساعيا بين منهج القدامى في حرصهم على الجانب التعليمي وتاريخا وجغرافيا واقتصادًا وسواها، وبين أسلوب الرحالة الحديث خصوصا حرصه على تسجيل مشاعره وانطباعاته المختلفة سلبا وإيجابا دون تقيد بما يمكن أن يثبت أو ينفي صورة سلبية أو إيجابية، ويرجع هذا إلى تجربة الكاتب وعلاقته بالمحيط.

ثالثا: كما تتجلى النزعة التعليمية فقد بقي" رمضان " المعلم- أكثر من أربعين سنة، والمؤلف الجغرافي حاضرا في هذا التقسيم لهذه الرحلة.

رابعاً: كما تظهر من خلال رحلته بعض سمات المدرسة القديمة في أدب الرحلة التي لا تقنع بالانطباع العام في الاحتكاك المباشر بوجوده الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بل تنحو نحوا يجعل من الرحلة عملا تاريخيا لا مجرد وثيقة كنوع أدبي مساعد، مثل الأنواع الأدبية الأخرى، فقد بقي الأستاذ رمضان، الأديب الفنان متواجدا عبر ذلك كله في الأسلوب الأدبي، في نقل الصورة الفنية الدقيقة.

خامساً: عبرت هذه الرحلة عن تجربة إنسانية ذات عمق مختلف الأبعاد، ورغم حرص الكاتب على إفادة قارئه بمعلومات علمية تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية، واجتماعية؛ فإن ذلك لم يجعل منها نصًا تاريخيًا جافًا، كما لم يحل بينها وبين الظلال الإنسانية التي حفلت بها كرحلة معاصرة، مثلما لم يحل بينها وبين الطلاوة المرغوبة في كل رحلة أدبية معاصرة.

إذ نكتشف في صاحب الرحلة شغف الرحالة وعقل المؤلف ونزوع الجغرافي وتفكير العلم وأسلوبه وروح الأديب وأدواته مما يجعل هذه الرحلة إضافة نوعية في مسار أدب الرحلة الجزائرية خلال هذا القرن.

سابعاً: أعمال رمضان المسرحية وإن لم تبلغ النضج الفني المطلوب في كل عمل مسرحي لأنها لم تخرج في عمومها عن إطار الفكر التجريدي الجدلي الذي يغلب عليه طابع الأسلوب السردي الوصفي المصبوغ في قالب حواري.

ثامناً: النوع المسرحي الديني الذي كتب فيه" رمضان " تكمن أهميته في روايته للأحداث التاريخية المستمدة من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث كان المؤلف أميناً في نقل الأحداث كما وقعت؛ وأميناً في اقتباس الكلمات والعبارات كما رويت؛ وحتى أميناً على أسماء الشخصيات الدينية كما وردت دون توظيف رمزي لها بغية معالجة ظواهر معاشة داخل المجتمع الجزائري.

تاسعاً: بالرغم من ضعف هذه الأعمال المسرحية من الناحية الفنية الدرامية إلاّ أنه قد كان لها الأثر الواضح في عملية توعية الناشئة وتثبيتهم على أصول دينهم في وقت كانت البلاد تتعرض لهجمة استعمارية صليبية حاقدة.

وهذه الأعمال كان أثرها كبيرا في خلق حركة مسرحية جديدة أعقبتها.

ويكفي الكاتب شرفا أنه استطاع في تلك الفترة الحالكة من عمر أمتنا أن يكتب عملاً صالحاً للتناول المسرحي وذلك مطلب عزيز المنال.

# قائمة المراجع

1. الشهاب الجزء الأول، المجلد الخامس( فيفري 1930 ).

2. محمد طه الحاجري ،" جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر "، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1968.

3. أبو عمران الشيخ ، " الأسقف لافيجري ونشاطه التبشيري في وادي الشلف "، الأصالة، ع83-1980/84.

4. فرحات عباس، " ليل الاستعمار "، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت.

5. Charles André Julien, " Histoire de l'Afrique contemporaine ", 2éme éd, P.U.F, Paris, 1979.

6. أحمد توفيق المدني ،" كتاب الجزائر "، ط2.

7. أنور الجندي، " الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا "، المكتبة العربية، القاهرة، 1965.

8. غوستاف لوبون، " روح السياسة "، ترجمة ، محمد عادل زعيتر، مطبعة العصرية، مصر، د. ت.

9. د. محمد بن سمينة، " في الأدب الجزائري الحديث( النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر ).

10. د. محمد ناصر، " الصحف العربية الجزائرية "، ش. و. ن. ت. 1980.

11. علال الفاسي، " المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى "، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، سنة 1955.

12. أحمد توفيق المدني، " هذه هي الجزائر" .

13. د. صلاح العقاد، " محاضرات عن الجزائر المعاصرة "، معهد الدراسات العربية العالية، سنة 1963- 1964.

14. د. أبو القاسم سعد الله، " الحركة الوطنية الجزائرية "، م. و. ك، الجزائر، ط3( 1986 )، الجزء الثالث.

15. البشير الإبراهيمي، " مجلة مجمع اللغة العربية "، بالقاهرة، ع 21، سنة 1966.

16. د. محمد ناصر، " المقالة الصحفية ".

17. لقاء بالشيخ محمد الصالح رمضان في منزله الكائن بالقبة وذلك بتاريخ فيفري 2006.

18. محمد البشير الإبراهيمي،" جمعية العلماء موقفها مع السياسية والساسة "، جريدة البصائر العدد الثالث من السلسلة الثانية، 1947.

19. د. تركي رابح، " الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر "ط2( 1982 ).

20. حميد بن سالم:" مجلة اللسان العربي " ع1، السنة الأولى، الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، 1964.

21. د. محمد بن سمينة، " النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر ".

22. البشير الإبراهيمي، الثقافة ع 87( مايو– يونيو )، 1985.

23. ملحق الشعب الأسبوعي، ع: 40– 17 أفريل 1976.

24. عبد الحميد بن باديس: " آثار الإمام عبد الحميد بن باديس "، منشورات وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، قسنطينة، مطبعة البعث، 1982.

25. القسطلاني، " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وبهامشه صحيح مسلم بشروح النووي "، ج10، ط1305/6هـ، كتاب القدر.

26. مالك بن نبي، " شروط النهضة "، ترجمة، عمر كامل مسقاوى؛ ود.عبد الصبور شاهين، ط4 ( 1987 ).

27. أحمد بن عمر، " الحالة الاقتصادية في الجزائر "، جريدة المنار، ع4، 1951/5/21.

28. محمد الصالح رمضان، " الديوان " ، م. و. ك، ط3، القصيدة بعنوان" باخرة الموت ".

29. أندريه جوليان، " أفريقيا الشمالية تسير "، ترجمة، المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

30. د. أبو القاسم سعد الله، " دراسات الأدب الجزائري الحديث ".

31. د. محمد مصايف، " فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث ".

32. الأستاذ مالك بن نبي، " في مهب المعركة "، مكتبة دار العروبة، بالقاهرة، 1961.

33. علي دبوز، " أعلام الإصلاح في الجزائر "، ج1.

34. سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص: 50.

35. محمد الحسن فضلاء، " من أعلام الإصلاح في الجزائر "، 2000، الجزء الثاني.

36. مجموعة من المؤلفين، " محمد الصالح رمضان في نظر زمرة من أصدقائه ومعارفه والدارسين لأعماله "، منشورات ثالة، الجزائر، 2004.

37. محمد الصالح رمضان، " الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية "، دار الحديث بتلمسان، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية– وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط2( 2003 ).

38. أحمد أبو سعد، " أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي "، دار الشرق الجديد، بيروت، ط1 ( 1961 ).

39. أ. كراتشكوفسكي أغناطيوس، " تاريخ الأدب الجغرافي العربي "، ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963، القسم الأول، الجزء الأول.

40. محمد بن عثمان المكناسي، " الإكسير في فكاك الأمير "، المركز الجامعي للبحث العلمي المغرب، د. ت.

41. عبد الله ركيبي، " تطور النثر الجزائري الحديث "، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

42. د. عمر بن قينة، " أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث "، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1412هـ/1992م.

43. محمد الصالح رمضان، " سوانح وارتسامات عابر سبيل "، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004.

44. حسن زعرور، " قراءة في آثار الجغرافيين والرحلات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة "، مجلة الفكر العربي لبنان، ع-51، 1988.

45. Regis Blachere et Henri Darmaun, " Extrait des principaux géographes arabes du premier age ", Librairie, C.Klincksieck, Paris deux ième édition, 1997.

46. مولاي بلحميسي، " الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني "، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2( 1981 ).

47. M. Hadj Sadok, " a travers la bérbérie orientale du XVIII siecle avec le voyageur Al Narthilani ", Revue Africaine, 1951.

48. د. محمد حناوي ، " نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي "، مجلة أدب الرحلة والتواصل الحضاري، العدد 5، 1983.

49. د. أحمد أبو سعد، " مظاهر الحضارة والعمران وتجلياتها من خلال كتب الرحالة " ، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد 51-1988.

50. الحسين الورثيلاني في رحلته، " نزهة الأنظار ".

51. أحمد بن عمار ،" نحلة اللبيب ".

52. يمنى العيد، " في معرفة النص "، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3( 1985 ).

53. عبد الملك مرتاض، " ألف ليلة وليلة( تحليل ) "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

54. سمير المرزوقي وجميل شاكر، " مدخل إلى نظرية القصة "، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، د. ت.

55. عبد الملك مرتاض، " تحليل الخطاب السردي "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

56. أبو العباس أحمد المقري، " نفح الطيب "، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1 (1965)،الجزء الأول

57. عبد الحميد بورايو، " منطق السرد( دراسات في القصة الجزائرية الحديثة ) "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

58. محمد طول، " البنية السردية في القصص القرآني "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

59. عبد الصمد زايد، " مفهوم الزمن ودلالته "، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988.

60. أحمد طالب، " الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة في الفترة ما بين 1931-1976"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

61. إبراهيم صحراوي ، " تحليل الخطاب الأدبي( دراسة تطبيقية )"، دار الآفاق، الجزائر، ط1 ( 1999 ).

62. سعد مصلوح ، " من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية "، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 32، ع 3 و4، 1994.

63. محمد كريم الكواز ، " علم الأسلوب ( مفاهيم وتطبيقات ) "، منشورات جامعة السابع من أبريل ليبيا، ط1( 1994 ).

64. محمد عبازة ، " تطور الفن المسرحي بتونس من النشأة إلى التأسيس "، تونس، دار سحر للنشر، ط1( 1997 ).

65. عثمان الكعاك( موجز التاريخ العام للجزائر ) 1925.

66. بوعلام رمضاني، " المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر "، طبع الشركة الوطنية " الشعب الصحافة" الجزائر، د.ت.

67. محمد محبوب أسطنبولي، " مجلة آمال "، عدد 35، سبتمبر- أكتوبر 1976، الجزائر.

68. جريدة الشعب الثلاثاء 06 ديسمبر 1994.

69. أحمد بيوض، " المسرح الجزائري( 1926-1989 ) " ، منشورات التبيين الجاحظية ، الجزائر ، 1998.

70. نصر الدين صبيان، " اتجاهات المسرح العربي في الجزائر( 1945-1980 ) "، رسالة ماجستير، جامعة دمشق( 1984-1985 ).

71. د. عبد الملك مرتاض ، " فنون النثر الأدبي في الجزائر( 1931- 1954 ) " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983.

72. محمد الصالح رمضان، " الخنساء "، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

73. الدكتور ريجيس بلاشير، " تاريخ الأدب العربي "، ترجمة ، الدكتور إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ت.

74. محمد الصالح رمضان، " الناشئة المهاجرة " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989.

75. عبد الله ركيبي ، " القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر "، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1969.

76. الدكتور أبو العيد دودو ، " نشأة المسرح الجزائري الحديث وتطوره "، مرقون على الآلة الراقنة، د. ت.

77. الدكتور أبو العيد دودو ، " ملامح من أدبنا الجزائري الحديث "، مرقون على الآلة الراقنة، د .ت.

78. حسن علي المخلف، " توظيف التراث في المسرح: دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونونس "، الأوائل للنشر و التوزيع، دمشق، 2000.

79. محمد الصالح رمضان، " المولد النبوي الشريف "، سلسلة ثقف نفسك 1، شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1996.

80. سامية حسن الساعاتي، " الثقافة والشخصية "، دار النهضة العربية، بيروت، ط2 ، د .ت.

81. أحمد كمال زكي، " دراسات في النقد الأدبي "، دار الأندلس، مصر، ط2( 1980 ).

82. الفيروز أبادي، " القاموس المحيط "، مؤسسة الحلبي و شركاؤه للنشر و التوزيع، القاهرة، د. ت.

83. محمد فريد وجدي، " دائرة معارف القرن العشرين "، دار المعرفة، بيروت، ط3. د. ت.

84. جبور عبد النور، " المعجم الأدبي "، دار العلم للملايين، بيروت، ط1984/2.

85. محمد يوسف نجم، " فن القصة "، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

86. لويس فارجاس، " المرشد إلى فن المسرح( الدراما ) "، ترجمة، أحمد سلامة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

87. فواز عارف أحمد زيدان، " آراء توفيق الحكيم في الأدب المسرحي "، ( رسالة ماجستير )، القاهرة، 1974.

88. محمد مندور، " المسرح "، دار المعارف، القاهرة، 1980.

89. عبد القادر القط، " من فنون الأدب( المسرحية ) "، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.

90. فرد. ب. ميليت، وجيرالد أيدس بنتلي، " فن المسرحية "، ترجمة ، صدقي حطاب ، نشر ، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

91. عبد الرحمن الجيلالي، " مسرحية المولد والهجرة " ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.